مطالعات ثقافية



بقلم
د. درويش مصطفى الفار



تصميم وطباعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة

مطالعات ثقافية



بقلم

د. درويش مصطفى الفار

قصة علم الجيولوجيا

لعل من أوضح معالم اسهام علم الجيولوجيا في بناء حضارة المجتمع البشري وجود جامعات ومتاحف ومؤسسات علمية وحضارية أخرى عديدة في مختلف بلاد الجزيرة العربية بنيت من أموال النفط أو البترول .

ولما كان النفط أو البترول هو الابن المدلل للجيولوجيا ، فهاك حديثاً قصيراً عن قصة علم الجيولوجيا ، العلم الذي كان للعرب دور كبير في ارساء قواعده وأسسه.

بالدراسة الجيولوجية الحديثة استطاع الجيولوجيون في قطر أن يحددوا مواطن البترول في مناطق دخان براً والبندق وميدان محزم والعد الشرقي بحراً ومكامن الغاز الطبيعي الهائلة في قطر ، أى أنه لولا علم الجيولوجيا وقدرة العاملين في ميدانه الفسيح لما تسنى وجود ذلك التجمع الحضاري الكثيف في منطقة الخليج العربي وتحولها إلى مناطق جذب . وبالعمل الجيولوجي أيضاً ، نأمل أن تسفر الدراسات عن مستقبل مشرق في مضمار الماء الباطني تحت أرض شبه الجزيرة وجروفها القارية وجزرها المحيطة وفي سبر أغوار طبقات الصخور بحثاً عن ثروات معدينة تؤمن المستقبل من الجبس والفوسفات والعناصر المشعة ومواد البناء في قطر .. ولا يخطرن ببال أحد أن الدوحة وحدها تنفرد في الزمان والمكان بالشكر للعمل الجيولوجي وتدين له بعمرانها . فقد لعبت الجيولوجيا نفس الدور خلال تاريخ الحضارة الانسانية منذ بدايتها حتى أننا نجد المؤرخين يقسمون تاريخ الانسان إلى العصر الحجري (الباليوليتي والميزوليتي والنيوليتي) وعصر الفخار وعصر النحاس والعصر البرونزي وعصر الحديد وعصر الفحم وعصر اليورانيوم والأدلة واضحة على ان الفترات التاريخية الأساسية للانسان اعتمدت على مدى خبرته في التعامل مع صخور الأرض وأحجارها بسليقة جيولوجية فطره الله عليها حتى قبل أن ينشأ علم الجيولوجيا ذاته كما نعرفه اليوم.

ويضيق المقام لاشك عن استعراض تفصيلات ماأحدثته الدراسات الجيولوجية فى ارجاء الارض ، فسنكتفى بمجرد ذكر بعض الامثلة فقط .

كان لاكتشاف الذهب فى كاليفورنيا منذ عام ١٨٤٩ م وفى استراليا سنة ١٨٥٠ م السبب الاكبر فى عمران تلك الاماكن ، كما ان اكتشاف الماس فى كمبرلى بجنوب افريقيا سنة ١٨٦٧ م ثم الذهب سنة ١٨٨٥ م ، وما تلى ذلك من اكتشافات لمعادن وخامات معدنية اخرى هو الدافع الاكبر لعنصرية الرجل الابيض وافعاله فى تلك الرقعة من العالم وما جاورها مثل روديسيا وصحراء ناميبيا وعلى ذكر الذهب نذكر ان غنى الصحراء الشرقية فيما بين النيل والبحر الاحمر فى القرون الخالية جعل قدماء المصريين يسمون تلك البقعة من الارض (بلاد نوب) أي بلاد الذهب ونجد فى اسفار التاريخ ان الملك الاشورى (توشراتا) يرسل الى ملك مصر (امنحوتب) رسالة يقول فيها (دع اخى الملك يرسل لى كمية من الذهب لا يحد مقدارها . دعه يرسل لى من الذهب اكثر مما ارسله والده لوالدى اذ ان الذهب فى مصر كما اعلم كثير كالتراب ، وانني اتوسل الى الالهة الكرام ان يتضاعف الذهب فى مملكته الى عشرة امثال .

ولقد ظل العمران (بالعمل الجيولوجى القديم) بحثا عن الذهب الى الشرق من اسوان (بحيرة السد العالى حاليا) حتى عهد احمد بن طولون (٨٧٠ م) حيث كان هنالك زهاء مائة الف عامل يقوم بخدمتهم وتموينهم ستون الف جمل.

وفى مضمار البحث عن الخامات المعدنية بما فيها (الفحم والبترول واليورانيوم) كان للجيولوجيا ايضا ضررها بالاخلاق الانسانية فى العلاقة بين الدول ، فعلى سبيل المثال ايضا نجد فى التاريخ القريب ان مقاطعة الاسكا الامريكية كانت تابعة لروسيا حتى سنة ١٨٦٧ م ولكنها كانت فى متناول الجيولوجيين الامريكيين اكثر منها للجيولوجيين الروس ، فاهتبلت الولايات المتحدة فرصة فقر او افلاس روسيا وعرضت

عليها ان تشترى منها الاسكا باسرها لقاء (٧,٢٠٠,٠٠٠ دولار) وعقدت الصفقة : وفى نهاية القرن التاسع عشر كانت حصيلة ما استخرجته الولايات المتحدة من الثروة المعدنية فى الاسكا يزيد على الف مليون دولار ناهيك عما فى الاسكا اليوم من مكامن للبترول والغاز الطبيعى .

ومن الحقائق التي يجب ان ندركها اليوم ان الصراعات العالمية (الساخنة والباردة على السواء) مبعثها ان السياسة الدولية تبنى (بالدرجة الاولى) على ما يقترحه الجيولوجيين من معلومات عن احتمالات النفط والثروة المعدنية وخاماتها في اقطار الأرض ، فمثلاً نجد كل المظالم الواقعة على الشعوب الافريقية ، وتسابق القوى الكبرى إلى اشعال الفتنة في القارة السوداء راجع إلى ثرواتها المعدنية من ذهب وماس ونحاس ويورانيوم وغيرها كما أن ما يسمى (أمن البحر الأحمر) راجع بالدرجة الأولى إلى ما اكتشفته الأبحاث الجيولوجية تحت مياهه من احتمالات لثروات معدنية طائلة سواء كانت تلك الاكتشافات بالأجهزة المحمولة على ظهور السفن أو في اقمار التجسس التي تطلقها الدول الكبرى حول كرتنا الأرضية .

ولعله من نافلة القول أن نعرف أن سياسة الدول العظمي تجاه الوطن العربي كانت بالدرجة الأولى مبنية على احتمالات ، تحققت اليوم ، أن الوطن العربي يحمل في أحشاء طبقاته الجيولوجية أكبر مستودع للبترول الذي بدأ الكشف عن الخيوط الأولى له في الساحل المصري للبحر الأحمر في مناطق الغردقة وسفاجة حيث حصل الخواجة (باديروس) على أول رخصة للبحث عن البترول في الوطن العربي) بتاريخ ١٨٥٩/٩/٢٩م ثم حصل المستر (باورمان) سنة ١٨٦٨م على رخصة لاستغلال البترول في مناطق غرندل وحمام فرعون شمال شرقي مصر بشبه جزيرة سيناء .

وإذا قلب الواحد منا اليوم بصره مرات فيما حوله من وسائل العيش طعاماً وملبساً ودواء وسيارة وطائرة لابد وأن يجد للجيولوجيا أثرها فمشتقات الخامات المعدنية

وأنواع أحجار البناء والزينة والأحجار الكريمة ، مما لا يستغني الانسان في الزمن المعاصر عنه ، ومشكلة المشاكل التي تبني عليها القوى العالمية سياستها أن ما تخرجه الجيولوجيا من أحشاء الأرض إذا نضب فإنه لا يعود .

فأشجار الغابات ومحاصيل الحقول تتجدد ، والماء والهواء يتجددان ، أما الثروة المعدنية ومعها البترول والغاز الطبيعي فانها لا تتجدد ولابد عل الدوام من الحصول على محاجر ومناجم فيها احتياطيات كافية جديدة حتى تحت سطح البحر ، وإلاّ فسوف يأتي على الانسان حين من الدهر لا تكون فيه هذه الحضارة والمدنية شيئاً مذكوراً ، وتتحقق نبوءة (ج. و . موررى) وهي أن الدنيا كلها ستعود إلى ظهور الابل كوسيلة للمواصلات ولبيوت الشعر ومساكن الطين كمأوى كما أنه إذا حدث وقامت حرب نووية ماحقة فإنه لا يتسنى لمن يبقون أحياء على سطح هذه الأرض أن يعيدوا أطوار التاريخ الانساني من الحجرى إلى النحاسي فالبرونزي فالحديدى كما أسلفنا بل سيظلون يسيرون في أماكنهم عند العصر الحجري وعند ذلك يصبح حجر الصوان الذي صنع منه الانسان كل أدوات العصر الحجري في افريقيا وآسيا وأوروبا والأمريكتين منذ عشرات القرون ، وكما يصنع اليوم بعض سكان أدغال وجزر الفلبين وأهل استراليا الأصليين منه السكاكين ورؤوس السهام والحراب والمكاشط والفئوس ، فيصبح ذلك الحجر أثمن ما تنتجه الأرض من خامات تماماً كما كانت الحال في الجزر البريطانية قبل احتلال الرومان لها بعدة قرون حيث كان الصوان هو مادة التجارة العظيمة الأهمية بين الجزر البريطانية والقارة الأوروبية .

فالثروة المعدنية على جانب كبير من الأهمية للانسان منذ خلقه الله على هذه البسيطة ، والحصول عليها ، كما أسلفنا هو من منافع أو مضار الجيولوجيا مادياً .

ولكن الجيولوجيا في علاقاتها بالانسان ليست قاصرة على المادة والاقتصاد ، بما لها من قدرات بمختلف فروعها ، على استنباط ما ينفع المسيرة الحضارية للانسان من

صخر وحجر وما يحتويانه من بترول وغاز وماء ومعادن وخامات فحسب ، إذ أن لعلاقة الجيولوجيا بالانسان جانبها الروحي والجمالي أيضاً ، إذ أنها كعلم ، تتصدى بالمقام الأول للإجابة عما لاشك في أنه اختلج في خاطر الانسان منذ مئات القرون من سؤال ما هية الأرض ونشأتها وعلاقاتها بما في كون الله الفسيح من الأجرام السماوية من أقمار وكواكب ونجوم ومذنبات وسدم ومجرات ونيازك ، وكيف تكونت صخورها تلك العديدة الأشكال والألوان ... وكيف ارتفعت جبالها وهضابها وغارت أوديتها وخيرانها ولماذا تثور براكينها وتقذف بلابتها وحممها في مواضع معينة من سطحها وكيف تحدث زلازلها المدمرة ، وهل كانت بحارها ويابسها كذلك منذ خلقها الله أم أن يد القدرة بنواميسها الثابتة قد عدلت شكلها وغيرته وما مدى ذلك التغيير وأبعاده ، وهل حدث خلال الزمان في رتابة ثابتة أم من جراء كوارث مأساوية اصابتها خلال الأحقاب وما عمر هذه الارض ، وبأى نوع من الأحياء عمرها الله منذ فطرها ؟ فهذا الجانب من علم الجيولوجيا (علم دراسة الأرض) أو فلسفتها هو الوجه الروحي الذي لا معنى للجيولوجيا بدونه ، إذا كنا ندرك أنه كما جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام (ليس بالخبز وحده يحيا الانسان) وبالتالي ليس بالخامات المعدنية وحدها تكون فائدة علم الجيولوجيا للانسان ، ولكن أيضاً بمحاولة علمائها الإجابة عن ذلك السؤال الخالد العميق (ما هو تاريخ هذه الأرض التي نعيش عليها ؟) وهي واحدة من كواكب تسعة تدور في أفلاكها حول الشمس تلك النجمة المتواضعة من المجرة الدنيا التي تحوى ما لا يقل عن مائتى مليون مجموعة شمسية ، وهي واحدة فيما احصاه العلماء حتى اليوم من ألفي مليون مجرة ، والمجرة جزء من الكون يشبه العدسة ويبلغ قطر دائرتها ما لا يقل عن سبعين ألف سنة ضوئية ، وتبعد أقرب مجرة عن مجرتنا بمقدار مليون سنة ضوئية أي أن الضوء يصل إلينا من مجرة (أاندروميدا) بعد مليون سنة وهو منطلق بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر (١٨٦ ألف ميل) في الثانية الواحدة ، في هذا الملكوت الذي خلقه من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

ما دور العرب في تطور علم الجيولوجيا ؟

الجيولوجيا .... كلمة معربة ذات أصل أغريقي جاءت من كلمتى (جيو ومعناها الأرض .. كرة الأرض) و (لوجوس أو لوجيا .. ومعناها علم أو دراسة أو تمحيص) وهي حديثة الدخول إلى قاموس العلوم ومعجم مصطلحاتها ..

والمشهور أن الذي أدخلها إلى الوسط العلمى هو الطبيب السويسرى الذي كان يعمل مستشاراً في بلاط (وندسور) بانجلترا للملكة (شارلوت) وكان ذلك في سنة ١٧٧٨م وكان اسم الرجل (جان أندريه ديلوك) .. ومن مؤرخى العلوم من يعزو التسمية إلى العالم البريطاني (روبرت لوفيل) سنة ١٦٦١م وأنه قد استخدمها للتمييز بين علوم (الثيولوجيا) أو السماوية و (الجيولوجيا) أو الأرضية كالنبات والحيوان والحجارة والخامات المعدنية والمياه وما إلى ذلك من دراسات تخص الأرض وما عليها من جبال وبحار .

والجيولوجيا أحد علوم المشاهدة .. أي تلك التي تبني على ما يشاهد في الطبيعة خارج جدران المعمل فهي في ذلك تشبه الفلك وتختلف عن الكيمياء والفيزياء والرياضيات .. وفلسفتها بغض النظر عن الجانب الاقتصادي فيها : من بحث عن الخامات المعدنية ومظانها ، ومكامن البترول والغاز الطبيعي والماء الباطنى في أحشاء الأرض تبحث أساساً في تاريخ الأرض وقصة وجودها في كون الله الفسيح الرحيب .. وللوفاء بالغرضين ، العلمي والاقتصادي .. نجد الجيولوجيا تعتمد على العلوم الأخرى للوصول إلى أهدافها فباستخدام الكيمياء ومفاهيمها تعرف الجيولوجيا كيان الصخور والحجارة والخامات المعدنية وتركيبها الكيماوى ومن الفيزياء نستمد خبرتنا عن خصائص الصخور وصفاتها وبنيتها ، ومن الحيوان والنبات نعرف الأطوار التي خلق الله بها الأحياء منذ ان جعل سبحانه تلك الأرض صالحة للحياة .. ومن الهندسة والرياضيات نعرف الصفات الهندسية لتلك الكائنات غير الحية أو (البللورات) التي

تتكون منها معظم الخامات المعدنية والصخور والحجارة وتمايزها عن بعضها البعض .. وتنظم فهمنا لتركيب القشرة الأرضية وطبقاتها .. ولذلك نجد هذا العلم الذي يسمي الجيولوجيا اليوم يشمل عدة فروع لكل فرع منها اسم ، ويكاد كل فرع أن يكن مستقلاً بذاته في اساليب دراسته واستنباط مفاهيمه ونظرياته ، ولكنها جميعاً روافد نهر واحد هو (نهر معرفة تاريخ هذه الأرض) التي نعيش عليها ، متي نشأت وإلى أين تسير ؟

ولقد تعود الناس في زماننا هذا حين يقرأون تاريخ أى علم من العلوم أن يرجعوه إلى الاغريق والرومان ناسين من قبلهم من حملة لواء الحضارة كالمصريين والبابليين ومتناسين من بعدهم ، وهم العرب .

ولعل من العجيب ان نعرف أن (الحس الجيولوجي) قد تولد لدى الانسان العربي ، واقصد بالانسان العربي كل انسان كتب باللغة العربية علماً ، تحت ظل الراية (الاسلامية) التي اتاحت للعرب حمل لواء الحضارة الانسانية في فترة من الزمان يسمونها القرون الوسطى .

نجد الشاعر العربي الأموي (الطرماح) يقول :

لنا الملك إذ صم الحجارة رطبة ... وعهد الصفا باللين من اقدم العهد !!

فيحمل لنا البيت نظرية جيولوجية يقولون إنها نشأت على يد الطبيب الاسكتلندي (جيمس هاتون) سنة ١٧٨٥ وفيها يقولون إن الأرض وحجارتها (التي كانت يوماً ما رطبة طرية قد نشأت منذ زمان لا يتفق مع تفسيرات الكاهن الايرلندي (أوشر) الذي حاول سنة ١٦٥٠ أن يفرضه على الناس مدعياً الاستناد إلى (الكتاب المقدس) ؛ راياً يقول بأن الأرض خلقت سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد .. وكان العالم أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني قد قال قبل هاتون بألف عام من الزمان أن عوامل النحت والتعرية لابد وأنها تعمل عملها في سطح الأرض منذ ما لا يقل عن (أربعة آلاف مليون) سنة وهذا رقم لا يختلف كثيراً عما يقره العلم اليوم بوسائله وأدواته وقياساته الدقيقة .

كما أن البيروني الذي وصفه المستشرق أدوارد سخاو ١٨٥٠م بأنه أعظم عقلية ظهرت في التاريخ الانساني . قد درس الكثافة النوعية لعدد من البلورات التى تصنع منها الأحجار الكريمة وأعطانا أرقاماً لا تختلف كثيراً عما نعرفه اليوم : بوسائل لم تكن بالتأكيد مثل وسائلنا المعاصرة من حيث قدرتها على الدقة . أما ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) فكان أول من دحض فكرة العناصر الأربعة (التراب والماء والهواء والنار) وأنها هي مكونات مادة الأرض وبذلك فتح الطريق على مصراعيه لنعرف أن الأرض تتكون من صخور . نارية كالجرانيت ، ورسوبية كالحجر الجيري الذي يغطي سطح أرض شبه جزيرة قطر كلها تقريباً ، ومتحولة كالرخام والشيست الذي يكثر في جبال غرب المملكة العربية السعودية وعلى الجانب الغربي للبحر الأحمر في مصر والسودان : وبركانية كتلك اللابة والحمم التي تقذف بها البراكين ، وطفحت منذ زمن حول المدينة المنورة معطية إياها ذلك اللون الغامق والتربة الزراعية الطيبة ، وأن الصخور تتكون من معادن ذات ألوان وصلابة متمايزة وشكل بللورى يتبع واحدا او اكثر من (اثنين وثلاثين) نظاما بللوريا ، وان تلك المعادن تتكون من عناصر كيماوية يبلغ عددها فى مادة الارض اثنين وتسعين عنصرا اخفها الهيدروجين واثقلها اليورانيوم .. ولولا ابن سيناء ماكان ذلك الفتح العلمى ليكون ، كما أنه لولاه لما وضعت نظريات تكون الجبال بالحركات الأرضية ولما استطاع علماء اليوم أن يصلوا إلى تحقيق أن الله سبحانه عمر الأرض بانواع الحياة فيها وأفنى أنواعاً وأجناساً خلال الأحقاب تختلف بعضها عن بعض ، ولكنها تعطينا اليوم الفرصة لكي نصنف طبقات الأرض إلى أعمار ونعرف جغرافية سطح الأرض وما اعتراه من تغيرات خلال ملايين السنين . ولعل في قصة القزويني الرمزية عن أحد الصالحين الذين افترض فيهم أن الله قد مدهم بعمر يبلغ آلاف السنين كان يطوف بالأرض المعمورة مرة كل خمسمائة عام وكان يجد المكان الواحد خلال هذه المدة قد تغير من بحر إلى يابسة أو العكس ، وذلك لتفسير

وجود طبقات من الحجارة بها مستحجرات من أحياء بحرية لاشك فيها وأن طبقات الأرض تتكون من ساف فوق ساف منذ زمان بعيد قديمها في أسفلها وحديثها في أعلاها قبل أن يصوغ لنا (نيوقلاوس ستينو) نظرية تعاقب الطبقات (سنة ١٧٦٧) بأكثر من ألف عام .

تلك مجرد إشارات لشيء من اسهام العرب في تقدم الفكر البشري وما خفي في المخطوطات لاشك أنه أعظم وأجل ويحتاج لجهود تتضافر بأمانة وصبر للكشف عن مزيد من الإسهامات الهامة .

ما معني الخريطة الجيولوجية :

إذا نظر المرء غير المتخصص إلى الخريطة الجيولوجية كخريطة شبه جزيرة قطر مثلا يرى مساحات ملونة بألوان مختلفة ويرى خطوطاً وعلامات ورموزاً تكاد تكون بالنسبة له طلاسم وأسراراً .. فأن شبه الجزيرة يغطي معظم سطحها صخور ما يسميه الجيولوجيون (تكوين الدمام) التابع لعصر الايوسين الأوسط ، وفي بقاع متناثرة في الربع الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة تغطي الايوسين الأوسط صخور أخرى نسميها (تكون اللدام) التابعة لعصر المايوسين الأدني والأوسط فوقها بقايا من تكوين الهفوف التابع لعصر المايوسين العلوي وعصر البلايوسين ، ثم تعلوه في الشمال والجنوب مساحات من رواسب السباخ والرمال السافية التابعة للحقب الرباعي أو الحديث .

أما طبقات ما تحت الأيوسين الأوسط فتقع غرب الدوحة وقرب الحدود الجنوبية وقرب الشمال الشرقي وقرب وسط الساحل الغربي حيث توجد هنالك طبقات (تكوين الرس) التابعة للايوسين الأدني ، وفي وسط شبه الجزيرة خط يكاد يكون مستقيماً من الشمال للجنوب تقطعه خطوط صغيرة على هيئة اسهم تشير شرقاً وغرباً ، معبرة بذلك عن أن الطبقات تميل صوب الشرق والغرب من وسط شبه الجزيرة مكونة قبوة

كبيرة تكاد تكون على اتساع شبه الجزيرة كلها وتوازيها قبوة أخرى إلى الغرب تشمل منطقة دخان وأم باب . ولكن ما معني الكلام الذي سبق وماذا استفاد منه الانسان غير المتخصص ، وما هي تلك الألفاظ الغريبة (تكوين) و (ايوسين) و (مايوسين) .. ؟

قلنا أن كل لون فى الخارطة يعبر عن عصر أو زمن ، في تاريخ حياة الأرض وترسبت طبقاته وتكونت أحجاره وصخوره خلال فترة من الزمان أي أن الخطوط الفاصلة بين الألوان هي (حدود زمانية) فوق أنها حدود (مكانية) ولم يتوصل العلماء إلى عمل (الخريطة الجيولوجية) هكذا دون عناء ومحاولات متتالية مضنية .. ولقد كان أول ممن فكر في عمر الأرض وضرورة أنه كبير جداً كما أسلفنا هو العلامة أبو الريحان البيروني ، وكان أول من تكلم عن الحركات الأرضية التي كونت الجبال وقال إن وجود المستحجرات من النبات والحيوان في الصخور يدل على حركة البحر علواً وانخفاضاً هو العلامة أبو علي ابن سينا في القرن الحادي عشر الميلادي .

ولقد كانت الخرائط الجيولوجية فيما قبل سن ١٨١٥م مجرد خرائط ملونة أيضاً ، ولكن الألوان فيها لا تدل على (الزمان خلال المكان) ولكنها تدل فقط على العلاقة المكانية بين صخور الأرض وأنواعها المختلفة النارية والمتحولة والرسوبية والبركانية . ولكن عندما لاحظ (وليام سميث) في تلك السنة أثناء اضطلاعه بحفر الإنفاق لمد السكك الحديدية في انجلترا ، أن الصخور الرسوبية تتكون من طبقات يعلو بعضها بعضاً ، وأن في كل طبقة مجموعة من المستحجرات من القواقع والمحارات وعظام الحيوانات وأوراق النبات تختلف من طبقة إلى أخرى ولكن يمكن بها تتبع الطبقة الواحدة بدليل محتواها من المستحجرات إلى مسافات بعيدة وهنا بدأت نشأة علم الاستراتيغرافيا أو الطبقات أو (الوحدات الصخرية الزمانية) بالنسبة لبعضها البعض، أى معرفة الأقدم والأحدث نسبياً دون إمكانية لمعرفة العمر المطلق بالسنين والأعوام ..

وقامت محاولات عديدة بعد البيروني ، لمعرفة العمر المطلق للأرض ، مرة بحساب كمية الملح في بحار الأرض ومقارنته حسابياً بمعدل ما تنقله الأنهار والوديان إلى تلك البحار من الملح من سطح اليابسة في السنة الواحدة ، وبعملية حساب ، ظنها الباحثون آنذاك يسيرة أمكن الوصول إلى أن عمر الأرض بضعة ملايين من السنين وكان رقماً غير مقبول لدى معظم العلماء ، ثم قامت محاولة أخرى بقياس معدل ترسيب الصخور الطينية في العام الواحد في مكان بعينه ثم قياس السمك الكلي للطبقات التي من نفس النوع وبالحساب أيضاً خرج رقم ولكنه كان غيرمقبول أيضاً .. وظل العلماء يرسمون الخرائط الجيولوجية لبقاع وأقطار الأرض المختلفة بالعلاقة النسبية لأعمار الصخور والطبقات حتى قيض الله للأنسان استخدام العناصر المشعة لاستخراج العمر المطلق بالسنين والأعوام بدقة لم يسبق لها نظير .. فمن المعلوم أن العناصر المشعة كاليورانيوم تتحطم ذراتها خلال الأعوام والسنين متحولة الى ذرات نوع من الرصاص ، وبمعرفة أن تحطم الذرات خاضع لناموس دقيق يقاس بالثواني وملاين السنين أمكن التوصل الي أن تحليل صخر ما ومعرفة ما فيه من اليورانيوم والرصاص معرفة دقيقة تعطينا بحسبة دقيقة بسيطة عمر ذلك الصخر.

ومن هنا وبعد إجراء آلاف التحليلات أمكن القول بأن عمر أقدم صخور الأرض لا يقل عن أربعة آلاف وخمسمائة مليون عاماً .. وزاد ذلك إلى ما يقارب ستة آلاف مليون عاماً بعد تحليل صخور القمر والكثير من النيازك والرجوم والكسف التي تصل إلى الأرض من فضاء المجموعة الشمسية .. ثم نعود إلى تلك الألفاظ الايوسين والمايوسين لنتناول شيئاً من المعرفة عنها معاً .

فنقول إن العلماء بعد أن اطمأنوا باكتشاف وليم سميث سنة ١٨١٥م إلى أن محتوى الطبقات من المستحجرات ومعرفة الأدني منها والأعلى تمكنوا خلال المائة عام التالية لذلك الاكتشاف أن يؤكدوا أن طبقات الصخور الرسوبية منذ ظهور الحياة بأمر الله

على هذه الأرض يمكن سردها في النسق التالي من الأقدم إلى الأحدث .

١- العصر الكامبري نسبة إلى اقليم ويلز البريطاني وكان اسمه (كامبريا) .

٢- العصر الاردوفيشي ، نسبة إلى قبائل الاردوفيش البريطانية القديمة .

٣- العصر السليوري ، نسبة أيضاً إلى قبائل بريطانية مندثرة .

٤- العصر الديفوني ، نسبة إلى اقليم ديفونشاير ببريطانيا .

٥- العصر الفحمي أو الكربوني ، نظراً لكثرة الفحم في طبقاته بانجلترا .

٦- العصر البرمي ، نسبة إلى اقليم برميا في روسيا شمال البحر الأسود وكل ما سبق سموه حقب الحياة القديمة .

٧- العصر الترياسي أو (الثلاثي الألوان) نظراً لأن أول طبقاته التي اكتشفت في المانيا كانت من ثلاثة أنواع متمايزة في اللون .

٨- العصر الجوروي أو الجوارسيكي ، نسبة إلى جبال جورا بين سويسرا وايطاليا وفرنسا .

٩- العصر الطباشيري ، نظراً لأن جل طبقاته من صخور الطباشير الجيرية بجنوب انجلترا وشمال فرنسا ، وسموا ذلك الذي سبق من العصور مجموعة عصور الحياة الوسيطة ، وتلي ذلك.

١٠- عصر الباليوسين فالايوسين فالاوليجوسين فالمايوسين فالبلايوسين فالبليستوسين.

وهذه الألفاظ التي يعنينا أن يعرفها القارىء جاءت من ألفاظ اغريقية ، لأن الجيولوجيين شأن غيرهم من العلماء مولعون باشتقاق اسماء الصخور والمعادن والمستحجرات والعصور من لغة الاغريق ، كدليل على التعصب العميق ، فكلمة (سين) معناها الحديث ، (وبال) معناها القديم ، و(ايوس) معناها الفجر ، (اليجو) معناها

الأقل ، و (مـايوس) معناهـا المنتصف أو المتسـاوي و (البـلايو) مـعناها الأحـدث : وقد سك العلامة السير (تشارلس ليلل) في القرن التاسع عشر تلك الألفاظ لتمييز عصور حقب الحياة الحديثة بقياسه لنسبة المستحجرات المندثرة من القواقع والمحارات الى تلك التى لا تزال تعيش في بحارنا اليوم عدداً ووجد أنه كلما تقدم من الايوسين الي البلايستوسين وجد أن نسبة الحديث تزداد رويداً ومن هنا قسم طبقات تلك الحقبة من الزمان بتلك الأسماء الأعجمية علي سمع الإنسان العادي .. واصطلح العلماء على أن يلونوا المساحة المغطاة بطبقات كل عصر جيولوجي بلون خاص متفق عليه دولياً .. كما ترى في ألوان خريطة قطر الجيولوجية . فالخريطة الجيولوجية الملونة تلك تنبيء عن الطبقات التي تغطي سطح الأرض في مكان ما وبالتالي تنبيء عن ما يحتمل من تتابع للطبقات تحت ذلك السطح .. أما كلمة تكوين الرس أو الدمام أو اللدام أو الهفوف ، فتلك مصطلحات يتخذها الجيولوجي الذي يعمل في مكان ما ليسمي بها مجموعات الطبقات من رملية وجيرية وطينية ودولوميتية ريثما يتسنى للمختصين في علم الحفريات أو المستحجرات أن يدرسوا ما جمعه أثناء العمل من تلك الطبقات ليمكن إدخال هذه التكاوين في التتابع الزمني العالمي للطبقات ، وهو ذلك الذي أسلفنا .. وليس شرطاً أن نجد طبقات كل العصور في كل الاقطار ظاهرة على سطح الأرض أو تحت السطح ، فيمكن أن يكون بحر في عصر ما خلال تاريخ الأرض يغطي بقعة منها ويرسب فيها الطبقات الدالة عليه بحفرياتها بينما كانت أرض دولة أخرى في ذلك الزمن غير مغطاة بالبحر ومن ثم لا توجد فيها طبقات ذلك العصر أو أن طبقات ذلك العصر ارتفعت إلى السطح بفعل الحركات الأرضية واعترتها عوامل التعرية من رياح ومياه فازالتها قبل أن تعيدها الحركات الأرضية إلى قاع البحر مرة أخرى لتترسب طبقات العصر التالية لها فيحدث هنالك (لا توافق) كأن تجد طبقات الدمام التي تغطي معظم أرجاء شبه جزيرة قطر تغطيها مباشرة طبقات اللدام من المايوسين الأدنى، وبذلك لا تجد طبقات الايوسين العليا وطبقات الاوليجوسين في الخريطة الجيولوجية

لشبه جزيرة قطر حيث يناقش العلماء غياب تلك الطبقات من الزمن الجيولوجي نقاشاً طويلاً وكل يأتي ببراهينه لتعضيد قوله ، وقد يكتشف باحث خلال ذلك النقاش ما يقلب ما فلسفوه رأساً على عقب وهذه سمة من سمات الجيولوجيا ، حيث لا تزال تلك القاعدة القائلة (لا يتفق جيولوجيان) سارية المفعول إلى حد ما وكذلك تلك التي نادى بها العلامة الألماني (هانس كلوس) والتي تقول إن (ذلك الذي لا يولد جيولوجياً بفطرته ليس من السهل أن تصنع منه جيولوجياً) .

ولقد صاحب تاريخ الجيولوجيا والتخريط الجيولوجي بعض الفكاهات كتلك النظرية التي نادى بها قسيس ايرلندي اسمه (أوشر) سنة ١٦٥٠ وفيها أقسم بكل عزيز لديه أنه طبقاً لما في كتبه الدينية فإن الله تعالت قدرته قد خلق الأرض يوم الأربعاء في شهر ما من سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وأن من قال بغير ذلك فهو كافر زنديق لا يخرج من جهنم أبد الأبدين .

الشهب والنيازك والرجوم

طفق العلماء يدرسون صخور قشرة الأرض قروناً عدة حتى قبل ظهور كلمة (جيولوجيا) كعلم من العلوم الحديثة .

واستطاعوا بالصبر والمثابرة ان يصنفوا صخور القشرة الارضية الى انواع اربعة النارية والمتحولة والرسوبية والبركانية ، وقسموا كل صنف من تلك الانواع الى مجموعات وعائلات من حيث اللون والصلابة وأصل التكوين والخواص الهندسية ووجدوا كما أسلفنا أن كل صخر يتكون من مجموعة من المعادن ، وعرفوا (المعدن) بأنه مركب كيماوي ذو صفات بللورية وكيماوية مميزة له وهو ناتج من تفاعلات المادة غير الحية في قشرة الأرض وبذلك أخرجوا أحجاراً كالفحم والكهرمان واللؤلؤ والمرجان من قائمة المعادن لأن لها أصولاً حيوانية أو نباتية .. ثم وجدوا أن جميع معادن صخور وأحجار قشرة الأرض تتكون من العناصر المعروفة في الجدول الدوري للعناصر الكيماوية لا تزيد عليها فيما بين الهيدروجين واليورانيوم ، وزادوا علماً باثبات أن العناصر المكونة للشموس (النجوم) والكواكب والأقمار وغيرها من الأجرام السماوية كلها تتكون أيضاً من هذه العناصر الاثنين والتسعين .

ولما حسب العلماء حجم الأرض وحسبوا وزنها وجدوا أن متوسط كثافتها يفوق (٥جم/سم٣) بينما متوسط كثافة صخور القشرة التي عرفوها وأطلقوا عليها وعلى المعادن المكونة لها من الأسماء ما شاء لهم (مزاجهم) ان يفعلوا ، وجدوا أن متوسط تلك الكثافة يزيد على (٢ج/سم٣) قليلاً فوقعوا في حيرة من أين جاء ذلك الفرق ؟

ولكن المشتغلين بالعلم لا يرتبكون عندما تجابههم مشكلة من هذا القبيل ، فأطلقوا العنان للخيال العلمي الرصين المبني على المنطق ، فوجدوا أنه من الممكن تصور أن كيان كرة الأرض ليس شرطاً أن يكون كله من تلك الصخور التي عرفوها في قشرتها البالغ متوسط سمكها قرابة أربعين كيلومتراً فقط تحت القارات .

وساعدهم على ذلك دراسة انتشار موجات الزلازل الطبيعية والصناعية خلال كرة الأرض وصخورها وتبين لهم أن قلب الأرض يمكن أن يكون كرة من سبيكة (الحديد والنيكل) لا يقل قطرها عن (٢٦٠) كيلومتراً . ولكن كيف السبيل للوصول إلى عينة من باطن الأرض ذاك ؟ إن الوصول إلى الكواكب بسفن الفضاء اقرب منالاً من الوصول إلى باطن الأرض وأخذ عينة منه .

وجد العلماء فرصة طيبة في دراسة النيازك أو الرجوم وهي تلك (الآثار العلوية) كما سماها العلامة ابن سينا ، ومقارنتها بمكونات مادة الأرض فيما تحت قشرتها إلى مركزها .

وقد جاء ذكر النيازك تلك في كثير من تواريخ الصين والهند وبابل وأشور ومصر القديمة وأوروبا . وفي أوائل القرن التاسع عشر ، وعلى ضوء أن اسحق نيوتن لم يترك في فضاء الكون مكاناً لغير النجوم والكواكب والمذنبات والأقمار ، أنكر العلماء ان هنالك (أحجاراً) أو (قطعاً من الحديد) تسقط من السماء إلى الأرض ، وطلبوا إلى متاحف العالم أن تلقي في المهملات ما عندها من تلك النيازك والرجوم ، وعقدوا مؤتمراً صاخباً في مدينة (لايجل) الفرنسية ، وألقي بعض العلماء أبحاثاً ومحاضرات تنكر إنكاراً باتاً ذلك الذي يشيعه عامة الناس عن سقوط أحجار سماوية ، وبينما أخذ العلماء الذين لم يلقوا أبحاثهم بعد ، يستعدون ، إذا بهرج ومرج وأصوات كصوت الرعد وقرقعة تشبه قصف الرشاشات الثقيلة ، تدفع بالمجتمعين للخروج من قاعة المحاضرات ليجدوا (العامة) قد جمعوا أحجاراً سقطت لتوها من الفضاء الخارجي على هيئة (زخات مطر) طارئة ، وجمعوا في اليوم التالي بضع مئات من تلك الأحجار .. وشاء الله أن تكون تلك الحادثة نذيراً لأولئك الذين يتخذون من العلم وسيلة للتشبث بالانكار ، لمجرد الانكار .

ومنذ ذلك اليوم (٢٦/٤/ ١٨٠٣م) ، بدأ العلماء يؤمنون بأن ملكوت الله واسع رحب لا تدركه العقول والأفهام المحدودة لبني آدم ، وأن هناك أحجاراً تأتي من الفضاء فعلاً وعرفها الانسان منذ عشرات القرون ، حتى إنك لتجد من أسماء الحديد عند البابليين وقدماء المصريين ما يدل على أنهم عرفوا (قطعاً من الحديد) كانوا يرونها تسقط من الفضاء الخارجي بضوء وضوضاء ، مما تصاحب ما يسقط من السماء في أنحاء الأرض جميعاً . ومنذ ذلك التاريخ بدأ العلم الحديث بجرد آلاته ومنطقه لدراسة تلك النوازل والرجوم .. واستطاع العلماء ان يقسموا النيازك إلى ثلاث مجموعات رئيسية :

١. النيازك الحديدية

٢. النيازك الحجرية

٣. النيازك الحجرية الحديدية .

وقسموا كل مجموعة من تلك المجموعات إلى أقسام ورتب طبقاً لاختلافات بينها من حيث كيانها المعدني ونسيجها البلوري ، ووجدوا أن نسبة عنصر النيكل في الشهب أو النيازك الحديدية يميزها عن خامات الحديد الأرضية وإنك إذا أخذت قطعة من نيزك حديدي وصقلت سطحها ثم نقعته في محلول مخفف من (حامض النتريك في الكحول) فإن ذلك المحلول (ينقر) وجه النيزك مبيناً عليه خطوطاً ورسومات هندسية غريبة لا توجد في اى سبيكة نصنعها على الأرض من الحديد والنيكل ، ومنها أن بعض النيازك الحجرية تتكون من حبيبات مجهرية أو فوق مجهرية مكورة لا توجد في صخور الأرض قط وكان أول من لاحظ ذلك هو العلامة ابن سينا فسماها النيازك (الجاورسبة) نسبة إلى أنها تشبه حب (الجاورس) إذا التحم ببعضه والتصقت حبيباته معاً .

ولقد قسم العلماء النيازك عموماً ، إلى نيزك (مشاهد) أي ذلك الذي شاهد سقوطه بعض الناس ، ونيزك (لقيا) أي لقيه بعض الناس في مكان ما ولكن أحداً لم

يشهد سقوطه . وتبين أن الشهب التي يشاهدها الناس في الليالي الظلماء الصافية هي أصل النيازك ، إذ يتراوح حجم النيزك بين بضعة مليجرامات وبضعة آلاف الأطنان فإذا ما دخل جو الأرض ، على ارتفاع ، مائة ميل ، بسرعته تلك التي تتراوح بين ثلاثين وستين كيلو متراً (١٩ - ٣٨ ميلاً) في الثانية ، بالمقارنة إلى رصاصة البندقية التي سرعتها (٨٢٠) متراً في الثانية ، فإن ذلك يتسبب في احتراق سطحه (وقد يحترق كله فلا يصل منه للأرض شيء) حتى إذا ما وصل للأرض كانت بقاياه نيزكاً نشاهده أو نلقاه يوماً ما .

ولقد حسب العلماء أن نيزكاً يزيد وزنه على مائتي طن ، إذا وصل إلى الأرض فإنه يتسبب عن اصطدامه بها كمية من الحرارة تحيله إلى بخار فلا يتبقي منه شيء إلا تلك الفوهة التي يتركها على سطح الأرض شاهدة على سقوطه يوماً ما ، كما في صحراء أريزونا بأمريكا حيث توجد فوهة دائرية عجيبة يبلغ قطرها حوالي (١٦٠٠) متراً وعمقها (٢٠٠) متراً ، وحسب العلماء أنها نتيجة اصطدام نيزك حديدي بالأرض منذ عشرين ألف سنة وكانوا يظنون أن كتله الحديد لازالت موجودة في قاع الفوهة ، بيد أن الأبحاث والحفائر لم تسفر عن منجم للحديد كما كان يتوقع المهندس(د.م.بارنجر) سنة ١٩٠٠ .

ولم يتثبت العلماء من أن الفوهة ناتجة عن نيزك تبخر أثر اصطدامه بالأرض إلاّ بعد أن اكتشف الجيولوجي (شاو) وجود معدن (الكويسايت) الذي يتركب من ثاني أوكسيد السليكون (كالرمل) ولكنه يوجد على صورة بللورية لا يمكن أن تتكون إلاّ تحت ضغط عال جداً لا يتأتي إلاّ من اصطدام كتلة ضخمة هائلة برمال صحراء أريزونا حيث الفوهة المسماة (كانيون ديابلو) .

وللنيازك لدى العلماء أسماء ، سواء أكانت مشاهدة أم لقيا ، والأسماء تعطي للنيزك

من أقرب موقع جغرافي له مثل نيزك (اسنا) الذي عثر عليه الجيولوجي المصري محمد الحناوى في الصحراء الغربية المصرية ، وهو من نوع النيازك الحجرية الجاورسية الكربونية أي التي تتميز بوجود عنصر الفحم فيها .. ومثل النيزك الحديدى الذي لقيه الجيولوجي البريطاني (مورتون) بمنطقة (الغابة) في صحراء سلطنة عُمان ، ويعرف عالمياً اليوم باسم نيزك الغابة العُماني . .

ولقد أدت ابحاث الفضاء في ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى الاهتمام بدراسة النيازك دراسة مستفيضة وكذلك دراسة غيرها من الأجسام (غير الأرضية) التي يسميها العلماء صخور (التكتايت) أو (المصاهير) أى تلك الأنواع من الزجاج الطبيعي التي تدل أشكالها على أنها تجمدت وهي ساقطة من علو في حالة انصهار ، منها ما يشبه المغزل وما يشبه دموع العين ونقط الماء ، ويتراوح لونها بين الأسود الفاحم والأخضر الزبرجدي . وهذه التكاتيت أو (المصاهير) موضع نقاش طويل بين العلماء لأن أحداً لم يشاهد قط سقوطها من الفضاء فعلاً . فكل ما وجده العلماء منها في تشيكوسلوفاكيا وأمريكا واستراليا وأندونيسيا وماليزيا وساحل العاج في غرب افريقيا وفي الصحراء بين مصر وليبيا جميعها من أنواع (اللقيا) حتى أن من العلماء من ينكر أن أصلها من الفضاء ، بل إن هنالك ما يشير إلى كونها من ترسيبات عيون المياه الحارة كما يقول بعض الباحثين الألمان عن زجاج السليكا في مصر والصحراء الليبية .

والبعض يقول إنها ، أى (التكتايت) نتيجة سقوط نيازك ضخمة تسببت في صهر مادة الأرض وصخورها فتطاير الصهير في الفضاء عدة أميال إلى أعلا ثم تساقط قطعاً منصهرة جمدت قبل وصولها للأرض . وخلاصة القول أن النيازك بأنواعها الحديدية والحجرية وكذلك التكتايت أو المصاهير لم تزل موضع دراسات جيولوجية وأبحاث عديدة.

ونجد أن كثيراً من البدو يعتقدون في أن بعض الحفر الغريبة في أرجاء قطر ، بما في ذلك بعض (الدحول) جاء بسبب (وقوع النجوم) والبدو في كل الصحارى العربية يعتقدون أن النيازك هي (الصواعق) وأنها قطع من النجوم (تطيح) من الفضاء فتثقب الأرض ، وشتان بين النيزك والصاعقة .

الأحجار الكريمة

الأحجار الكريمة محط إعجاب واهتمام كافة سكان الأرض خلال التاريخ كله إلى يومنا هذا ويستوي في ذلك الشرقي والغربي والغني والفقير والقارئ والأمي فهي كجزء من (قصة الجيولوجيا) ذات شان لا يمكن إغفاله غذ تقوم عليها في أيامنا هذه تجارة ذات شأن كبير في الاقتصاد العالمي وتكتسب من وراء دراستها وتصنيعها خبرات تقنية وعلمية نشأت قبل أن تنتظم العلوم التي نعرفها بتقسيمها المعاصر .

فنقول عن الأحجار الكريمة ما يلي :

تؤدي عوامل التعرية (الماء والثلج والموج والكائنات الحية واختلاف درجات الحرارة وجاذبية الارض والتفاعلات الكيميائية) إلى تفتت الصخور ومن فتات وأشلاء الصخور ما يذهب بدداً ، ومنها ما تزيده عوامل التعرية والنقل هذه وضاءة وبهاء وصقلاً لأنه أكثر مقاومة وأشد صلابة واصبر على التحات من غيره ومن هذه الفئة الأخيرة (الأحجار الكريمة) وقد ثبت بالبحث أن الإنسان فيما قبل التاريخ المكتوب بقرون كثيرة كان ذا غرام بالحلى والتعاويذ منذ سكناه الكهوف في العصر الحجري القديم ، فكان يتخذ من القواقع والمحارات وعظام الحيوانات والعاج عقوداً وأساور وتمائم مختلفة الأشكال والأحجام وينقشها ويشكلها بأسلوب جمالي بديع .

ولقد استرعت الأحجار الكريمة اهتمام الانسان لأنه وجد فيها ما يميزها عن غيرها من فئات الصخور والأحجار (من لون زاه وصلابة فائقة وندرة) فأخذ يحتفظ ببعضها ويصقله ويحمله معه لجماله وحسن منظره ، مع اعتقاد يرافقه في خواص سحرية .

والراجح أن المصريين القدماء كانوا أقدم أهل الأرض عناية بالأحجار الكريمة واتخاذ الحلى منها وكذلك كان البابليون الذين بلغوا القمة في نقش فصوص الأختام بالذات في الألف الرابعة قبل الميلاد ، ثم وصل فن نقش الجواهر إلى ذروته في بلاد بابل على يد الأكاديين (٢٨٠٠ ق.م) واشتهرت في زمانهم الأختام المنقوشة بصورة

الملك (جلجامش) ، ثم زادت صنعة البابليين اتقاناً وفناً في عهد الملك العموري (حمورابي) صاحب الشرائع المشهورة (٢١٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) وفي أيام الكاسيين (١٨٠٠ ق.م) كانت النقوش على الأحجار الكريمة وزخرفتها قد بلغت أوجاً عظيماً لم يسبق له مثيل .

وكان الفينيقيون في الألف الرابعة قبل الميلاد قد جملوا لواء تجارة الأحجار الكريمة والعاج والكهرمان حتى شواطيء البلطيق ، وفي الألف الثانية قبل الميلاد بلغت مناجم الفيروز والزمرد المصرية أروع شهرتها وفي نفس الحقبة كان سكان أمريكا القدامي من قبائل (الازتيك ، والانكا) يعبدون الزمرد ويقدسونه كما كان هنود (الأباش) الحمر يؤمنون بأن الفيروز يساعد على تسديد الرمي في الصيد والحرب فزينوا سهامهم وحرابهم بفصوص مختلفة الأشكال من ذلك الحجر الكريم.

وكانت تعاليم كونفوشيوس (٥١١ - ٤٧٩ ق.م) في الصين تقضي بتقديس الأحجار الكريمة وخاصة الجاد (اليشب الأخضر) وظلت الهند وجزيرة سيلان فيما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن الثامن عشر بعد الميلاد المصدر الرئيسي للماس والياقوت بأنواعه ، حتى اكتشف الماس في البرازيل سنة ١٧٢٧ ثم في جنوب أفريقيا سنة ١٨٦٧ ثم في سيبريا سنة ١٩٥٥ بصورة لم يسبق لها مثيل .

ولقد اهتم الاغريق القدماء بالأحجار الكريمة واشتهر في تاريخهم خاتم (بوليكراتس) الذي توفي سنة ٥٢٢ ق.م وذكر كل من هيرودوت وبلاتو (أفلاطون) الأحجار الكريمة مثل السارد والجاسبر والزمرد والكهرمان في كتبهم ، ويعتبر ما كتبه (ثيوفرا ستوس) سنة ٣٠١ ق.م عن الأحجار الكريمة أقدم مرجع في علم المعادن (المينارولوجيا) وكان (ديودور الصقلي) أول من ذكر الزبرجد باسم (الطوباز) وقال إنه يستخرج من جزيرة البحر العربي (البحر الأحمر) وفي ايام الاسكندر الأكبر كانت الأحجار الكريمة رمزاً للغني والثراء وكان أباطرة الرومان يعنون بتزيين ملابسهم

بالأحجار الكريمة حتى ان (باولينا) زوجة (كاليجولا)(١٢-١٤م) كان لها ثوب مرصع بالزمرد واللؤلؤ (من جيدها إلى اقدامها) بحيث كان نسيجه مغطي تماماً بالأحجار وكان لزبيدة زوجة هارون الرشيد ثوب كامل من اللؤلؤ المشبوكة حباته بعضها ببعض .

وكان الرومان كذلك يرصعون أدوات المائدة ، بالأحجار الكريمة . ويذكر التاريخ أن قسطنطين دخل روما في عربة تجرها الخيل محلاة بالذهب والأحجار الكريمة ، التي كانت تتلألأ فتأخذ بالأبصار وأدى اهتمام الملوك والأباطرة والموسرين باقتناء الأحجار الكريمة متباهين بها متفاخرين إلى ضروب من الغش ومحاولة التقليد لا حصر لها لجأ إليها التجار .

ومن أخطر ما جنح إليه هؤلاء التجار محاولات إضفاء خواص ميتافيزيقية على الجواهر والأحجار . فمن ذلك القول بارتباط كل حجر كريم باسم نبي أو رسول في التوراة والانجيل ولعل ذلك كان استطراداً لما نادى به الكاهن الاغريق (أنوماكريتس) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وكان يشتغل بتجارة الأحجار الكريمة والعقاقير ودفعه جشعه إلى الترويج لخرافات منها أن الذي يدخل المعبد حاملاً لحجر كريم فإنه يكون مقبول الصلوات والدعوات وحائزاً على رضاء الأوثان والأصنام .

وحاول تجار الأحجار الكريمة أن يقنعوا الناس بوجود ارتباط بين البروج الفلكية والأحجار الكريمة ونادوا بأن من يتحلى في شهر يناير (بالالكساندريت) تتحقق مطامعه وآماله وفي شهر فبراير (بالجمشت) ينجو من السم المدسوس في الطعام أو الشراب وفي مارس (بالياقوت الأزرق) يأتيه الحظ والسعادة الزوجية وفي ابريل (بالماس) يتمتع بالأمن والسلامة وطول البقاء وفي مايو (بالزمرد) ينجو من ظلم الحكام وبطش الطغاة ، وفي يونيو (بالكرايزوبريز) يأتيه الحظ السعيد ويتمتع بالحب وفي يوليو (بالياقوت) تقوى روحه ويهابه أعداؤه ، وفي أغسطس (بالزبرجد) يصبح هادئ البال وفي سبتمبر (بالكرايزولايت) يقوى قلبه ويكون شجاعاً ، وفي أكتوبر

(بالأوبال) تصفو روحه ويطمئن قلبه وفي نوفمبر (بالكرايزوبيريل أو عين الهر) ينجو من الأخطار والمؤامرات وفي ديسمبر (بالفيروز) يحالفه التوفيق ويتسع رزقه وينجو من الأخطار وكذلك روجوا في الناس بأن من الأحجار الكريمة ما تستطيع أن تؤذي به عدوك في صحته أو ماله أو معركته وتعرف به أفكاره . والعجيب أن هذا قد انطلى على كثير من العقول ملوكاً وسوقة ، فيروى أن الامبراطورة أوجيني الفرنسية كانت تتشاءم من الأوبال بينما أصرت الملكة فيكتوريا البريطانية على أن تهدي بناتها من هذا الحجر الكريم عندما تزوجن .

ثم ازداد تجار المجوهرات في غلوائهم فقالوا إن هناك علاقة خفية بين حروف اسم الانسان وبين أسماء الأحجار الكريمة فلكي تكون سعيداً عليك بأن تتخذ حلية تحمل من الأحجار الكريمة ما يتكون اسمك من حروفها الأولى ، فإذا كان اسمك (عزيز) مثلاً فعليك بالتحلي بالعقيق والزمرد والياقوت والزبرجد .

وهكذا شاعت الخرافات والأوهام بالنسبة للأحجار الكريمة مما لا سند له من علم أو حقيقة ولعل أول من دحض الخرافات عن الأحجار الكريمة كان العلامة أبو الريحان البيروني في كتابه (جماهر الجواهر) وابو العباس بن يوسف التيفاشي في كتابه الذي ظل مرجعاً في أوروبا إلى القرن العشرين وعنوانه (خواص الأحجار) ولا يزال هنالك إلى يومنا هذا في كل أقطار الأرض المتقدمة والمتخلفة على السواء من يعتقدون في خواص خرافية محضة لهذه الأحجار كما حدث لبابا روما (كليمنث السابع) الذى مات سنة ١٥٣٤م بعد أن أنفق زهاء الأربعين ألف دولار ثمناً للأحجار الكريمة التي كان يسفها مسحوقة طلباً للشفاء من المرض .

ولا نعلم للأحجار الكريمة فائدة علمية للانسان غير استخدام بحارة (الفايكنج) لبللورات (الكورديرايت) في معرفة الجهات الاصلية في المنطقة القطبية٠ بين القرنين الثامن والعاشر (بعد الميلاد) وكذلك استخدام علم الفيزياء في عصرنا الحديث بللورات الياقوت لتوليد أشعة الليزر بتركيز أشعة الضوء .

والأحجار الكريمة كحلي ، بغير خواص غيبية خرافية ، لاشك إنها جميلة حقا تسر الناظرين (وهي من الناحية الجيولوجية البحته ليست مجتمعه أو فرادي ، ذات أهمية إلا أن أهميتها التجارية حتمت على العلماء دراستها باستفاضة واهتمام بالغ كشف الكثير من أسرارها . ونجد بعض العلماء يقسم الأحجار الكريمة الى نوعين (الجواهر) والأحجار (شبه الكريمة) أما الجواهر فهي في أغلب الأراء تسعة منها الماس والياقوت الأحمر والياقوت الأزرق أو الصفير والسبينل أو البلخش الذهبي والكريزوبيريل بنوعيه عين الهر والالكساندريت والاوبال والفيروزوبعضهم يضيف اليها التورمالين بانواعه (الاكروايت) الذى لا لون له (والانديكولايت) الازرق والروبيدايت الأحمر ، والطوباز والزبرجد .

أما الأحجار شبه الكريمة فمنها الجارنيت (المقيق) بأنواعه واللازورد والفلسبار بأنواعه والملاكايت (الدهنج) والرودوكروزايت والرودونايت والهيماتيت والجاد بنوعيه والمرو (الكوارتز) بأنوعه المتبلورة وفيها المدخن والجشمت والسترين والوردي وغير المتبلور كالعقيق بأنواعه وعين النمر وعين الصقر والجاسبر (اليشب) (والكريزوبريز والكارنيليان والهليوتروب والجزع اليماني وغيرها) . والواقع أنه لا يوجد اليوم خط فاصل بين الأحجار شبه الكريمة والجواهر فالكل في سوق الحلي والمجوهرات سواء ، ولا يفتأ الانسان يضيف إلى قائمة الأحجار الكريمة جديداً كل عشر سنوات على وجه التقريب كلما عثر في صخور الأرض على نوع جديد من المعادن يقبل الصقل والتشكيل ويتميز بلون لطيف مقبول وصلابة فائقة لاسيما وان صناعة الأحجار الكريمة كيمائياً لا تغطى كل الأصناف وخاصة المعقدة في تركيبها الكيمائى .

وقد أفلح الانسان في صناعة بعض الأحجار الكريمة في معاملة كما حدث في سنة ١٩٠٢م إذ استطاع الكيماويون الألمان ان يصنعوا كلا من الياقوت الأحمر والياقوت الأزرق باستخدام لهب الاكسهيدروجين في صهر أكسيد الألومنيوم واعطائه فرصة

للتبلور مما أدى إلى هبوط سعر القيراط (٢.٠ جرام) إلى ثمن زهيد يتراوح بين (ماركين وثمانية ماركات ألمانية) وتنتج المصانع الألمانية اليوم بهذه الطريقة قرابة ثلاثين مليون قيراطاً سنوياً من الياقوت الصناعي لأغراض الصناعة والحلى على السواء . والأحجار الكريمة في جملتها ليست من عائلة علمية واحدة وتختلف تسمياتها فالكوراندوم مثلاً وهو (أكسيد الألومنيوم) إذا كان أحمر لوجود شوائب من الكروم في بلورته سمى الياقوت وإذا كان أزرق سمى الصفير أما الماس فهو الماس وإن كان شفافاً أو أصفر أو أخضر أو أزرق أو أحمر أو بنياً ، وأنواع السيليكا المتبلورة التي اساسها المرو (ثاني أوكسيد السليكون) فاسماؤها عديدة وكذلك أنواع السليكا المجهرية البللورات لكل لون منها اسم أو أكثر .

وقد وجد العلماء أن اختلاف الألوان في الأحجار الكريمة راجع إلى وجود ذرات في بللوراتها من العناصر الفلزية (الانتقالية) كالحديد والكوبالت أو عناصر الفلزات (الأرضية النادرة) مثل السيريوم واللانثانوم ، والقليل القليل من هذه العناصر يغير لون الحجر الكريم كما أن اتجاه سير الضوء في بللورة الحجر الكريم يغير لونه طبقاً للمحور البللوري المتجه معه الضوء وكذلك فان وجود اختلاف في درجة تأين ذرات الشكل البللوري للحجر الكريم تؤثر في مقدار امتصاص الضوء عندما ينفذ منه ، وقد وجد بالتجربة أنه يمكن التحكم إلى حد ما في تغيير لون الحجر الكريم كما يحدث (للزرجون) البني اللون إذ يتحول في المعمل إلى اللون الأزرق الماسى إذا سخن لمدة ست ساعات في فرن يحوى بخار الفروسيانور ، وكما يحدث لأنواع من العقيق ، إذا غمست في عسل النحل أو محلول السكر المركز مدة من الزمن ، ثم غمست في حامض الكبريتيك المركز ، وهنالك طرق كثيرة يحتفظ تجار الأحجار الكريمة بسريتها لصبغ الأحجار الكريمة بألوان زاهية سواء بأصباغ عضوية أو مواد كيماوية غير عضوية وقد توجد في الحجر الكريم عيوب من تشقق أو شوائب أو نقط داكنة يتفنن الصناع في إخفائها بطريقة القطع والصقل ، وانت ترى الأحجار الكريمة الشفافة ذات الأصل

البللوري قد شكلها الصناع وأطلق عليها تجار الحلى والمجوهرات أسماء شتى منها البريلليانت والكمثرى والمدرجى والوردة والباجت والوسادة والقلب ومنها ما هو مربع الشكل أو مثلثة ومنها ما يشبه شكل الحدأة أو الدرع أو المنشور أو القمع وهكذا ، أشكال كثيرة لا تقف عند حد ويتجدد التطوير والاضافة فيها على الدوام فما هي القاعدة التي تشكل بها الأحجار الكريمة الشفافة المتبللرة وخاصة الماس والياقوت والزمرد والزبرجد والجارنت (المقيق) وغيرها ؟ فالقاعدة أن نعرف أولا خصائص شعاع الضوء من انعكاس وانكسار وتشتت وحيود وامتصاص واستقطاب حين يمر في مادة الحجر الكريم ، إذ أن لكل حجر كثافة وترتيباً بللورياً خاصاً يتميز به ويؤثر بمقتضاه في شعاع الضوء تاثيراً يتوقف على هذه الخصائص التي له ، ثم يشكل الحجر الكريم على مقتضى هذه الدراسة بحيث يكون له قسم علوى يسمى (التاج) وقسم سفلى يسمى (الصحن) أو الصيوان ويلتقى التاج العلوى بالصحن السفلى عند الحزام ، ولنتصور أن التاج والصحن هرمان قد تلاصقت قاعدتهما ، ولنتصور أن شكل سطح الالتقاء لهذا ظل مربعاً أو مستطيلاً أو مثلثاً أو دائرياً أو كمثرياً أو بيضاوياً لا يهم ، إنما المهم أن نشطف من قمة الهرم التاجى مقداراً معيناً بحيث تكون نسبة السطح المشطوف أو المنضدة الى سطح الحزام محكومة بالخصائص الضوئية للحجر الكريم وكذلك زوايا التقاء اسطح كل من التاج والصحن بسطح الحزام ، فعند ذلك يمكن للحجر الكريم الذي بين أيدينا أن يستقبل شعاع الضوء من أعلاه ثم ينعكس الشعاع بعد انكسار في داخله عن أسطح الصحن من الداخل ويخرج من حيث أتى وقد ازداد بهجة وبهاء بما اعتراه من تشتت فيبدو الحجر الكريم وكأنه قد توقد فيخلب الأبصار ويبدو هذا أروع ما يكون في قطع الماس على هيئة البريليانت حيث المنضدة العليا بها ثلاثة وثلاثون وجهاً وحول الصحن خمسة وعشرون بما فيها وجه صغير مقابل للمنضدة العليا في قاع الصحن من أسفل (يسمى الكيوليت) أو الدرع الواقى فتكون جملة الوجوه في الجوهرة البريليانت المصنوعة من الماس ثمانية وخمسين وجهاً . وهنالك تشكيلات لها اثنان

وأربعون وجهاً أو ستة عشر وجهاً أو أربعة وسبعون أو ثمانون أو ثمانية وثمانون أو مائة وأربعة وجوه كل شيء بحساب دقيق وعلم مدروس يكسب الحجر الكريم الشفاف البللورى الأصل روعة وبهاء . أما الأحجار الكريمة المعتمة فإنها تشكل عادة على هيئة الجعلان او العدسات مربعة أو مستطيلة مستديرة أو بيضاوية أو مغزلية أو أنها تنقش برسوم بارزة أو غائرة على السواء ثم تصقل وتستخدم للزينة . كما كان يفعل سكان بابل والفراعنة في القرون الغابرة .

ويمكن أن نضيف إلى المعادن التي تستخدم كأحجار كريمة ، أحجاراً اخرى من أصل عضوي .

١- اللؤلؤ :

وهو حجر كريم يتكون في محارات اللؤلؤ الصدفية وقوامه أساساً كربونات الكالسيوم.

٢- الكهرمان:

وهو حجر كريم ذو شهرة قديمة وتكون من جراء استحجار صموغ وراتنجات الأشجار الصنوبرية في طبقات الأرض . ويتميز الكهرمان الحقيقي بوجود حامض السكسنيك العضوى كما أن هنالك أصنافاً من الصموغ والراتنجات الشجرية من أنواع (الكوبال) قد يغش بها الكهرمان ولكنها خالية من ذلك الحامض .

وبعض العلماء لا يجعلون اللؤلؤ والكهرمان مع الأحجار الكريمة إذ أنها منتجات من الحيوان والنبات والمعادن كما يعرفها العلماء لابد وأن تكون ناتجة دون تدخل الحيوان والنبات ومن العلماء من يجعل من الأحجار الكريمة العضوية النشأة أنواع المرجان ذات اللون الأحمر وبعض أنوع الخشب المتفحم التي تسمى (الجت) . تلك مجرد عجالة يسيرة عن الأحجار الكريمة التي هي من المكونات الهامة لصخور وأحجار قشرة الأرض لابد من ذكرها ونحن نحكى قصة الجيولوجيا .

علاقة الجيولوجيا ـ النفط (البترول)

البترول ، أو النفط ، ذلك السائل الزيتي القوام ، الذي يلقب اليوم بالذهب الأسود ، ذو علاقة ممعنة في القدم مع الانسان ، في سلمه وحربه ، بيد أن وشائجه المتينة مع علم الجيولوجيا ، وعلاقته الوثيقة اليوم بقواعده ، لم تتجاوز بعد قرناً من الزمان ، بل إن بداية ربط البحث عن زيت الصخر مع قواعد ونظريات ذلك العلم ، كانت بداية غير سعيدة ، إذ وصل بها السوء ، أن اشتهرت في أوساط طالبي الزيت الصخري ، حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٩٢م) أمثال ، تنفر من الجيولوجيا ، وتحض على عدم احترام المشتغلين بها ، كأن يقال

- " ما عهدنا جيولوجياً ، نصحنا ، بما يملأ برميلا من النفط !! "
- "من شاء أن يتلف ماله وآماله ومآله ، في مضمار الحفر بحثاً عن البترول ، فليستشر علماء الجيولوجيا ...

ورغم تلك السخرية اللاذعة ، فلقد تأكد بمرور الزمن صدق المثل القائل (لا ينمو الود إلا في أعقاب عداوة!!) .

واصبح البحث عن الذهب الأسود ، يتطلب أن تعطيه الجيولوجيا جواز المرور ، بخرائطها وقياساتها وآفاق معرفتها ..

ويمكننا تقسيم تاريخ علاقة الانسان بالبترول ، إلى ثلاث مراحل آخذين في الاعتبار ، أن البترول ، قد يكون أحد مشتقاته صلباً مثل القار والزفت أو سائلاً كالقطران ، وقد يكون سائلاً داكناً زيتياً خفيفاً أو ثقيلاً ، وقد يكون غازاً لا لون له ، ولكن له على كل الأحوال رائحة ما ..

وفي كل هذه المراحل ، كانت للبترول آثاره الواضحة في العلاقات السلمية في التجارة والاقتصاد وتبادل السلع بين الناس ، وفي اشعال نيران الفتن والحروب والمؤامرات والدسائس السياسية بين الدول .

أما المرحلة الأولى ، فتبدأ منذ ما قبل التاريخ وتنتهي في أواسط القرن التاسع عشر (١٨٥٩م) شاهد فيها الناس البترول ومشتقاته ، تخرج تلقائياً خلال الصدوع ، الشقوق من باطن الأرض بسبب الزلازل والهزات الأرضية التي تصدع المكامن العميقة أو القريبة من السطح ، فاتخذ من القار والزفت والقطران مواد خام لاستخدامها في شتى متطلبات الحياة ، في ملاط البناء ووقاية السقوف ضد المطر ، وتحنيط الموتى والبخور في المعابد والهياكل وعمل الصموغ والطلأات ، واتخذ من الزيت الخفيف الناشع أدوية وعقاقير ، وكذلك للإضاءة والوقود بصورة ما ، أو أنه عبده وقدس له ، كما فعل المجوس عند باكو وباطوم على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود ، وحول بحر قزوين ، حيث كان ينبثق من باطن الأرض أحياناً ، ويشتعل ناراً بسبب البرق فاعتبر نارا مقدسة.

وهنالك ما يدل على أن الإنسان ، استخدم زيت البترول أو النفط أو القار بعد خلطه بالجير الحي ومواد أخرى لصناعة أداة حرب مهلكة مثل النابالم ، وكان يسميها (النار الاغريقية) ، كما ان مشتقات البترول كانت تتخذ جزية أو غرامة حرب يدفعها المغلوب للغالب ، بل وكانت تتحرك من أجلها الجيوش للغزو والاحتلال وبسط النفوذ السياسي والاقتصادي على مواقع نواجد القار والنفط ، وما اشبه الليلة بالبارحة ..

وهنالك ما يدل على أن الناس في تلك الحقبة الطويلة ، قد عالجوا قضية تقطير الخام والحصول منه على مشتقات ، على صورة تشبه ما نعمله اليوم .

وجاء ذكر البترول عند علماء اللغة ، إذ يقول الفيروز بادي فى القاموس المحيط (٨١٤هـ) ، عن النفط ما يلي :

((والنفط بالكسر ، وقد يفتح ، واحسنه الابيض (يقصد الناتج عن التقطير) محلل مذيب مفتح للسدد والمغص قتال للديدان . والنفاطة مشددة موضع يستخرج منه ، وضرب من الأسرجة ليستضاء بها . وأداة من النحاس يرمي فيها بالنفط (النار الاغريقية) .. ونفط بنفط غضب أو احترق غضباً كتنفط .. والقدر تناقط ترمي

بالزيد..) ومن هذا اعتقد أن كلمة النفط عربية الأصل وليست سومرية كما يزعم بعض البحاث ، لاسيما إذا اضفنا ما جاء في لسان العرب لابن منظور إذ يقول : (والنفط حلابة جبل في قعر بئر توقد به النار، والكسر اصح) . وهذا دليل أيضاً على أن الأقدمين كانوا يحفرون آباراً إذا قل النشع للحصول على البترول ، حتى أن باحثا مثل فوربس (R.J.Forbes) يذكر أن الصينين كانوا يحفرون آبارا إلى عمق يصل إلى (٣٥٠٠ قدماً) في القرن الثاني قبل الميلاد بحثاً عن البترول مستخدمين في ذلك سكاكين حفر Bits من الصفر أو البرونز وأنابيب من غاب البامبو .

أما المرحلة الثانية من تاريخ علاقة الانسان والجيولوجيا فتقع فيما بين سنة ١٨٥٩ ، سنة ١٩٠٠ م ، وهي مرحلة استخدام بعض مشتقات البترول في أعمال الإضاءة والوقود باستخدام الكيروسين ، وقد بدأت تلك المرحلة بقيام ا.ل.دريك Col.E.L.Drake بحفر أول بئر آلية بحثاً عن البترول ، في ولاية بنسلفانيا الأمريكية .

وفي هذه المرحلة ظهرت الأسس الأولى (لجيولوجية البترول) وبدا الصراع البترولى بين روسيا (القيصرية) والولايات المتحدة الأمريكية في مضمار الانتاج والاستحواذ على السوق منذ سنة ١٨٦٩م !! وكان الزيت ينقل من مناطق الآبار ، سواء في أمريكا أو روسيا ، على متون عربات تجرها الخيل والبغال والحمير ، معبأ في براميل من الخشب barrels ومن هنا ظل قياس انتاج البترول بالبراميل حتى اليوم .

والبرميل اليوم = ٤٢ جالونا أمريكياً = ٣٠٦ رطلاً

وكل ٢.٧ برميلاً = طناً مترياً = ٢٥٢ جالوناً امبراطوريا = ٤.٣٠٢ جالونا أمريكيا .

وبالنظر لأن البرميل مصنوع من الخشب فقد كان كان يكلف أكثر مما به من الزيت فضلاً عن أن مقاولي النقل بالعربات كانوا جشعين ، فقد بدأ التفكير في مد خطوط الأنابيب لنقل البترول . وكان أول خط أنابيب لنقل البترول سنة ١٨٧٩م وكان قطر الأنابيب ٦ بوصات ، ويصل من (كولوغروف) بفيلادلفيا إلى (بلطيمور) على مسافة

٢٣٥ ميلا وله فرع مساعد قطر أنبوبته ٥ بوصات وطوله ٦٦ ميلا من (ميللواي) ، وحذا الروس حذو الأمريكان فمدوا خطوط الأنابيب من (بلاخاني) بالقوقاز إلى (بلاكتاون) على بحر قزوين ، وعاني كل من الروس والأمريكان من معارضة مقاولي النقل بالعربات الذين انقطع رزقهم الوفير بمد خطوط الأنابيب ، فكان لابد من حراسة تلك الخطوط حراسة مشددة لمنع العدوان عليها !!.

وفي سنة ١٨٧٩ م بنى مخترع المفرقعات الشهير صاحب الجوائز المعروفة (الفريد نوبل) ، وكان يحتكر استخراج النفط في روسيا ، أول ناقلة بحرية للزيت ، بين بحر الخرز (قزوين) ونهر الفولجا لنقل البترول إلى اسواق الاستهلاك في روسيا .

وتميزت تلك الفترة بنشأة الاحتكارات العالمية لأسواق تجارة البترول ، وتركيزها في أيد قليلة قوية ، وتميزت كذلك ببدء وضع مصادر البترول المحتملة تحت مجهر السياسة الدولية ، وخاصة في الشرق الأوسط والوطن العربي على سعته ، لا سيما وأنه في أواخر تلك الفترة بدا التطلع نحو استخدام بعض مشتقات البترول في إدارة الآلات والمحركات ، وفي تشحيم العجلات ووقاية المعادن الفلزية من الصدأ والتآكل .

وبدأت المرحلة الثالثة وهي المرحلة الحالية ، في مطلع القرن العشرين الميلادي ، حيث اصبح من المؤكد نجاح محركات الاحتراق الداخلي ، الاحتدام ، Internal Combustion Engines في مختلف الآلات والسيارات وهذا بالطبع مما تتميز به هذه الفترة المعاصرة ، من تاريخ الانسان .

وفي هذه المرحلة من علاقة البترول بالانسان ، تقدم علم الجيولوجيا وازدهرت نظرياته ، وفاقت طرائقه الحصر في مضمار البترول وفي مضمار الثروة المعدنية ومعرفة تاريخ كوكب الأرض ، وتقسيمه إلى أحقاب وعصور وأزمان..

وكان الراي قبل هذه الحقبة في شأن نشأة البترول بمشتقاته المختلفة في باطن الأرض ، أنه من نتاج تفاعلات كربيدات الفلزات الثقيلة مع الماء في أغوار الارض ،

تماماً كما يتفاعل كربيد الكالسيوم مع الماء مولداً غاز الاسيتيلين ، الذى كانت تضاء به مصابيح العربات التي تجرها الخيل في شوارع المدن منذ قرن من الزمان أو دون ذلك ، وتزعم هذا الراى الكيماوي الشهير

(ديمتري أفانوفتش منذليف) (١٨٣٤ـ ١٩٠٧م) صاحب الجدول الدوري لترتيب العناصر الكيماوية . ومع استمرار التدقيق والبحث الجيولوجي في مختلف أقطار العالم حيث يتواجد اليوم البترول ، ثبت ما يلي :

١- أن البترول مصاحب للصخور الرسوبية التي تتكون في البحار أو في أحواض ترسيبية عظيمة القدر ، وأن الاختبارات الكيميائية الدقيقة لمختلف أنواعه ترجع تماماً أن منشأه من بقايا الحيوانات والنباتات (الدنيا) التي انطمرت مع الرواسب ، في بيئة خاصة أدى الضغط والحرارة فيها إلى تفاعلات كيماوية عضوية نشأ عنها البترول بمختلف أنواعه وشوائبه وصفاته الفيزيائية والكيميائية ، طبقاً للأنواع الحية التي هي اصله ، على مدى العصور الجيولوجية المختلفة .

٢- أن الطبقات الرسوبية التي لها علاقة بالبترول في الحوض الترسيبي الذي يوجد في أعماق الأرض لابد وأن تتوافر فيها شروط :

i- ان يكون هنالك صخر للنشأة Source Rocks ، هو ذلك الذي انطمرت معه ملايين الملايين من الأحياء الدقيقة التي نشأ منها البترول .

ii- وأن يرحل ذلك البترول بعد تكوينه خلال الأحقاب من صخر النشأة إلى صخر آخر به مسام أو فجوات تسمح باستيعاب البترول وحفظه ، كما تحفظ ورقة النشاف الحبر وتتشربه ، وهذه تسمى الصخور الخازنة Reservoir Rocks .

iii- أن يحدث بفعل الحركات الأرضية التواء أو انكسار ، أو تتابع ستراتيغرافي مناسب أو اندفاع كتل ملحية من الأعماق مما يسمح بتكوين مصيدة Trap

في صخور الخزان ، بما يجعل الماء الأجاج الذي يصاحب البترول في مظانه على الدوام يحشر البترول ويحاصره من أسفله .

iv- وأن يكون أعلى الخزان والمصيدة تغطيه تماماً طبقات غير منفذه Impervi-ous لا تسمح بهروب الغاز أو البترول أو الماء المالح ، حتى تصل إليها أدوات الحفر فينبثق البترول بغازه ومائه المالح خلال أنابيب الحفر إلى حيث يراد له ، وهذه الطبقة الحافظة تسمى الطاقية أو القبعة Cap Rock ، وهي قد تكون راقات من الجبس والانهيدرايت أو من الطين الابليز .

والمهمة الأولي للجيولوجي الباحث عن البترول هي عمل الخريطة التي تتبين بمقتضاها لعينه الفاحصة أماكن الخزانات والمصايد في الحدبات أو القباب أو فوق اندفاعات الملح ، وهو يبني خريطته التي تبين له ذلك بعد جهد جهيد ، ويستعين اليوم بكل ما وصل اليه البحث من وسائل ، من صور فضائية ومعلومات جيوفيزيائية ، لكي يبني خريطته وتصوره (وأحلامه) في احتمالات تواجد البترول .

ولابد هنا من أن نعترف ، أنه رغم الوصول إلى انتاج عالمي من البترول ، قفز على سبيل المثال من (٤٧) مليون طن سنة ١٩١١ إلى (٨٨٠) مليون طن سنة ١٩٥٧ ، فإنه ليست لدينا وسيلة للجزم ١٠٠٪ أن المكان الذى نحفر فيه لابد وأن ينتج بترولاً ، فقد نجد الحوض الترسيبي ، والبنية المناسبة ، والمكمن أو المصيدة والغطاء ، ونحفر ونحفر ولا نجد بترولاً أو غازا وذلك لأنه ليست لدينا بعد دلائل يمكن استقراؤها من سطح الأرض ، دون الحفر ، للتأكد من وجود البترول في هذه المنطقة ، أو تلك من طبقات قشرة الأرض.

ومن هنا فإن الدول عادة تعفي الشركات الباحثة عن البترول من الضرائب وهي في مجال البحث ، حتى تكتشف حقولاً واحتياطيات وعند ذلك تبدأ في دفع ضرائبها ، نظراً لما يتكلفه البحث عن البترول من نفقات باهظة .

ولا زال أمام العلماء شوط طويل للتوصل إلى اسرار وكيفيات تكون البترول في باطن الأرض ، رغم الدراسات الكيميائية والفيزيائية والجيولوجية التي لا يحصرها العد في هذا المضمار ، . ويحاول العلماء تفهم واستقصاء الرابطة العلمية بين الفحم الحجري والغاز المصاحب للبترول والغاز الطبيعي المفرد ، والبترول بحكم انها تنتمي جميعا إلى اسرة (الوقود المعدني) الذي لا يعدو جميعه أن يكون طاقة شمسية اخترنها ، بمشيئة الله ، بخضور النبات في أحشاء الأرض منذ ملايين السنين .

- ﴿ افرايتم النار التي تورون ﴾ . (٧١)
- ﴿ ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ . (٧٢)
- ﴿ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ﴾ . (٧٣)
- ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ . (٧٤)

سورة الواقعة

صدق الله العظيم

الخليــج بين اللؤلؤ والنفط

في منصــرم القــرن الثــالث عــشــر ، سنة ١٢٩٨م ، توجــه الرحـالة الايطالي المغـامـر(مـاركو بولـو) الى مـدينـة (باكو) علـى السـاحل الجنوبي الغـربي لبـحـر قـزوين (الخزر) قبل ان تصبح عاصمة لجمهورية أذربيجان السوفياتية ، تواقا لمشاهدة مواطن (النيـران المقـدسـة) التي كـان المجـوس يعبـدونهـا من دون الله ، قبل مـاركـو بولو بآلاف الأعوام فقـال في وصف مـا رأى : " لقـد رأيت عـجـبـا عـجـابا ، عـينا يتدفق منهـا سـائل ثخين أسـود غـريب الرائحـة يتـخـذ منـه النـاس هنالك دواء للعُر (الجـرب) الذي يصيب الإبل والماشـيـة والبـراذين ، ويوقـدون به النار وهـو من الكثـرة بحـيث يمكن شـحن عـدة قوارب كبيرة منه في نهار واحد..... " ولكـن (مـاركو بولو) فيما يبـدو لم يؤت سعة من الوقت فـي رحلتـه لكـي يطلع علـى الاسـاليب التـقنيـة في ذلـك الزمـان والمكان التـي كـان يعـالج بهـا النـاس ذلك السـائل الأسـود الثـخين ، للحـصـول على مشـتـقاته المختلفـة الألوان والكثافات .

وبعـيـدا عن مـاركـو بولو في رحلتـه تلك ، ولكن في نفس القـرن مـن الزمـان ، توصل مغامر من بلاد الصين ، الى استـزراع اللؤلؤ بنجاح ، في أنواع من المحارات تعيش هنالك في الأنهار ...

- ولا أعتقد أنها صدفة محضة ، بل إنه قدر مكتوب محسوب ...
- ولاندرى متى عرف الناس اللؤلؤ، حليـة يلبسونها وزينة يتخذونها ، ولكننا نعرف أن ملكة مصر ، الحسناء الفاتنة (كيلوباترة) كانت تأمـر وصيفاتها بطحن حبات من اللؤلؤ ، درّرا ، أو خـرائد ، أو حصـات ، أو حـتـى يتيمـة فـريدة ، وتستف ذلك المسـحوق الثمين حفاظا على رشاقة بدنها و نضارة وجهها و حسن محياها (٦٩ - ٣٠ ق.م)...

وكان المؤرخ الروماني (بلني الكبير) قد كتب في القرن الميلادي الأول ما معناه:

" إن تجـارة اللؤلؤ هـي أشـرف تجـارة يتـعـاطاهـا النبـلاء والاشـراف" ، ولا جدال في أن

قطر ، لم تك بعيدة عن فكر بلني يوم كتب ذلك ... ولقد عرف الناس النفط ، بمشتقاته المختلفة من القار والزفت و الشمع و الغاز ، تتفجر ينابيع من شقوق وصدوع ، منذ زمان سحيق ، ومنهم من عبده وقدس له ، كما فعل المجوس ، إذ رأوه يشتعل نارا لا قدرة لبشر على اطفائها ، بعد أن تتقد من برق أو نحوه ، ومنهم من استخدمه في الدواء والبناء والاضاءة وبخور المعابد والبيَع والكُنُس وتحنيط الموتى وسد الفجوات والشقوق في صناعة السفن والقوارب ....

ولولا تلك العيون النفطية والينابيع ، كتلك التي شاهدها ماركو بولو،وتلك التي ذكرها غيره في أرجاء الأرض ، فيما بين باكو في بلاد الخزر ، وبين جبل الزيت بالصحراء الشرقية المصرية ، وفي أندونيسيا و الصين وفنزويلا وكاليفورنيا وجزيرة ترينيداد ، لما تسنى للانسان أن يعرف أن في باطن الأرض طاقة مدفونة على هيئة سائل عجيب ، يختلف لونه وتتعدد صفاته الفيزيائية والكيميائية ، ثم يخترع أدوات للحفر ويطورها ، تطويرا يفوق آلاف المرات تلك الحفارات التي كان يتخذها أهل الصين في القرن الثاني قبل الميلاد ليحفروا بحثا عن ذلك السائل العجيب الى أعماق وصلت الى ما يزيد على ثلاثة آلاف قدم مستخدمين أنابيب من البوص وسكاكين من الصُفرُ أو النحاس ....

وما كان يتأتى للانسان أن يتوصل الى تلك القواعد العلمية التي تحكم تواجد النفط في طبقات الأرض طبقا لنواميس علم الجيولوجيا الحديثة ...

ولقد كان للأطباء والتقنيين في دولة الإسلام الكبرى ، شأن مع النفط ... فنقرأ أن كلا من النبراوي والقزويني (حوالي ١٢٠٠ م) يميزان بين النفط الأبيض والنفط الأسود ويصفان كيفية استخراج الأبيض من الأسود بالتقطير!!!!

وذكر النفط كل من ابن البيطار وابن العوام والدمشقي ، وقد وصف هذا الأخير معامل تقطير النفط في دمشق وصفا علميا دقيقا ...

وجاء ذكر النفط في معاجمنا ، فيقول الفيروزبادي (٨١٤هـ) في قاموسه المحيط :

" والنفط بالكسر، وقد يفتح ، وأحسنه الأبيض ، مُحَلّلٌ ، مذيب ، مفَتح للسدود والمغص ، قَتال للديدان ، والنَفاطة مشددة ، موضع ليستخرج منه وضرب من السُرجُ يستصبح به ،واداة من النحاس يرمى فيها النفط (النار الاغريقية- جدة قنابل النابالم الحديثة) ونفط ينفط ، غضب ، أو احترق غما ، كتنفط ، والقدر تنافط ، رمى بالزَبد ..... "

ويقول ابن منظور في لسان العرب :

" النفط والنفط ،حُلابة جبل فى قعر بئر توقد به النار والكسر اصح " واميل فى ظنى الى ان الناس فى قطر ، كانوا يعرفون ذلك النفط ، اذ ان قطر، ، اشتهرت بتربية الإبل منذ قرون عديدة ، فربما كان مربو الأبل يستوردون النفط من شرق الخليج ، دواء الإبل ....

ويمكن تقسيم علاقة الانسان بالنفط الى مراحل ، لعل اولاها تلك التى اسلفنا عن الاقدمين من اهل بابل ومصر والاغريق والرومان والمسلمين ، وبعدها مرحلة البحث عن النفط ، لاستخراج الملح من الماء الأجاج المصاحب له عادة في مكامنه ومصايدة ،ولاستخدام بعض مشتقات تقطيره فى التشحيم ، والاستصباح، واخرها تلك المرحلة التى نعيشها من التاريخ منذ ابتدع الانسان الآلات التى تدور بالاحتراق الداخلى اى (الاحتدام) من سيارات وجرارات ودبابات وقطارات وطائرات ...

ولقد بدأت هذه المرحلة فى اواخر القرن التاسع عشر ....

وهي المرحلة التي نجح فيها العالم الياباني (ميكيموتو كوكيشيو) سنة ١٨٩٠ في استزراع اللؤلؤ في المحارات البحرية ، وبدأت السوق العالمية تستعد فيها لاستقبال (اللؤلؤ الصناعي) الذي كان له أثره البالغ في كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي ، وفي مقدمتها دول الخليج .....

فقد كان اللؤلؤ ، إطار الحياة في قطر ، وما جاورها عبر قرون عديدة ، ومحور صياغة حياة الإنسان وتطلعاته وعرفه وعلاقاته زمانا طويلا ....

وكانت الرحلة في موسم الغوص طلبا للؤلؤ ، بعيدا عن الدار والأهل والولد لعدة أشهر متصلة من العناء فوق سطح البحر الذي لا يرحم ولا يرأف ، لا طعام الا السمك والتمر والقهوة ، هي مصدر الدخل القومي والفردي طوال العام ، ورب رحلة لا تسفر عن مغنم ، فيعود الرجال بالهموم والديون و ليس لهم سوى الصبر الجميل .

وكان الغوص بحثا عن اللؤلؤ ، مقياس رجولة الرجال ، وعنوان نضوج الفرد كعضو عامل نافع في المجتمع القطري .....

ولم يك في وسع أي شاعر مغرق في الخيال والتأملات ، أن يحلم بأن مغاصات اللؤلؤ القطرية فيما بين جزيرة حالول وجزيرة شراعوه وحولهما في العد الشرقي ، وميدان محزم ، وبولحنين ، والبندق ، سوف تصبح بعد كساد سوق اللؤلؤ الطبيعي ، مصدرا للثروة النفطية في طبقات العصر الجوروي (١٨٠ مليون سنة) لتدر من النعمة أضعاف ما كان يدره(الدر) أو صيد الأسماك في خليج سلوى الى الغرب من حقل دخان النفطي الكبير .....

وقد كان لاكتشاف النفط في الاتحاد السوفياتي فيما بين بحرقزوين (الخزر) والبحر الاسود حول باكو وباطوم ، حيث أثرى (ألفريد نوبل) مخترع الديناميت السويدي ، وفي ايران (١٩٠٨) وفي مصر (١٩١١) والعراق (١٩٢٧) ، الأثر البالغ في لفت أنظار الباحثين عن النفط في أرجاء العالم ، الى هذه المنطقة من العالم ، حول قطر .....

ولعل أول من استهواه البحث عن زيت الصخر في دول الخليج العربية واستحق لقب (أبو النفط العربي) هو ذلك النيوزيلندي العنيد مهندس التعدين فرانك هولمز ..

ولد فرانك هولمز سنة ١٨٧٤ في مزرعة أبيه بنيوزلندة ، وذهب للعمل فى أحد مناجم الذهب بجنوب أفريقيا سنة ١٨٩٤ ، ورحل عنها للعمل مديرا لبعض مناجم الذهب فى استراليا فيما بين سنة ١٨٩٦، سنة ١٩٠١ ، حيث سافر الى لندن ليعمل مساعدا لمدير

مجموعة المناجم البريطانية فى الملايو ، ثم عاد الى استراليا سنة ١٩٠٥ ليفتح مكتبا للاستشارات التعدينية ، ولكنه عدل عن ذلك ليعمل فى مناجم مختلفة فى روسيا واورجواى ونيجيريا ، حتى اندلعت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ فالتحق بالجيش البريطانى برتبة رائد (ميجور) وعمل فى مصر والدردنيل وتولي امر تموين القوات المحاربة باللحوم من الحبشة عبر عدن الى البصرة . وفى البصرة سمع قصة شركة الزيت الانجلو ايرانية ، واغرم بالنفط وبالخليج شرقا وغربا ، مما حدا به بعد الحرب لأن يدعو الى تأليف شركة للبحث عن النفط فى المشرق العربى وكان له السبق فى اقناع السعودية والكويت والبحرين بالبحث عن النفط منذ اواسط العشرينات ، على الرغم من تقرير جيولوجى كان قد قدمه الخبير الحيولوجى الدكتور (أرنولد هايم) أستاذ الجيولوجيا بجامعة زيورخ السويسرية سنة ١٩٢٤ يقول فى نهايته :

وعلى الرغم من أن جذور الصراع الخفى بين الامريكيين والبريطانيين فى مضمار البحث عن النفط وامتيازاتة ، قد حالت دون فرانك هولمز والعمل فى قطر فإليه يرجع الفضل فى التعجيل بتقديم الشركات الى المرحوم الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثانى للحصول على امتيازات البحث عن النفط في قطر ، مما أدى الى تلك الكشوفات الهائلة ، برا وبحرا ، من أحتياطى كبير من النفط والغاز ، فرج الله به الكرب ، وأذهب عن الناس هموم كساد سوق اللؤلؤ ، فاصبحت الارض مخضرة عامرة بالحياة والحركة والمؤسسات الحضارية المختلفة......

وحيث أنه لاتوجد دلائل سطحية علي وجود النفط فى اعماق الأرض القطرية ، فقد كان لزاما على الباحثين ، إجراء الدراسات الجيولوجية وعمل الخرائط التى تستتبعها لتحديد مظان النفط .

وقد بدأ الحفر فى منطقة دخان فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، ورغم صعوبات جمة واجهت الفنيين ، إلا ان مشيئة الله امكنتهم فى أواخر سنة ١٩٣٩ من اختراق طبقات

العصر الجوروى الأوسط على عمق (٥٥٠٠ قدم) التى تفجر منها زيت الصخر الجيد بمعدل (٥٠٠٠) برميل فى اليوم ....

وتواصل الحفر ، وزادت المعرفة عن الاحتياطى المخزون ، ودخلت قطر ، بعد صبر ومعاناة ، ميدان النفط العالمى من أوسع أبوابه وذلك بفضل من الله ...

وقد قامت الحرب العالمية الثانية قبيل التثبت من وجود احتياطى اقتصادى من النفط فى أعماق الأرض القطرية ، وبذلك أرجئت كل أعمال التطوير ، ولم يتسن تصدير النفط من ميناء (ام سعيد) الا فى أواخر ١٩٤٩ ، وكان ما صدر آنذاك عشرة الآف طن !!!

إن في قصة العثور على النفط فى المشرق العربى عامة وقطر خاصة فى الوقت الذى اصبح مورد الرزق الأزلى الوحيد سوقا كاسدة لا امل فى إحيائها ، وذلك بغزو اللؤلؤ اليابانى المستزرع الرخيص للأسواق العالمية واضمحلال اسعار اللؤلؤ الطبيعى ، لآيات لأولى الألباب الذين يجب أن يتفكروا بإمعان ودقة فى كيفية الاستعداد لما بعد النفط ، وأن يضعوا ما أفاء الله به من نعمة في الموضع الذى يستوجب رضاء الله فى السر والعلن ، وأن يذكر كل من ناله من خيرات النفط قول الحق تبارك وتعالى : " وما بكم من نعمة فمن الله " وقوله تعالى : " وسنجزى الشاكرين " ، وزمام الشكر أن نحسن العمل ، ونبذل الجهد فى سبيل مستقبل هذه الأمة التى تكالبت عليها الأمم فى هذا الزمان العجيب .

اقدم خريطة للبحار السبعة

أهل قطر ، بدواً وحضراً ، جزء أصيل من الأمة العربية الإسلامية منذ أن وصلتهم نعمة الرسالة الخالدة ، في ركاب الصحابي الجليل ، العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، سنة ست (أو ثمان) بعد هجرة خاتم المرسلين صلي الله عليه وسلم ، وكان ملكهم حينذاك ، المنذر بن ساوي ، من بني تميم ، الذى اسلم وحسن إسلامه ودعا قومه للإسلام فتركوا عبادة النار والأوثان والخيل وكل طقوس الأديان والوثنيات التي سبقت الاسلام .

ومنذ فجر التاريخ ، و مشقات حياة البحر ، نقلاً للتجارة ، وصيداً للسمك وغوصاً على اللؤلؤ ، وصعوبات حياة الصحراء ، جرياً وراء الكلأ ، واجتيازاً بالقوافل دروب الجزيرة العربية على سعتها ، للتجارة ، قبل الاسلام وبعده تصوغ حياة الناس بدواً وحضراً ، فاكتسبوا تهذيب الطباع وحسن المعشر والوداعة ، والانتماء بالوفاء للعروبة والاسلام والأسرة الانسانية قاطبة .

ومن هنا نجد دولة قطر ، تجسيداً لهذه الطباع ، لا تألوا جهداً ، ولا تدخر وسعاً ، في مضمار تنمية علاقاتها الحضارية البناءة ، مع مختلف شعوب الأرض وخاصة العربية والاسلامية .

أهدت السفارة التركية بالدوحة ـ مشكورة ـ مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة ، إلى مكتبة متحف قطر الوطني .

وكان من بين ما أهدى ، خريطة للعالم ، رسمها ضابط بحار تركي سنة ١٥١٣م ، تشتمل على منطقة المحيط الأطلنطي بشاطئيه ، الأفريقي الأوروبي ، والأمريكي ، مرسومة بطريقة علمية ، أجمع الباحثون والمدققون في وثائق التاريخ ، على أنها ، غير مسبوقة ، وأنها تمتاز عن كل ما سبقها بالدقة المتناهية وصحة القياسات ، وأن ذلك البحار التركي المسلم الشاب ، محيي الدين بيري بن الحاج محمد ، والذي اشتهر فيما

بعد باسم (بيري رايس) كان بلا منازع ، ابرع أهل زمانه في رسم الخرائط .

ولد محيي الدين بيري رايس بن الحاج محمد فيما بين سنة ١٤٦٥ وسنة ١٤٧٠ في غاليبولو .

وأهل غاليبولو ، التي يسميها الأوروبيون (جاليبولي) إثر هزيمة الحلفاء المنكرة فيها في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ينشأون في الماء كالتماسيح ، مهودهم السفن والقوارب ، لا ينام الطفل منهم إلا بعد أن يشهد هدير الأمواج وتملأ أذنيه بأنغامها ، فلا غرابة أن يكون منهم بحار يرسم أول خريطة دقيقة للعالم .

التحق محيي الدين وهو فى الثانية عشرة بالعمل البحري مع خاله (كمال رايس) فاخذ اسمه بعد أن ثبتت جدارته ، وظل يعمل تحت إمرة خاله القائد البطل زهاء أربعة عشر عاماً متصلة ، جاب فيها كل المعروف من الطرق البحرية في زمانه ، والف كتابه عن (البحرية) ورسم خريطة العالم من حصيلة أعماله الشخصية في التخريط ، وما جمعه من أعمال من سبقه من مشاهير رواد البحار السبعة .

ولعل ظهور رجل مثل (بيري رايس) دليل لكل ذى عقل ولب ، على أن الدولة العثمانية لم تكن مجرد دولة سيف وحرب وغزو ، بل إنها بكل تأكيد كانت دولة حضارة ، تأخذ بالأسباب ، وتقدر العلم حق قدره ، وتشجع المعرفة ، وتتيح الفرصة لكل إنجاز علمي أو تقني أو فني ، حتى إذا اعتراها ما يعتري الدول والإمبراطوريات من شيخوخة وهرم ومؤامرات ، انتهت .. فنحن نعلم أن الدولة العثمانية قامت لتحمل لواء المسلمين على أثر ما اصاب دولة السلاجقة من تدهور ، وأنها خلال ستة قرون من الزمان مرت في اربعة أطوار ، لكل طور ما يميزه.

الأول : طور الانشاء والتكوين فيما بين سنة ١٢٩٩ ، ١٤٥٣م ، وهو عام فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله رحمة واسعة .

الثاني : طور النمو والازدهار فيما بين سنة ١٤٥٣ ، عام فتح استانبول ، إلى عام ١٥٧٩ وفي غضون هذا الطور ظهر (بيري رايس) صاحب أول خريطة (صحيحة) للعالم ببحاره السبعة ، بما فيها المحيط الأطلنطي (بحر الظلمات) بشاطئيه .

الثالث : طور الاضمحلال والترهل ، بسبب الترف والافساد والفساد والنزاعات الداخلية والمؤامرات الخارجية والانكماش الفكري ، فيما بين سنة ١٥٧٩، ١٧٩٢ .

الرابع : طور التحلل والنهاية ، فيما بين سنة ١٧٩٢ ، ١٩٢٠ .

والذى يدلك على روعة الطور الثاني ، طور الازدهار ، أن بيري رايس أهدى خريطته عندما فرغ من إنجازها إلى راس الدولة الذي كانوا يسمونه ، (سلطان البرين وخاقان البحرين) ، السلطان سليم سنة ١٥١٧ ، كما أهدي مؤلفه الموسوعي (البحرية) الجامع لعلوم البحار وفنون الملاحة ، إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٨ ، وقد لقى من كل منهما كل ما يلقاه العلماء الممتازون من الحكام المستنيرين العظماء ، على مر التاريخ، من تبجيل وتقدير واحترام .

ويرجع الفضل في اكتشاف خريطة بيري رايس سنة ١٩٢٩ إلى الأستاذ الجليل (ايلديم) ، مدير المتاحف الاثرية بتركيا ، عندما كلفته الحكومة بتحويل (قصر توبكابو) إلى متحف.

وتصادف وجود الأستاذ (بول كاله) الذى كان أستاذاً للاستشراق في جامعة بون الألمانية ، والذي كان أول من حقق هذه الخريطة علمياً في مؤتمر للمستشرقين في سبتمبر سنة ١٩٣١ بمدينة لايدن الهولندية .. وكتب عنها تحقيقاً علمياً ثانياً سنة ١٩٣٢، وتبعه الاستاذ الألماني دايزمان بتحقيق أعم وأشمل في برلين سنة ١٩٣٣ .

ولقد رفعت بيري رايس جدارته وعلمه في رتب البحرية العثمانية حتى أصبح (أمير البحر) أو (الأدميرال القائد) للأساطيل العثمانية في البحر الأحمر والبحر العربي الجنوبي وخليج عمان .

لون بيري رايس خريطته ، بعد أن رسمها على الرق (جلد الغزال المدبوغ) وكتب عليها ملاحظاته ، وجملها بالرسوم ، التي كانت مألوفة في زمانه على الخرائط فيقول في كتابه البحرية ، (إنه بعد أن حول مقياس الرسم للخرائط التي سبقت زمانه إلى مقياس رسم واحد . وهذا يدل على سعة علمه في الرياضيات والفلك . اتخذ ما اصطلح عليه الناس في زمانه من رسم المدن والقلاع باللون الأحمر ، والأماكن الخالية من الناس بخطوط أو نقاط سوداء ، والشواطىء والبحار الضحلة بنقاط حمراء ، والصخور التي تحت سطح الماء بعلامات مصلبة ..) ومن الغريب الملفت للنظر في خريطة بيري رايس ، أن كثيراً من الأماكن على الساحل الافريقي للأطلنطي تحمل أسماء تركية من مثل (اكبورون) أو الراس الأبيض و (يزلبورون) أو الراس الأخضر و (كيزيلبورون) أو الراس الأحمر وغيرها .

كتب بيري رايس في ملاحظاته على خريطته :

((هذه الخريطة رسمها بيري إبن الحاج محمد وابن أخت كمال رايس في غاليبولو في شهر محرم سنة ٩١٩هـ ، أي فيما بين مارس وابريل سنة ١٥١٣م)).

وكتب في ملاحظاته عن الشاطئ الأمريكي الجنوبي ما يلي :-

(هذه السواحل اكتشفت سنة ٨٩٦هـ (١٤٩٢م) واكتشفها أحد (الكفار) من جنوا ، وكان اسمه (كولومبو) ، وكان قد وقع في يده كتاب قديم مكتوب فيه أن هنالك في آخر البحر الغربي (الأطلنطي) من الغرب توجد سواحل وجزر زاخرة بكل اصناف المعادن والأحجار الكريمة . ولما استوعب هذا الرجل ما في ذلك الكتاب جيداً ذهب إلى أمير جنوا ومعاونيه وطلب منهم تجهيز سفينتين ليذهب إلى تلك البلاد الغنية فقالوا له: ايها الرجل المجنون إن البحر الغربي ليس له نهاية وإن ابخرته مليئة بالظلمات ، فلما يئس كولومبو من معونة أهل جنوا ذهب إلى ملك أسبانيا وشرح له ما علم من الكتاب القديم ، ولكن الملك لم يستجب له بادئ الأمر، ولكنه ظل يلح عليه حتى وافق وجهز له

سفينتين قائلاً : ياكولومبو ، إذا كان ما تقول صحيحاً فلسوف أجعلك (قبوداناً)على تلك البلاد . وكان الغازي كمال رايس (خال بيري) قد أسر بحاراً أسبانيا من الذين رافقوا كولومبو في رحلات ثلاث ، وقال ذلك الأسير أن الرحلة بدأت من جبل طارق في اتجاه جنوبي غربي لمسافة اربعة آلاف (ميل) فشاهدنا جزيرة في مواجهتنا وكان البحر هادئاً ، وكان النجم القطبي الشمالي يختفي رويداً رويداً ، وبدأت تظهر لنا مجموعات من النجوم لم نعرفها من قبل ورسونا على شاطيء الجزيرة تلك فجاء أهلها وامطرونا بوابل من السهام ومنعونا من النزول إلى البر ، وكان الرجال والنساء يتعاونون في قذفنا بالسهام وكانت رووس سهامهم مصنوعة من عظام الأسماك ، وكانوا كلهم عراة ، فابحرنا صوب الشاطيء الآخر للجزيرة حيث وجدنا قارباً ، كان أصحابه قد فروا منه عندما شاهدوا سفينتنا الضخمة فأخذنا ذلك القارب ، فوجدنا فيه لحم آدميين ، فعرفنا أن أصحاب القارب من الناس الذين يتصيدون البشر ليأكلوا لحومهم ، وشاهد كولومبو جزيرة أخرى فاقتربنا منها حيث وجدنا ثعابين هائلة فلم نجرؤ على النزول إلى البر ، وظللنا في سفينتنا راسين حوالي سبعة عشر يوماً ، فلما شعر أهل الجزيرة أننا لا نريد بهم سوءاً جاءونا بكمية من السمك اصطادوها بقوارب لهم صغيرة، فأعطيناهم بعض (الخرز) الزجاجي ثمناً له ، وكان كولومبو قد قرأ في الكتاب القديم أن أهل تلك الأصقاع مغرمون بالخرز . وواظب السكان على مدنا بالاسماك نظير الخرز ، وفي يوم شاهدنا سواراً من الذهب مع امراة فاعطيناها بضع خرزات وأعطتنا ذلك السوار ، ففرح الناس وعادوا لنا بكميات من الذهب لياخذوا بدله الخرز ، فاستدللنا على أن جبالهم غنية بمعدن الذهب . وفي يوم آخر راينا مع أحد الأهالى بعض اللؤلؤ فاستبدلناه منه بشيء من الخرز أيضاً فسر سروراً بالغا وتكاثر علينا من يستبدلون اللؤلؤ الثمين بالخرز الزجاجي !!! واكتشفنا أن محار اللؤلؤ يوجد بكثرة في مياه ضحلة حول تلك الجزيرة!!! وأحضر الأهالي لنا أيضاً كمية من الأخشاب الفاخرة ،

وكنا لا نفهم لغتهم فكنا نتفاهم بالإشارات ، وحملنا كل ما أخذناه إلى الملك في اسبانيا، وأرسل الملك معنا في الرحلة الأخرى نفراً من القساوسة والشعير . وكان الناس هنالك بلا دين ويمشون عراة وينامون كالبهائم . وقد أطلق كولومبو أسماء مختلفة على الأماكن هنالك .

ولما كان كولمبو من الخبراء المرموقين في القياسات الفلكية ، فلقد أخذت عنه في خريطتي هذه مواقع السواحل والجزر المختلفة .

وبذلك يؤكد (بيري رايس) أمانته العلمية ، ويعطي كل ذي حق حقه .. كما أنه لم ينس أن يذكر بعض الخرافات متهكماً مما وجده على خرائط للبحارة البرتغاليين حيث يصفون الغيلان والثيران ذوات القرون الستة والثعابين التي لا مثيل لها والحيوانات وحيدة القرون .

ثم يختم ملاحظاته فيقول :

في هذا القرن (يقصد أوائل القرن ١٦ الميلادي) لا توجد خريطة كهذه في العالم. ولقد رسمتها يد هذا العبد الفقير وتمت بحمد الله . ولقد استقيتها عن حوالي عشرين مصدراً ابتداء من (المابا موندي) المنسوبة للإسكندر ذي القرنين إلى مارسمه البحارة العرب الأفذاذ و (الكفار) البرتغاليون وكما رسمه كولومبوس للشاطيء الغربي للبحر الغربي .

وأعجب مافي خريطة (بيري رايس) حتى الآن هو أن المسافات عليها تطابق أحدث الخرائط المعروفة في ايامنا هذه .. والمطلوب الآن التحري والتدقيق لمعرفة ما هو الكتاب الذي ذكر بيري رايس أن كولومبوس قد استدل بقراءاته على سر وجود أمريكا وما حول شواطئها جنوباً وشمالاً من الجزر ، لأنه ليس من المعقول أن يظل العرب زهاء سبعة قرون في الأندلس دون ان يحركوا سفنهم لسبر أعماق ومعرفة نهاية المحيط الأطلنطي ، بحر الظلمات ، كما لا يمكن القول بان اكتشاف الدنيا الجديدة سنة ١٤٩٢م

(وهي سنة اندحـار العـرب من الأندلس) هكذا كـان مـجـرد صـدفـة . فـلابد وأن كولومبوس قد أخذ شيئاً من تراثنا لم نتعرف عليه بعد!!!! .

ولابد من تضافر الجهود للتعرف على ذلك المجد الدفين لعل فيه ما يحرك عروق الحياة في مواتنا .

الرمال الموسيقية

من أروع ما قدمه الاسلام للانسانية تحرير العقل من الشرك بمختلف مظاهره واساليبه الخفية والظاهرة ، وفك قيود جميع أنواع الكهنوت والوساطة بين الانسان وخالقه ، والمساواة ، أمام الله ، بين جميع بني آدم وحواء ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . حتى إنك لتجد في الصدر الأول بلال الحبشي الأسود وسلمان الفارسي العجمي الذي كان لا يتقن العربية تمام الاتقان ، وصهيب الرومي يتساوون بالاسلام مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم من أشراف قريش لا تمييز ولا عنصرية ولا تفرقة ..

وجاء الاسلام ، والعرب ، شأنهم شأن الأمم حولهم ، غارقون في الوثنية وعبادة الأصنام واتخاذ التعاويذ والتمائم ، والتبرك بالتماثيل والحجارة والأيقونات والكواكب والنجوم ، وكان لديهم من الأصنام التي يعبدونها ، أو تقربهم بجهلهم إلى الله زلفي ، ما أحصاه إلى حد ، ابن الكلبي في كتابه الأصنام وذكره الدكتور جواد علي في المجلد السابع من كتابه الضخم عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

كانت لديهم اللات والعزى ومناة وهبل وسواع ويعوق ويغوث ونسر وعميانس وأساف ونائلة ومناف وذوالخلصة وسعد وذو الكفين وذوالشرى والأقيصر ونهم والفلس واليعبوب والمحرق ورئام والأشهل والفيزن وجريش والقليس ، وعشرات أخرى ولكل عندهم قصص وأساطير وأباطيل لا يحصيها العد ، ولا يدركها التقصي . وتبع الوثنية وعبادة الأصنام ، التشاؤم والتطير والسحر والشعوذة والخرافة والتنجيم ،وما الي ذلك مما يكبل العقل باغلال الجهالة والانغلاق والانقياد للكهنة والدجالين وضاربي الرمل والودع ، ويصرفه عن حقيقة التفكر في ملكوت الرحمن والبحث في فهم نواميس هذا الكون وقوانينه والسنن التي يجريه الله تعالي بمقتضاها في نظام محكم دقيق مقدر عجيب فيه آيات لأولي الألباب .

وخلال القرون الأربعة عشر المنصرمة ، منذ بلغ الإسلام رسالته للعقل البشري ، ونادي بالعبودية لله وحده لا شريك له أبداً ، كانت ميكروبات الوثنية الكامنة تهتبل فترات الجهل والعزلة والأمية ، فتطل برؤوسها البشعة الكريهة في مجتمعات المسلمين ، وتلبس مختلف الثياب والأزياء ، وخاصة عندما تضعف دولة الاسلام

وتغلب على أمرها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، كما هي الحال اليوم .. ولم تكن سيناء ، في الشمال الشرقي لمصر ، عند التقاء آسيا بافريقيا استثناء من القاعدة التي أسلفنا .

فإذا كانت مساحة شبه جزيرة سيناء تقارب واحداً وستين ألف كيلو متر مربع من الارض السبخة والرملية والجبلية ، فإنك تكاد تحصى قرابة ستمائة (مزار) اختلط فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب والواقع بالخيال ، حيث يتصرف الناس بدواً وحضراً تصرفاً يكاد يكون وثنياً صرفاً حيال تلك المزارات ، ويقومون لها بطقوس غريبة قد لا تختلف عن تلك التي كان يمارسها أجدادهم في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، حيث يقربون القرابين وينشدون الأهازيج ويرقصون ويطعمون الطعام ، ويدعون بأدعية غريبة قد تقربهم من الشرك الواضح الصريح .

ولعل أشهر المزارات في سيناء هو (الأبرقين) . والأبرقين ، جاء اسمه من (البرق) بفتح الراء والباء ، وهو في لغة العرب الحجارة التي تكسوها الرمال السافية من بعض نواحيها ومن هنا تجد أسماء البرقاء والأبرق والأبيرق في كثير من الصحارى العربية ومنها سيناء ، دلالة على أن الرمال السافية تكسو أجزاء من تلك التلال ..

والذي نحن بصدده تل لا يتجاوز ارتفاعه ثلاثمائة وستة وسبعين متراً فوق سطح البحر ، ويقع إلى الغرب من كتلة جبل الحلال الذي نكتبه خطأ في الخرائط العربية باسم (هلال) على نحو خمسين كيلو متراً جنوب العريش .

ومن الروايات الكثيرة بين البدو والحضر ، يبدو أن هذا التل الذي يتكون من طبقات

صخور جيرية تكسوها الرمال السافية ، تحدث فيها ظاهرة (الرمال الموسيقية) التي اجتهد كثير من علماء الجيولوجيا في محاولة تفسيرها تفسيراً مقنعاً محدداً .

وظاهرة الرمال الموسيقية هذه شائعة في كثير من الصحاري العربية وغير العربية .. ويقول العلماء الذين سمعوها في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا أو استراليا ، أن أصواتاً تشبه جلجلة السلاسل أو احتكاك أوراق (الصنفرة) أو الطبل الضخم ، تنبعث من تحرك الرمال السافية على التلال الصخرية بفعل الجاذبية في الأيام أو الليالي التي يكون فيها الهواء ساكناً تماماً ، ويفسر بعضهم تلك الحركة في الكتلة الرملية السافية بأن الرمال قد سخنت اثناء النهار بفعل حرارة شمس الصحراء الساطعة ، فلما برد السطح ليلاً أو بعد زوال الشمس حدث فرق في الكثافة وتكون مستوى فاصل يؤدي إلى التزحلق ومن هنا تصدر الاصوات ، التي قد يكون سمعها بعض رعاء الشاء أو الإبل أو عابري السبيل قرب تل الأبرقين منذ قرون ، فاعتقدوا في أنه مكان مقدس ونشأت عادة زيارته في موسم معين ، كما يزار ذلك الكم من المزارات في سيناء من اقصاها إلى اقصاها .

يذبح الزائر ، من البدو أو الحضر ، قربانه الذي نذره للأبرقين ، عنزاً أو جدياً أو نعجة أو خروفاً سميناً ، ويسلخه ويلقي براسه وفروته طبقاً لطقوس معينة ، ويرمي شيئاً من اللحم في الفلاة غذاء للوحوش وأوابد الطير من رخم ونسور ، ويطبخ الباقي ويطعم القادمين من كل حدب وصوب لهذا الموسم ، وينصرف الجميع ، كل قد علم وجهته وتزود بكمية من اللحم المسلوق .

وهنالك علامات للقبول أو الرفض للقربان ، منها سلسلة ضخمة مثبتة من طرفيها في الأرض اسفل التل من الغرب ، إذا اجتازت الذبيحة تلك السلسلة دون أن تقع فهي مقبولة!!!.

وليست زيارة الأبرقين بالذات وقفاً على قبيلة بعينها ، فهو مزار عام لكل سكان شبه الجزيرة بدوا وحضراً ..

كانت أمي يرحمها الله ، لا تزور الأبرقين لبعد الشقة ، وعدم الاستطاعة ، فكانت تقتصر على زيارة البحر ، شأن صويحباتها من نساء العريش ، فكانت تربي جدياً ، لابد أن يكون أسود فاحماً لاشية فيه ، وتسمنه بالعلف الجيد ، ثم تنطلق بنا في يوم اثنين معين صوب اليزك (النبي ياسر) ، وهنالك يذبح الجدي ويسلخ ويحمل فروته وراسه وجزء من لحمه ليلقي في البحر بعد (سبع موجات) ثم تطبخ بقية اللحم ، وتهشم لنا الثريد في المرق ، وتطبخ بعض جريش القمح وتشبعه سمناً طيباً ، وبعد العشاء تدعو الله بالقبول ، ثم ينصرف الجميع ..

ولقد ظلت على تلك العادة العجيبة حتى كبرنا وقرأنا لها في الكتب عن الشرك وأنواعه ومظاهره فتركت ما كانت تعتقد أنه من الاسلام ، يرحمها الله .

وإلى جانب المزارات ، فلدى ابدو في سيناء ، معتقدات ، لا أعلم أن علماء الأزهر الشريف كلفوا أنفسهم مشقة النهي عنها ليصلح دين القوم ويخلص معتقدهم من أدران الجاهلية ، كالاعتقاد في أن الأشجار في واد بعينه كوادي الشيخ حميد أو وادي المشايخ أو منطقة رجال الخلا ، على سبيل المثال لا الحصر ، اشجار مقدسة لا تعضد ولا تقطع ولا يوقد حطبها ، لدرجة أن إنساناً قد يحلف بالله كذباً عدة أيمان مغلظة ، فإذا جاءه القاضي بفرع من شجرة سيال أو طلح من وادي المشايخ ليقسم عليها قال الصدق والحق ، خوفاً من اللعنة ان تحل عليه أو يبتلي إذا كذب !!! ـــ .

فهل آن الأوان لاستطلاع علمي دقيق عن هذه الأعاجيب والخرافات والأفكار الضالة؟؟

وهل آن الأوان لعلماء المسلمين أن يتقصوا على سعة العالم الاسلامي كله ، ما لدى المسلمين في كل القارات من مثل هذا الذي ذكرناه عن سيناء ؟

إن المسلمين اليوم أحوج منهم في أي وقت مضى لنفض آثار الجاهلية التي ابعدتهم عن حقيقة ونورانية وعقلانية هذا الدين الذي حين تبعوه حقاً جعلهم يحكمون الدنيا كلها قروناً عدة يوم كانوا يمارسونه دون جهل الجاهلية ، وشوائب الشرك الخفية ..

وعن الماء .. نقول

تماماً ، كما لا يدرك الشوق إلا من يكابده ، فانه لا يدرك قيمة قطرة من الماء ، ويعرف قدرها ، إلامن عركته الصحراء ، برمضائها ولفحه حر قيظها ، في مهمه قفر بلقع ، يتراءى فيه السراب بكل قيعة ، وقد نفد ما في سقائه من ماء ، مع يقينه ببعد الشقة عن كل ثميلة ، أو ثمد ، أو قليب جفر .. هنالك فقط يدرك المرء حقيقة اهمية الماء .. ذلك السائل العجيب ، الفريد بين كل ما خلق الله سبحانه في هذا الكون الفسيح .. فمن بين الآلاف المؤلفه من المركبات الكيمائية ، طبيعية أو صناعية ، معدنية أو حيوية ينفرد ذلك السائل الذي لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، بخصائص تدعو كل ذى عقل ، أن يتأمل فيها ، ويتساءل عنها .. هل تلك الخصائص ، في الماء ، مجرد (صدفة) عمياء ، انقشعت عنها قوانين الاحتمال ؟ أم أن (صانع الماء) قد أوجده بصفاته تلك ، ليقضي أمراً كان مفعولاً ؟

من تلك الصفات والخصائص ـ على سبيل المثال فقط ـ ان الماء :

أ- وهو أحد مركبات الهيدروجين مع أحد أفراد مجموعة العناصر السادسة ، في جدول مندليف الكيمائى المشهور ، يتميز عن (جميع) مركبات الهيدروجين ، مع غير الأكسجين ، من عناصر تلك المجموعة كالكبريت ، والسلينيوم ، والكروم ، والتنجستن بأنه المركب الأوحد الذي يكون سائلاً في درجات الحرارة العادية ، في حين أن المركبات الأخرى تكون إما غازية أو صلبة القوام .

ب- ان الماء ، وحده ، هو الملائم للاحياء ، دون مركبات الهيدروجين الأخرى ، وكلها دون استثناء ، ، سامة قاتلة للأحياء من النبات والحيوان ، على السواء ..

ج - ان الماء ، له خاصية مميزة فريدة عجيبة ، تسترعى الانتباه ، وهي أنه إذا برد فان كثافته تزداد ، أى يثقل وزنه ويقل حجمه ، حتى إذا ما وصل إلى درجة (٤) مئوية فان أمره ينعكس فتقل كثافته بازدياد يطرا على حجمه ، حتى إذا ما اصبح ثلجاً عند درجة الصفر المئوى ، طفا فوق بقية الماء ، وحماه من التجمد .. وهنا تشرق أمام ذوى

البصائر حكمة بالغة .. إذ كيف تكون حال الكائنات الحية كلها ، مما يعيش في الأنهار والبحيرات والمستنقعات ، بل والبحار القطبية ، لو أن الماء لا تتغير صفاته الفيزيائية ذلك التغير العجيب عند درجة (أربعة) فوق الصفر المئوى؟ ذلك سؤال نترك الإجابة عنه لكل من يكرم عقله وينزهه عن الأخذ بنظرية الصدفة ، في وجود هذا الكون .. ثم نطالب كل من يكرم عقله وينزهه ، بالتفكر معنا ، في أمر ، قد لا يبدو أول وهلة ، ذا أهمية أو بال .. فقد نكون ، نحن معشر العرب ، من اقل الناس علماً ، بحاجتنا إلى الماء ، ولا اقول نحن اقل الناس اهتماماً إذ منا من يفكر في نقل الماء على هيئة كتل من الثلج نجدها عبر المحيطات والبحار، من القطب الجنوبي إلى البحر الأحمر ، ومن واجبنا أيضاً التفكير في نقل ثلوج القطب (الشمالي) ، إلى أهلينا في غرب افريقيا ، حيث الحاجة إلى الماء بالغة ... هذا الأمر هو التوصل إلى انشاء (مؤسسة عربية قوية للدراسات المائية) بعيدة تماماً عن الصراعات السياسية ، والاختلافات العربية العديدة الكثيرة الفروع والتشعبات .. تكون مهمتها الاساسية والفرعية ، بتضافر العقول العربية دراسة كل الآفاق والسبل العلمية والتكنولوجية لزيادة الثروة المائية في أرجاء الوطن العربي بلا استثناء تعمل على :

أولاً : استنقاذ كل قطرة ماء تضيع هباء ، في البطائح والمستنقعات ومصبات الأنهار ومجاري الوديان بعد المطر ..

ثانياً : استنباط مصادر جديدة للماء ، في مضمار المطر الصناعي ، أو تحلية مياه البحار بالطاقة الذرية أو بطاقة الغازات الطبيعية .

ثالثاً : وترويض ما يمكن من المحصولات الزراعية لمواءمة بعض أنواع المياه المالحة في وطننا كله ، وخاصة حواف السباخ البحرية .

رابعاً : التفكير في ابتداع طرق جديدة لتوفير الماء ، في الاستعمالات اليومية ، فأعلم أن (غيرنا) قد ابتاع جهازاً جديداً لتوفير الماء العذب الذي يضيع في دورات

المياه والحمامات بحيث اصبح الاستهلاك في هذا الباب اقل من السدس فهل يستطيع أحدنا أن يبتدع لنا أسلوباً لتوفير الماء الضائع أثناء الوضوء ـ مثلاً ـ فيما بين غسل مختلف الأعضاء ؟

خامساً : رصد مكافأة أو جائزة لذلك العالم أو التكنولوجي العربي ، أو مجموعة من العلماء والتكنولوجيين العرب ، ممن يستطيع أن يحقق عربياً وعالمياً ، جهازاً يعمل بالطاقة (الحرارية) الشمسية ، أو بالطاقة (الحرارية) المستمدة من الغاز الباطني سواء الغاز المصاحب للزيت الذي نحرقه قرب مستودعات الحقول ، أو الغاز الطبيعي المستقل عن الزيت ، ويكون عمل ذلك الجهاز استنقاذ الماء من (الرطوبة الجوية) القريبة من سطح الأرض ، والتي تكون الضباب والندى في بعض الأحوال . والرطوبة الجوية على امتداد السواحل العربية لدى الخليج ، وبحر العرب ، والبحر الأحمر بشاطئيه على وجه الخصوص ، لكي تكون مصدراً مفيداً للماء ، لو أعطيناها من العناية العلمية ما تستحق .. ويستحق جائزة عالمية المستوى ذلك الذي يبتدع جهازا اقتصادياً لاستنقاذ ذلك الماء ، يستوحيه من مشاهدة ، قد لا تغيب عن بال الانسان الجيد الملاحظة ، إذا راقب أجهزة التكييف المنبثة في مدينة مثل الدوحة ، حيث أمكن التوصل الى حساب مبدئي يقول بأن (خمسة آلاف) جهاز تكييف ، تكثف من الرطوبة الجوية (يومياً) ما يقارب (مليوني) لتر من الماء .. قد لا يكون هذا الرقم سارى المفعول على كل ايام السنة ، ولكنه بالتأكيد مؤشر هام إلى خطورة ضياع ماء الرطوبة الجوية ..

فهل يتحقق حلم انتاج جهاز تكنولوجي حديث بابداع عقليات عربية للاستفادة من الرطوبة الجوية على طول سواحلنا ، لنصنع بها الماء للشرب ، والزراعة ولو على نطاق ضيق جداً ؟

إن انجازا كهذا يستحق من التمجيد والاحترام ما يعيد إلى الأذهان حقيقة عنصر هذه الأمة وقدراتها في العلم والتكنولوجيا دون ريب .

العود والبخور

لا يكاد الضيف أن يستقر إذا دخل بيتاً قطرياً في البادية أو المدينة ، إلا ويكون في مقدمة ما يستقبله به المضيف مبخرة يتصاعد من فوقها دخان العود بعبقه وشذاه المحبوب .

لا غرابة في ذلك ، إذ لاشك أن علاقة قطر ببخور العود المجلوب عبر القفار والبحار من ادغال آسيا الجنوبية الشرقية ، علاقة قديمة ، حتى أنك لتجد مرجعاً مثل كتاب المخصص لابن سيدة الأندلسي ، يؤيد ما ذهبنا إليه من احتمال اشتقاق اسم قطر من القطر ، بصم القاف ، وهو أحد أسماء عود البخور ، ومنه قالوا في اللغة قطر الرجل ثوبه أى تبخر بالعود ونحوه من البخور . والعود في اللغة أصلاً ، كل قطعة جافة من الشجر ، ولكنه خصص لهذا الصنف من البخور لأنه كما قال ابن سيدة : (اشرف أنواع العود وأطيبها رائحة).

ولعود البخور الذي نعنيه عدة أسماء في الفصحي ، فهو الأُلُوة والألنجوج والقطر والقنطار والوَح والوقصى والشذا والصنفى والقهارى والهندى ، ليس على سبيل الحصر.

وللعود في تاريخنا وتراثنا ذكر عجيب في الشعر والنثر على السواء . فقد جاء في كتاب الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير ، من القرن الخامس الهجري ، طرائف جمة عن العود نذكر منها على سبيل المثال : أهدي ملك الصين لكسري أنو شروان ألف منٍّ ، والمنُّ رطلان ، من العود الهندي الذى يذوب في النار كالشمع ، ويختم عليه فتبين الكتابة . وأهدي بعض ملوك الهند هدية إلى الحسن بن سهل في زفاف أبنته بوران على الخليفة العباسي المأمون في سنة ٢١٠ هـ من بينها (سفط) عود لم يرُ مثله . وقال علي بن المنجم ، كنا ليلة بين يدى الخليفة العباسي المتوكل علي الله ومعنا عبيد الله بن الحسن بن سهل . وكان الخليفة قد احتجم في ذلك اليوم فناله ضعف ،

فأشار عليه الأطباء أن يتبخر بعود جيد ، ففعل ذلك ، فحلف كل ما كان حاضراً انه ما شم مثل ذلك العود قط !!! فقال عبيد الله هذا والله من العود الذي اهداه ملك الهند إلى أبي ليلة زفاف أختي بوران علي المأمون فكذبه المتوكل ،ودعا بالسفط الذي منه القطعة فوجدوا فيها رقعة مكتوب فيها : هذا العود هدية ملك الهند الى الحسن بن سهل لزفاف بوران علي المأمون ، فاستحى المتوكل من تكذيبه ، وأمر له بصلة .

وأهدى اسحق بن زياد صاحب اليمن إلى عز الدولة أبى منصور سنة ٣٥٩ هـ هدية من جملتها دقل من عود قمارى طوله عشرة أذرع ووزنه ثلاثون مناً!!

وأرسل طغرل بك سنة ٤٤٨ هـ صحبة الأمير قطب الدولة إلى ملك الروم هدية فيها عشر طبلات كافور (وعود) . واهدى الأمير ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان سنة ٤٦٣ هـ إلى ازمانوس ملك الروم والمعروف بالديوجانس (١٠٦٨ ـ ١٠٧١م) هدية من جملتها دقلان من عود هندي أحدهما ثمانون والآخر أربعون منا .

وللبخور في تاريخ تطور الحضارة شأن ، فلاشك أن الانسان منذ عرف النار ، ميز بين الروائح المختلفة التي تنبعث من احتراق الأنواع المختلفة من الأخشاب .

ولكننا لا نستطيع أن نحدد على وجه اليقين متى وأين تم للانسان اكتشاف أن خشب العود الذى نعنيه هو أجود ما ينبعث منه الدخان حين تمسه النار .

ومن المعروف أن احراق البخور في المعابد الوثنية كان معروفاً خلال التاريخ في كل أرجاء الشرق بين مصر وبابل ، وكان للمر واللبان والكندر وغيرها من صموغ الاشجار شأن عظيم ، ولسنا نغالى حين نقول إن تجارة البخور بأنواعه من جنوب شرق آسيا بحرا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ثم برا عبر القفار والصحارى إلى عزة بفلسطين، ثم مصر عبر ممر رفح ، والى الخليج قرب حدود قطر الجنوبية الغربية ، كان الى ما قبل ظهور الاسلام مصدر خير وفير ورزق عميم ، تماماً مثل النفط في ايامنا هذه .

وفي الديانة البوذية الوثنية التي دخلت اليابان من الصين سنة ٥٣٨م ، طقوس تقتضي حرق البخور في المعابد . فاخترع اليابانيون في البوذية مذهبا يقضي (بعبادة) البخور ذاته ، وبلغ بهم الحذق والمهارة ، إلى حد ابتداع (مسابقات) يخلط فيها الكاهن أنواعاً من المواد ذات الرائحة العطرة ، ثم يضعها على المبخرة أو المجمرة ، فيشم المصلون دخانها ، ويجتهد كل منهم في ذكر مكونات ذلك الخليط صنفاً صنفاً ومنهم من يفوز في دقة التمييز فوزاً كاملاً .

ولما جاء الاسلام الحنيف ، لم ينكر الطيب بل حض عليه ، بما في ذلك البخور ، ولكنه لم يجعله جزءً من العبادة لا في الفروض ولا في السنن .

ولكن افكار الذين يكيدون للاسلام ، ويسعون لإدخال البدع فيه ، تعمل عبر الزمان والمكان منذ رسالة المصطفي صلي الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ، ومن ذلك ، ونحن في سياق الكلام عن عود البخور نذكر القصة الطريفة التالية .

قال ابو محمد الفرغانى في تاريخه ، إن المأمون قد اصاب بخراسان كانونا من الذهب مرصعا بالجواهر ، قيل أنه ليزدجرد بن شهريار الفارسي فقال ذو الرئاستين الفضل بن سهل بن الصولت يا أمير المؤمنين ، الرأى أن تجعله في الكعبة يوقد فيه (العود) بالليل والنهار فقال المأمون أفعل . وأمر بحمل الكانون إلى مكة المكرمة . واتصل الخبر بيزيد ابن هارون المحدث ، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس واصحاب الحديث فيشكر المأمون ويدعو له ويخبر بخبر الكانون . ففعل المستملى ذلك ، فلما سمع يزيد كلامه صاح وانتهره وقال له : ويلك اسكت ان امير المؤمنين أجل قدراً وأعلم بالله عز وجل من أن يجعل بيته تعالى بيت نار (كالمجوس) . فكتب أصحاب اليزيد بذلك إلى المأمون فأمر بكسر الكانون ، وبطل ما كان دبره ذو الرئاستين .

وأعجب ما في أمر عود البخور ، أنه ناتج عن مرض يصيب شجرته بسبب جرثومة فطر مؤذية تدفع النبات إلى افراز تلك المادة الراتنجية الزكية الرائحة لمقاومة الفيروس أو الميكروب.

ومن المعروف أن الله تعالي قد أودع في النبات خواص عجيبة تساعده إذا أصيب بجرح أو جرثومة مرض أن يفرز دواءه من بين خلاياه وافرازات النبات العلاجية تلك ، يقسمها العلماء إلى :

i- صموغ تذوب في الماء مثل الصمغ العربي .

ii- راتنجات تذوب في الكحول ولا تذوب في لماء مثل اللبان والمصطكى وكذاك الذي في العود الذي نتحدث عنه .

iii- علوك لا تذوب في الماء ولا في الكحول ولكنها في البنزين والطولوين وما إليها مثل المطاط .

وتلك الأنواع الثلاثة يفرزها النبات من الشقوق التي يحدثها المرض أو الآلة على هيئة سائل لا يلبث أن يتجمد بملامسته للهواء الجوى . وهنالك نوع رابع :

iv- يسيل ولكنه لا يتجمد بل يثخن قوامه مثل البلسم وأنواع الترينتين .

وشجرة العود موطنها الأصلي حوض البنغال وبورما وآسام وجاوة وكمبوديا في جنوب شرقي آسيا . ويسميها علماء النبات باسم لاتيني هو (أكويللاريا أجاللوخا) وينسبونها إلى الصعتريات . ويصل ارتفاع الشجرة البالغة إلى مائة قدم ويتراوح محيط جذعها بين ثمانية اثني عشر قدماً . ولا رائحة لخشبها السليم المعافى. ولكنها حين تهرم ذكورها ويزيد عمرها على الخمسين عاما تبدأ الفطريات في العدوان عليها فلا تملك للدفاع إلا افراز ذلك الصمغ الراتنجي الزكى الذي يكسب الخشب لونه البنى الداكن الذي يعرفه من عرف العود وقد عرف الناس العود في مصر القديمة وفلسطين وشبه الجزيرة العربية منذ قرون خلت . ويسميه جامعوه في جنوب شرق آسيا خشب (الآجور) أو (الآجار) . ويتفنون في الغش والتدليس ما وسعتهم الحيلة والفكر الشيطانى . وفي كمبوديا نوع يسميه علماء النبات (أكويللاريا كراسنا) وله أيضاً راشحة طيبة حين يعتوره المرض ولكنه أقل جودة .

ويميـزه جامعـو العـود في مظانه بإلقـائه في الماء ، فـمـا يطفوا يفـصلونه عـمـا يغـرق ، وذاك الذي يغـرق في الماء هو أجـوده لكثـرة مـا فيـه من الصـمغ الراتنجي . ولهـذا فـهم يعمدون الى اغـراق ذاك الذي يطفو باثقال ويتركونه تحت الماء زمناً غير قصيـر ، فتحلل البكـتريا فـي الماء الراكـد جزءً كـبـيراً مما تبقـى فيـه من السليـولوز ولا يتـاثر الـراتنج ، فتزداد قيمته ويعلو قدره .

واخـشى أن يكون الـكيـمـاويون قـد توصلوا الـى تخليـق ذلك الراتنـج الذي تفـرزه في الطبيـعة شجرة العـود الذكر المريضة ثم يقـدمونه للنـاس ، وخاصـة فـي اسواقنا ، على أنه طبيـعي لا سيـما إذا عرفنا ان ثمن الكيلو جرام الواحـد من العود الجيـد الذي يشبـه عود عرس بوران والمأمون قد يصل ثمنه اليوم إلى عشرة آلاف دولار أو تزيد !!!

العطــوروالطيب

هنالك احتمال أن اسم دولة قطر ، قد يكون جاء من القطر ، بفتح القاف وسكون الطاء ، ومعناه وضعك البخور فوق الجمر المتقد في (المقطرة) لاستبيان جودته ومدى عبقه ، وذلك أن قطر تقع في منطقة من المشرق العربي كان ينتهي إليها أحد فروع (درب البخور) الذي كانت تتخذه القوافل منذ قرون ممعنة في القدم ، من جنوب شبه الجزيرة العربية من ممالك ، سبأ ومعين ، وقتبان ، والحميريين ، وحضرموت ، حاملة اللبان والمر ، ومعهما المسك والعنبر والزباد ، وغيرها من الأفاويه والتوابل ، إلى بلاد الشام وجنوب غربي اسيا وإلى أوروبا عبر الجزيرة والأناضول ..

والناس في قطر ، بدوا وحضرا ، شأنهم شأن بقية هذه الأمة التي إليها ينتمون ، لهم مع الطيوب والبخور شأن واهتمام ، حتى أن هنا في قطر ، ضرباً من (المداخن) أو (المباخر) الفريدة في نوعها وزخرفتها ، يصنعها أهل مدينة الخور التي تقع إلى الشمال من الدوحة العاصمة على سيف الساحل بقرابة خمسين كيلومتراً ويتخذونها من طبقات حجرية جيرية يعرفونها على شاطئهم ، ويستخرجون منها ما يشاءون عندما ينحسر ماء البحر في ساعات الجزر .. ولكن هذه (المباخر) شأن كل صناعة تراثية أصيلة ، قد أصابها ما أصاب غيرها من انحسار ، من جراء هجمة المستوردات بأنواعها ، عبر القفار والبحار والأجواء ، فقل انتاجها ، وكاد الناس ان ينصرفوا عنها ، لولا بقية من صحوة يعتنقها من لا ينسون المثل القائل : (من فات قديمه ، تاه) .

ومن منطلق فلسفة أن متحف قطر الوطني بالدوحة ، لابد وأن يكون صورة للتعبير عن البيئة القطرية ، بانتماءاتها ، عربياً وإسلامياً وعالمياً عبر التاريخ ماضيه وحاضره ، في البحر والبادية ، فقد اصبح فيه قسم خاص للعطور والطيب ويتميز قسم الطيب والعطور عن بقية أقسام المتحف..

ومن العطور كما نعلم المسك والعنبر والزباد والجندبيد استر أو مسك القندس ، وزيوت الورد والياسمين والاذخر والصندل والزعفران والعود وغيرها مما يضيق به الحصر ، كما أن هنالك أنواع اللبنان والمر والمحلب والزنجبيل والقرنفل والآس ..

كقول المتنبي :

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ولقد فاتت ابا الطيب ، غفر الله له ، الدقة العلمية ، فالغزال من الظباء ولكن حيوان المسك من (الأيائل) وكلاهما بالطبع من ذوات الظلف ولكن الظباء تحتفظ بقرونها مدى حياتها ، بينما تغير الأيائل قرونها كل عام .. وليس لأيل المسك قرون ، بل أبدله الله بهما نابين طويلين في الفك الأعلى يتميز بهما ذكره عن أنثاه ...

وقد ذكر العلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد (ولد سنة ٦٠٠هـ) الذي كتبه ايام كان قاضياً في بغداد حتى اجتاحها التتار ايام المستعصم سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) تحت كلمة تبت (بضم التاء وفتح الباء مع التشديد) ما نصه :

(وبها ظباء المسك ، وأنها في صورة ظباء بلادنا ، إلا أن لها نابين كنابات الخنازير ، وسرتها مسك ، ومسك بلاد تبت أحسن أنواع المسك لأن ظباءها ترعى السنبل (؟) وأهل تبت لا يتعرضون للمسك حتى ترميه الغزال ، وذلك أنه يجتمع الدم في سرتها مثل الخراج فإذا تم ذلك الخراج أو الدمل تأخذ الغزال شبه الحكة ، فإذا رأت حجراً حاداً تحك به سرتها والدم ينفجر منها والغزال تجد بذلك لذة فتحك حتى تنصب المادة كلها من السرة ، وتقع على ذلك الحجر ، وأهل تبت يتبعون مراعيها ، فإذا وجدوا تلك المادة المنفجرة على الحجر أخذوها وأودعوها النوافج وتكون أحسن انواع المسك لبلوغ نضجه وعند ذلك يكون عند ملوكهم يتهادون به وقل ما يقع منه بيد التجار) .

وللقزويني عذره في أن يقع في بعض الخطا منذ سبعة قرون ..

فالحقيقة أن ذكر حيوان المسك تتمو له (أمام السرة) نافجة كالجيب ينعقد فيها المسك فيحكه على الحجر فتجذب رائحته الاناث من بعيد ، لأن من عادة هذا الايل أن يعيش وحيداً ، ولا يجتمع باسرته إلا في موسم التزاوج كل عام ..

ويسمى علماء الحيوان أيل المسك (موسكاس موسكيفيراس) ووجد علماء الكيمياء أن المادة الفعالة ذات الرائحة القوية الثابتة في المسك الذي قال فيه شاعرنا يصف غرام أبناء العرب بالمسك حتى في الجاهلية :

إذا التاجر الهندي وافي بغارة   من المسك أضحت في مفارقهم

تحوي تلك المادة ضربًا من مركبات تعرف باسم (الكيتونات) قوامه ست عشرة ذرة من الكربون وثلاثون ذرة من الهيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين ، وسموه (المسكون)..

وقارنوه بالمادة الفعالة في الزباد الذي يفرزه الحيوان المسمى قط الزباد ، وهو حيوان أفريقي؛ فوجدوا أن المادة الفعالة في الزباد هي كيتون آخر سموه (السيفيتون) وقوامه الجزيئي مثل ذاك الذي للمسكون إلا أنه يزيد عنه ذرة كربون واحدة فقط. وتوغل الكيماويون في أسرار الروائح والعطور فوجدوا أن طائفة الكيتونات التي منها المسكون والسيفيتون تتدرج في الرائحة بعدد ما فيها من ذرات الكربون ، فعلي سبيل المثال حينما يكون عدد ذرات الكربون خمساً يتسم العطر أو الطيب برائحة اللوز المر ، فإذا صرن ستاً جاءت رائحة النعناع ، ومن سبع إلى تسع تكون رائحة أنواع الكافور ، ومن عشر إلى ثلاث عشرة تأتي رائحة الأرز (بفتح الهمزة) ويقرب الكيتون من رائحة المسك والزباد عندما تكون ذرات الكربون فيه من اربع عشرة إلى ست عشرة حتى يبلغ مداه عندما تكون ذرات الكربون فيه من خمس عشرة إلى سبع عشرة ، ثم تأخذ رائحة الكيتون في الأفول عندما يصبح عددها ثماني عشرة فما فوق . وقد استطاع الكيمائيون استحداث عطور صناعية مختلفة يطلقون عليها اسم المسك ..

وفنحن في حاجة إلى تجلية الجوانب الوضاءة التي لا تشوبها الأخطاء العلمية في معارفنا الموروثة في كتب العلم ، وجمعها مع ما افاء الله به على خلقه من نعمة اكتساب المعارف والخبرات وفتق أسرار كيان الأشياء التي ذراها الله لنا في الأرض لنتدبر آياته ونكشف النواميس التي أجراها سبحانه في بديع صنعه الذي منه لاشك الطيب والعطر والرائحة العبقة .

من تاريخ القهـوة

من منطلق الحفاظ على التراث والبحث في أصوله والتعرف على مسيرته خلال القرون ، ينبغى ان تخصص المتاحف العربية ركنا خاصا للقهوة العربية وتقوم بتجميع المراجع ، من مطبوع أو مخطوط مما يتعلق بتاريخ هذا الشراب العربي الطهور... وذلك لأن للعرب مع القهوة شأناً ، أي شأن ، فهم الذين عرفوا خواصها حيث تقول إحدى الروايات ، إن راعي غنم عربي يسمى (خالدى) قد اكتشفها في منطقة كيفا بالحبشة في حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي ، بينما كان يرعى غنمه هنالك...

وفى احد المراجع المتوفرة منذ القرن العاشر الهجرى ، نجد المؤلف الفقيه الشيخ عبد القادر بن محمد الأنصاري الحنبلي . وهو من علماء اليمن . يقول في كتابه ((عمدة الصفوة في حل القهوة)) ما نقتبس منه : وأما مبدأها ، فقال الشيخ شهاب الدين بن عبدالغفار. إن الأخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن . بأنه قد شاع في اليمن شراب يقال له القهوة تستعمله المشايخ الصوفية وغيرهم للاستعانة على السهر في الأذكارالتي يعملونها على طريقتهم المشهورة ، وإن ظهورها وانتشارها كان على يد المفتي جمال الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني ، وسبب اظهاره لها أنه كان عرض له أمر اقتضى الخروج من عدن الى بر العجم الإفريقي فأقام به مدة فوجد أهله يستعملون شرابا اسمه القهوة ، وقال العلامة فخر الدين بن أبي يزيد المكي ، إنه يقال أن أول من أنشأها وأشاعها بأرض اليمن الشيخ العارف بالله علي بن عمر الشاذلي. ويرجع اطلاق البدو في سيناء والصحراء الشرقية بمصر اسم "الشاذلي" على القهوة الى يومنا هذا...

ولا ندري لماذا أطلق العرب كلمة " قهوة " على هذا الشراب الطهور، فالقهوة كما جاء في القاموس المحيط للفيروزبادي وفي فقه اللغة للثعالبي نقلا عن الكسائي إنما هو اسم من أسماء الخمر!!!

ونقل الأتراك القهوة عن العرب. وأشاعوها في أوروبا، بعد أن سموها بلكنتهم كاهفا.

وظهرت كلمة (كوفي) في اللغة الإنجليزية سنة ١٥٩٨م. وافتتح أول مقهى في لندن سنة ١٦٥٢وفي بوسطن بأمريكا سنة ١٦٨٩... ولقد ظلت اليمن المصدر الوحيد للبن حتى القرن السابع عشر بدأت زراعته في سرنديب (سيريلانكا) سنة ١٦٥٨، وفي جاوة وغيرها من الأرخبيل الأندونيسي سنة ١٦٩٦. وفي هاييتي وسان دومنجو سنة ١٧١٥ وفي سورينام سنة ١٧١٨ وفي جزر المارتنيك سنة ١٧٢٣ وفي البرازيل (زعيمة انتاج البن في العالم) سنة ١٧٢٧ وفي جامايكا سنة ١٧٣٠ وفي كوبا سنة ١٧٤٨ وفي المكسيك سنة ١٧٩٠ وفي جزر هاواي سنة ١٨٢٥ وفي السلفادور سنة ١٨٤٠...

ومن طريف ما يروى أن الحكومة الفرنسية سنة ١٨٢٠، أرسلت ثلاث شجيرات بن من تلك التي كانوا يستنبتونها في بيوت زجاجية بحديقة النبات في باريس لزراعتها في جزر الأنتيل . ولندرة الماء هلكت شجرتان من الثلاث وبقيت واحدة فأخذ الربان (دكليو) يتقاسم مع الشجيرة الباقية نصيبه من الماء حتى تمكن من الوصول بها حية الى جزرالأنتيل حيث زرعها.

ويسمي علماء النبات شجيرة القهوة (كافيا أرابيكا) لانها كما سلف اول ما عرفت في اليمن . وهنالك نوع آخر أشد مقاومة للآفات وأغزر محصولا هو (كافيا روبوستا) كما أن هنالك نوعا يسمى (كافيا ليبيريكا) نسبة الى جمهورية ليبيريا بغرب أفريقيا .

والروبوستا هي التي تغمر الأسواق على الرغم من أنها ليست في لذة طعم قهوة الأرابيكا اليمانية الأصل...

وجاء في تاج العروس أن(البن) بضم الباء ، كلمة مولدة استعملها أصحاب العقاقير، وقد وردت في كلام داود الحكيم :

قال هو ثمر شجر باليمن يغرس حبه في آذار (مارس) وينمو ويقطف في آب (اغسطس) . فهل المقصود بذلك هو (بن) القهوة ؟ تلك مسألة تحتاج الى زيادة في التحري والاستقصاء العلمي ...

ونجد الناس بين النيل والخليج ، في الصحراء الشرقية المصرية (والسودانية) وفي شبه جزيرة سيناء وفي فلسطين والأردن وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وعمان والامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والكويت يهتمون بالقهوة أكثر من اهتمامهم بالشاي ، بينما نجد العرب فيما بين النيل والمحيط الأطلسي يعنيهم شرب الشاي الممزوج بالنعناع أكثر من القهوة ، وفي البلاد العربية الشاربة للقهوة نجد أيضا شيئا من اختلاف. ففيما بين مصر والسودان، نجد اخواننا العبابدة والبشاريين ، يضيفون الى قهوتهم الشيء الكثير من التوابل كالقرنفل والقرفة والزنجبيل وحتى الفلفل الأسود ، حتى لتكاد قهوتهم أن تكون مرقا ينقصه اللحم !!!

وهم كذلك يختلفون عن بقية العرب... فإذا أقبل المساء وأناخت القافلة تجد كل رجل يجمع حطبا ويوقد نارا ، ويحمس قهوته ويطحنها ثم يغليها في (الجبنة) المصنوعة من الفخار أو الصفيح ، ثم يجلس وحده منفردا ليشرب قهوته !!!

بينما نجد القوم في غير ديار العبابدة والبشاريين ، يحافظون على شرب القهوة في جماعة ، ولا يضاف اليها الا حب الهيل (أو القناد) مع قليل من القرنفل (المسمار) والزعفران ، وقد يضيف البعض شيئا من دهن الورد .

وكلما ازداد المرء قربا من الشاطئ العربي للخليج يجد أن نسبة (الهيل) أو (القناد) تزداد في القهوة، حتى أنك لترى القهوة صفراء لونها فاقع تسر الشاربين ، بينما هي أصلا سمراء بنية في ما عدا أقصى المشرق العربي، ويصنع العربى قهوته في وعاء من النحاس الأصفر يسمونه (الدلة) أو (البكرج) وهي صناعة يدوية اشتهرت بها كثير من المدن العربية كدمشق الشام والعقبة في الأردن ومسقط بسلطنه عُمان والمنطقة الشرقية من السعودية.

وللقهوة آداب وتقاليد مرعية ...

فلا تتعامل في شربها الا بيدك اليمنى أخذا وإعطاء ...

وفي منطقة الخليج خاصة لا يتوقف الساقي عن صب القهوة للضيف حتى يعيد له الفنجان الفارغ (بيده اليمنى) بعد هزه عدة مرات. أما في ما عدا منطقة الخليج فان للضيف ثلاثة فناجيل متتابعة...

وليس من اللياقة أن تملأ فنجال القهوة للضيف أو تضع فيه سكرا . وقد اكتشف البدوي في صحرائه بالتجربة والممارسة أمورا تتعلق بشرب القهوة لم يدركها العلم الا حديثا .

ومن ذلك :

١- أن حفظ البن الأخضر لمدة طويلة يزيد في نضج المواد الفعالة وذلك خير من حفظه محمصا أو مطحونا.

٢- أن شرب كمية القهوة على هيئة جرعات صغيرة متتابعة أفضل من شرب تلك الكمية جرعة واحدة كما يفعل الفرنجة!!

٣- أن تحضير القهوة تحميصا وطحنا وغليا وشربا في جلسة واحدة أفضل من تباعد تلك العمليات .

وكان العلماء يظنون الى عهد قريب ان المادة الفعالة فى القهوة هى (الكافائين) او (القهوين) ولكن ابحاثا تجرى فى استراليا تشير الى ان وجود مادة فعالة اخرى لم يتم تحديدها بعد .

ومن عجب أن القوم الذين علموا بقية خلق الله شرب القهوة ، وأولئك هم أهل اليمن يفضلون شرب مغلي (قشور البن) ويقولون إنها أزكى شرابا ..وهنا نعود الى كتاب عمدة الصفوة، ونستزيد منه اقتباسا حيث يقول....

" إن أول ظهور القهوة بمصر، في حارة الجامع الأزهر ، في العشر الأوائل من القرن العاشر (الهجري) ، وكانت تشرب في نفس الجامع (فى رواق اليمن) كل ليلة اثنين وجمعة ، ويضعونها في ماجور كبير من الفخار الأحمر ، ويأخذ منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقى الأيمن فالأيمن. " ثم يقول المؤلف بعد سطور :- " ثم حدث عليها الإنكار بمكة الشريفة في سنة سبعة عشر وتسعمائة فقام الأمير (خايربك) بإغراء من الشيخ شمس الدين الخطيب في مكة المكرمة باصدار أمر بإبطالها ومنع الناس من شربها، ثم جاء قرار من السلطان بالقاهرة بإباحتها مرة أخرى. " ثم يقول :- " وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ ، أنه كان يفعل في بيوت القهوة (المقاهي) أشياء من المنكرات ، فأشار على الحكام بإبطال بيوتها. ولكنه لم يقل بحرامها ذاتها...... ولما توفي الشيخ بمكة في خامس صفر سنة ٩٢٣ هـ رجع الأمر لما كان عليه !!! وفي سنة ٩٣٩ هـ أفتى الشيخ شهاب الدين السنباطي الشافعي بحرمتها ...

وفي سنة ٩٤١ هـ خرج قوم الى بيوتها وكسروا أوانيها وضربوا جماعة ممن كانوا هناك ، فقامت لذلك فتنة واحتاج الأمر الى استفتاء ....

فأفتى الشيخ محمد بن الياس الحنفي بحلها بعد أن جربها واكتشف أنها لا تضر ولا تسكر ... ولكن حدث سنة ٩٤٥ هـ أن داهم (صاحب العسس) جماعة في بيوت القهوة واعتقلهم ليلة وأطلق سراحهم بعد أن جلد كل واحد منهم "سبع عشرة" ضربة!!! ثم لم يلبثوا أن ظهر الحق وعاد الأمر لما كان عليه أولا، بعد يومين!!!!

وفي سنة ٩٥٠ هـ ورد الى مكة المكرمة صحبة ركب الحج الشامي مرسوم من السلطان العثماني بمنع القهوة وابطالها، ولكن بيوت القهوة تعددت على غير مبالاة من الولاة وشربت في تلك السنة جهارا ودام استمرارها!!!

وكذلك منعت بالقاهرة مرارا فلم تطل المدة ، وعلا منارها ، ولم يزل أمرها ظاهرا وتعداد بيوتها وافيا مشتهرا، ويشربها العلماء والصلحاء واماثل الفقهاء ويقر عليها اهل

الافتاء و التدريس ، ويواظب على شربها من وصف بالفضل وكل رئيس بالجامع الازهر والبقاع وفي سائر الايام والاوقات !! .

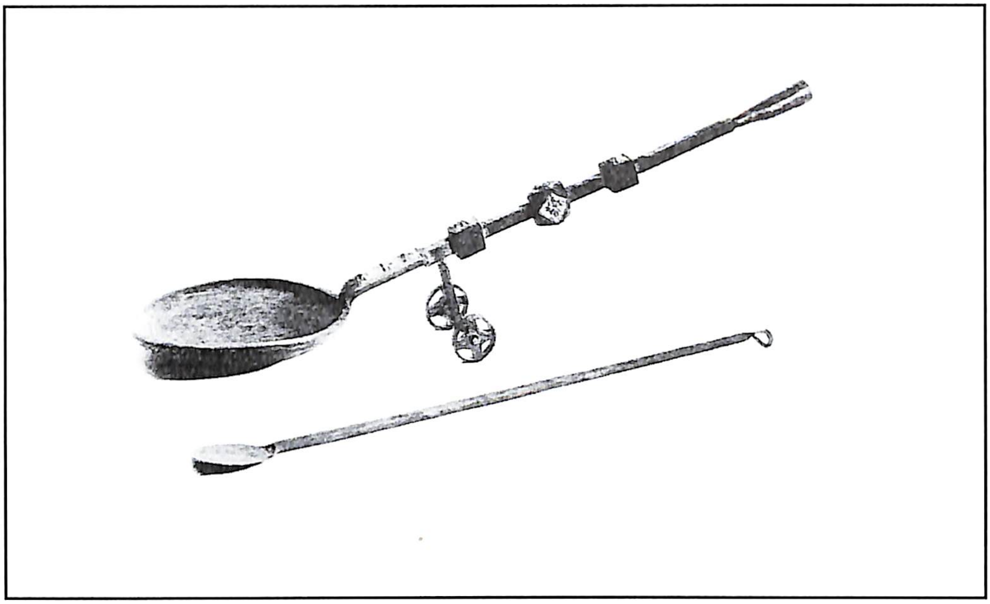
هذه مجرد شذرات من تاريخ القهوة . ولاجدال في ان تاريخها جزء من تراثنا العربى الشعبي ، يحتاج ، الي مؤلف شامل يلم باطراف قصتها عبر القرون بطريقة جديدة تجمع بين عقلانية العلم ورقة الادب وجمال الفن ....لو كان الامر بيدى لمنحت اعلى شهادة جامعية عربية لمن يتصدى لكتابة هذه القصة ولخلعت عليه ارفع الجوائز ...

وهل نطمع فى ان يعود الوطن العربي . وخاصة فى الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، الى زراعة القهوة (العربية) الاصيلة . بدلا من سيطرة غير العرب اليوم على سوق القهوة العالمى ؟؟

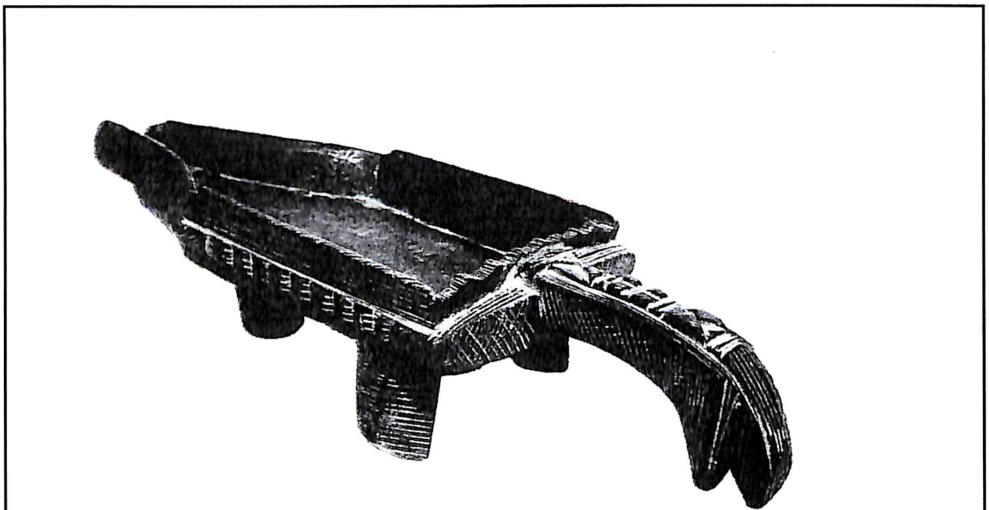
ولاننسى في الختام ان نذكر ان للقهوة اليوم (منظمة) تقوم على توزيع انتاجها . وتجارتها عالميا . وهى تشبه منظمة (الاوبك) بالنسبة للنفط . وتسمى منظمة (الايكو). وهى نفس المنظمة التى تحكم على كل زيادة في محصول القهوة (بالاعدام) حرقا أو اغراقا في اعماق البحار . حتى لاتنخفض اسعارها !!!



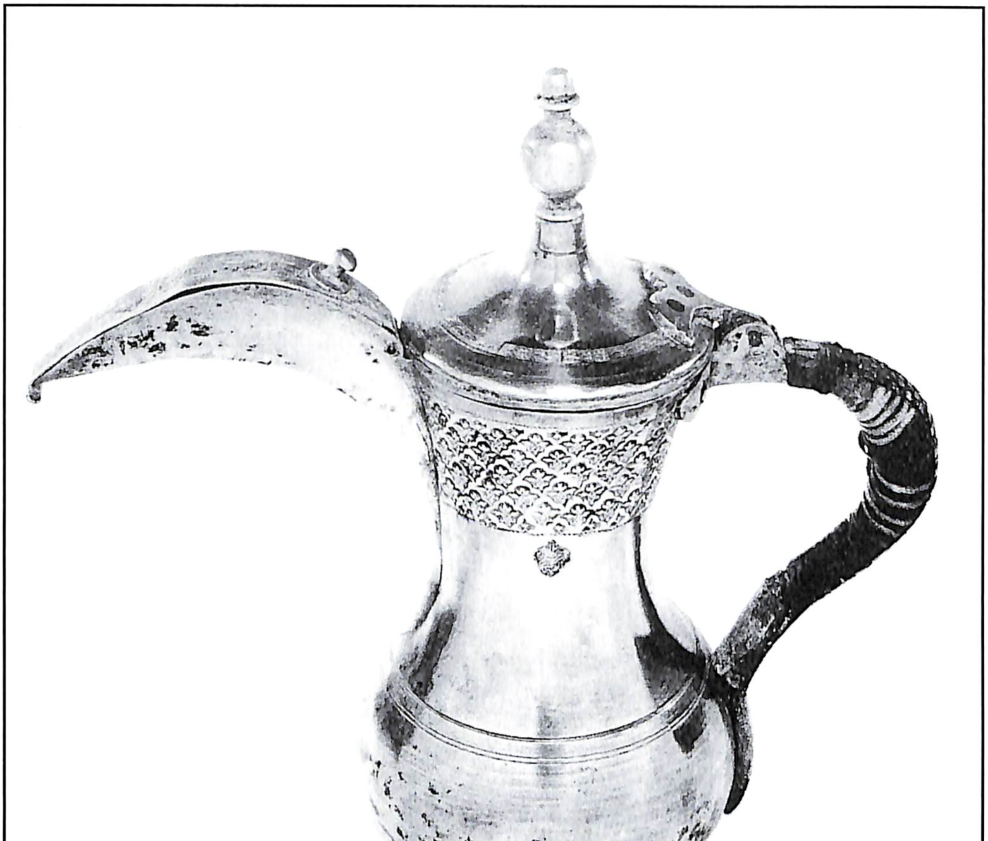
المهباش أو النجر أو الهاون لطحن البن بعد تحميسه



محماسة القهوة



مبردة البن بعد تحميسه



البكرج أو الدالة

طابـــع البريـــد ..

الطابع قطعة صغيرة من الورق مطبوع عليها شعار علي هيئة رسم أو معلم جغرافي أو صورة حاكم الدولة التي أصدرت الطابع ، وطوابع البريد تكسوها من الخلف طبقة من الصمغ لتلصق على الرسالة البريدية دلالة على أن أجرة البريد قد دفعت ، وهناك أنواع أخرى من الطوابع تستعمل لأغراض رسمية متعددة ، وطوابع الدخل ترفق مع الوثائق كدليل على أن الضريبة الحكومية أو الرسوم قد دفعت ، وعلى نفس المسار فإن بعض الدول تحصل نقوداً على المشروبات والسجائر وغيرها من الكماليات وتفرض إلصاق طوابع على صناديقها ، وبالاضافة لذلك نجد الطوابع التجارية في الولايات المتحدة واسعة الانتشار بين تجار الجملة والقطاعي .. ويمكن تغيير أو استبدال تلك الطوابع في حالات كثيرة بطوابع أخرى كبيرة ، وهناك الكثير من المنظمات الخيرية التي تصدر طوابع خاصة بها لتبيعها لزيادة ميزانياتها .

وقد استعمل الهولنديون طوابع الضرائب منذ عام ١٦٢٤م وتبعهم في ذلك الانجليز في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، وخاصة لتمويل مصاريف الحروب .

وكانت الطوابع التي اصدرتها بريطانيا في عام ١٧٦٥م لتلصق في مستعمراتها الأمريكية على كل الأوراق القانونية والتجارية وعلى النشرات والصحف سبباً رئيسياً في قيام الثورة الأمريكية ... ومنذ الحرب الأهلية رفعت الولايات المتحدة الأمريكية دخل الحكومة باصدار لوائح تقضي بالصاق الطوابع على الكماليات مثل المشروبات والدخان وأوراق اللعب ، واثناء الحرب العالمية الثانية باعت الولايات المتحدة وبريطانيا طوابع لتمويل المجهود الحربي واستخدم الأمريكيون طوابع على الأقمشة والأطعمة لضمان عدالة التوزيع .

طوابع البريد :

ومن بين أنواع الطوابع في العالم نجد أن طوابع البريد هي الأكثر شيوعاً بين الناس واستعمال طوابع البريد الملصقة عملية حديثة نسبياً ، وهناك نماذج تشبه طوابع البريد استخدمت منذ القرن السابع عشر ، وطوابع البريد التي يعرفها الناس اليوم لم تظهر بصورتها الراهنة حتى عام ١٨٤٠م .

وأول من اصدر الطوابع هم البريطانيون الذين اصدروا طابعاً اسود بقيمة بنس واحد ، وطابعاً أزرق بقيمة ((بنسين)) .

وكانت الطوابع مزينة برسم الملكة (فيكتوريا ايام شبابها) وبظهور تلك الطوابع انتهى عهد الفوضى فى جهاز البريد البريطانى .

وكان الملك ((هنرى الثامن)) هو أول من أنشأ نظام البريد في بريطانيا عام ١٥٢٣م باسم (خدمة النقل الملكية) .

ولقد اطلق لقب أباء طوابع البريد على كل من (جيمس شالمر) و (السير رولاند هيل) . فقد كان ((شالمر)) هو الذي اقترح فكرة لصق الطوابع ، وكان ((هيل)) هو الذي أعاد تنظيم فكرة البريد وهو أول من افتتح (بريد البنس) الذي كان يشمل سعراً بريدياً أهلياً مبنياً على الوزن بدل المسافة التي بين المرسل والمرسل إليه ، كما أن على المرسل دفع أجرة البريد بدل المرسل إليه .

وفي عام ١٨٤٣م اصدرت سويسرا طابعين واصدرت البرازيل ثلاثة طوابع .

والطوابع البرازيلية تسمى اليوم طوابع ((عين النور)) نظراً للرسم المميز لها ، وفي عام ١٨٤٥م كانت مكاتب البريد تصدر طوابعها الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية في مدن كثيرة وتسمى تلك الطوابع اليوم باسم (مؤقتات) مديري البريد .

وكانت اول طوابع تصدرها إدارة البريد الأمريكية في أول يوليو عام ١٨٤٧ وكانت طوابع من فئة (خمسة سنتات) تحمل صورة الرئيس (بنيامين فرانكلين) والطوابع

فئة (عشرة سنتات) تحمل صورة (جورج واشنطن) ، وحوالي عام ١٨٥٠م شاع استخدام طوابع البريد في معظم أرجاء العالم .

هواية جمع الطوابع

هواية جمع الطوابع هواية عالمية ، وقد نشأت هذه الهواية تقريباً منذ ظهور طابع البنس الأسود ، وقد قامت الصحف البريطانية في عام ١٨٤٠م بنشر إعلانات عن الطوابع الملغاة وأشارت إلى جنون جديد أصاب السيدات الانجليزيات وبحلول عام ١٨٦٠م أصبحت عملية جمع الطوابع والاتجار به هواية محبوبة لدى تلاميذ المدارس اللندنية .

وهواية جمع الطوابع ليست الآن مجرد هواية للسيدات وتلاميذ المدارس فهي الآن تسلية للملوك والرؤساء فى أوقات الفراغ ، وكذلك العلماء والأدباء والأفراد .

ومن مشاهير الناس الذين عشقوا هواية جمع الطوابع البريدية كان الرئيس الأمريكي (فرانكلين روزفلت) وملك الانجليز (جورج الخامس) و (فرانسيس كاردينال سيبلمان) والجنوال (مارك كلارك) .

ويقدرون عدد هواة جمع طوابع البريد في الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي (٢٠ إلى ٣٠ مليون) من الهواة .

جمع الطوابع للتسلية والمتعة

هواية جمع الطوابع هواية مثالية لدى العائلات الغنية والميسورة والقادرة تعليمياً وترويحياً وهذه الهواية لا تحتاج إلى معدات أكثر من البوم متوسط الثمن ولاصقات الطوابع وملقط أو ماشة ويمكن الاستغناء عن هذه الأدوات ، ورغم أن الكثيرين من الهواة ينفقون آلاف الدولارات لشراء الطوابع النادرة القيمة فإن المبتدئ لا يحتاج لصرف مال كثير للبدء بمجموعته ، وهناك مجموعات عديدة ذات قيمة بدأ أصحابها

بجمع الطوابع المستعملة والطوابع التذكارية أو الطبعات الخاصة من الطوابع ، وكذلك نجد الطوابع الأجنبية خاصة يسهل للمبتدئين جمعها ، فهي ليست بالضرورة غالية الثمن ، وهناك طوابع ممتازة منخفضة الثمن . وتعكس طوابع البريد تاريخ أى بلد من البلاد وعاداته في كثير من الأحيان ، وهي تسجل للدولة إنجازاتها واختراعات ابنائها ، وتحفظ ذكر ابطالها وفنانيها ، وتسجل إنجازاتها الوطنية وجماليات مناظرها الطبيعية .

ويجد مصمموا الطوابع البريدية نماذج في وسائل السفر ، فيقال ان هناك زهاء ثلاثة آلاف طابع بريد تسجل نماذج من السفن .

والطوابع التذكارية تصدر لفترة محدودة وهي ليست بديلة عن الطوابع العادية ، ولكنها تباع معها أيضاً ، وتصدر الولايات المتحدة الأمريكية كل عام (خمسة عشر) طابع بريد تذكاري ، وتلك الطوابع التذكارية تصدرها إدارة البريد بمشورة لجنة مكونة من عدد من الفنانين والحفارين والمصممين وممثلي وكالة الأنباء الأمريكية ، وهذه اللجنة تستعرض آلاف المقترحات التي ترسل إليها كل عام ، وتوصي لدى مدير البريد بالطوابع ذات الموضوع والتصميم الذي تراه مناسباً ، والمدير هو صاحب الرأي النهائي .. ولكل مواطن الحق في أن يقترح موضوعاً ويقدم تصميماً عن ما يراه مستحقاً للتسجيل في الطوابع التذكارية .

ونظراً للزيادات المضطردة في إعداد الطوابع التذكارية في عدد كبير من الدول المستقلة فإن هناك ارتفاعاً كبيراً في عدد الطوابع المتاحة للهواة .

وليس ممكناً أن يحصل كل الهواة على عينات من كل الطوابع الصادرة في العالم ولهذا نجد الهواة يضيقون مدى اهتماماتهم ، وفي العادة تكون المجموعة معبرة عن الاهتمام الرئيسي للهاوي .

فنجد الموسيقار مثلاً يعني يجمع تلك الطوابع التي تحمل رسوم آلات موسيقية .. كما نجد محب وسائل المواصلات يهتم بجمع الطوابع التي تحمل صور القاطرات

ووسائل النقل ، وهناك هواة يهتمون بصور الحيوانات والطيور أو الموضوعات الدينية أو الورود والزهور ، كما أن هناك بعض الهواة الذين يهتمون بالطوابع ذات الألوان التي يحبونها ، فنجد مجموعة مما أشرنا اليها تملأ حوالي أربعين ألبوماً ليس فيها سوى طوابع ذات لون بنفسجي بدرجات مختلفة ومن بلاد عديدة ، وهناك هواة يهتمون بان تحتوى مجموعاتهم على طابع واحد على الأقل من كل دولة في العالم .

الطوابع النادرة

لأسباب عديدة ، ونظراً لقلة العدد نجد أن بعض الطوابع مرتفعة الثمن جداً عند الهواة ، ولهذا فهي ثمينة جداً .

وكأى سلعة فإن قيمة الطابع تخضع لقانون العرض والطلب ، ولعل أغلى الطوابع ثمناً اليوم هو الطابع الذى صدر في عام ١٨٥٦م في (غيانا البريطانية) بقيمة (سنت واحد) حيث لا توجد منه إلا نسخة واحدة ليست في حالة جيدة ، ورغم سوء حالها فقد بيعت في مزاد عام ١٩٧٠م بمبلغ (٢٨٠ ألف دولار) ، وهناك العديد من طوابع القرن التاسع عشر ذات قيمة كبيرة نظراً لندرتها ولأنها كانت الأولى من نوعها ، ومن تلك الطوابع الطابع البريطاني الأسود الذي صدر في عام ١٨٤٧ بقيمة (بنس واحد) ، والطوابع الأمريكية التي صدرت بقيمة خمس وعشر سنتات وكذلك طوابع مديري البريد المؤقته ، وكذلك الطابع البرازيلي المسمي (عين الثور) ، وهناك طوابع نادرة جداً كتلك التي أصدرتها حكومة جزر الهاواي لصالح المبشرين في عام ١٨٥١م .

وفي مزاد عام ١٩٦٠م في نيويورك باع أحدهم طابع المبشرين من فئة (٢ سنت) بمبلغ (٤١ ألف دولار) وكان طابعاً غير مستعمل ، وهذا مبلغ من أكبر المبالغ التي دفعت ثمناً لطابع حتى ذلك الوقت .

كما أن هواة الطوابع يبحثون عن اول الطوابع الأمريكية التي كتب عليها (مدفوع) بخط مدير مكتب البريد لإلغاء استعمالها مرة ثانية .

ولقد توقفت تلك الطريقة في عام ١٨٧٠م ، ولا توجد عبارة الالغاء بخط اليد إلا على القليل من الطوابع الأمريكية الأولى ، حيث كانت بعض مكاتب البريد ليس في حوزتها الاختام المعروفة للإلغاء ، وهذه الطوابع الملغاة بخط اليد لها أهمية كبيرة عند هواة الطوابع .

وحالة الطابع ذات أهمية في تقدير قيمته ، والطوابع المختومة في أطرافها ذات قيمة وخاصة إذا كان الرسم الذي عليها في وسطها ، وفي كثير من الحالات يكون الطابع غير المختوم أكثر عدداً من المختوم الملغي ، وفي هذه الحالة يكون المختوم أغلى ثمناً ، وفي حالة الطابع المختوم فإن حالته الجيدة تتوقف على سلامته وتوسط الختم عليه ، والطوابع المختومة بلطف مفضلة على تلك المختومة بدون عناية وبعنف .

وبعض الطوابع ذات قيمة كبيرة ليس لأنها دقيقة كاملة ولكن لأن عليها بعض الأخطاء .

والهواة دائماً يبحثون عن الطوابع ذات الأخطاء بما فيها أخطاء الهجاء أو أخطاء الألوان ، وفي حالة الطوابع الملونة يبحثون عن ذات اللونين طبع أحد اللونين بالمقلوب ، وهذه تسمى لدى الهواة باسم المقلوبات .

ولعل أشهر تلك النماذج لوحة عليها طوابع فئة (٢٤ سنت) جوية ملونة بالوردي والأزرق صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٨م ، فتجد فيها صورة الطائرة مقلوبة واستطاع أحد الهواة اكتشاف ذلك الخطا في حينه ، وقد بيعت لوحة من تلك الطوابع في عام ١٩٦٠م بمبلغ (١٦٥٠٠ دولار) في أحد المزادات .

وأكثر الأخطاء شيوعاً هي إعادة الطبع نظراً للسرعة أو نسيان الثقوب الجانبية أو عدم صلاحية الورق المستعمل لتشرب اللون ، أو الطبع على الجانب الخطأ نظراً لأن ركن اللوحة قد انثنى صدفة .. ومعظم الاصدارات تطبع اليوم بكميات كبيرة مما

يجعلها غير ذات قيمة ، فمثلاً أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية (بليون) نسخة من أول طابع أصدرته لعيد الميلاد سنة ١٩٦٢

وقد ثبت أن هذا العدد غير كاف فاصدرت إدارة البريد (٢ بليون) نسخة في أعياد الميلاد السنة التالية .

وهذا ليس معناه أن الهاوي لجمع الطوابع الذي يدرس مجموعته ويشتري إضافات لها بعناية لا يمكنه أن يجمع مجموعة تحتفظ بقيمتها .

ومعظم الهواة ليس غرضهم من هواية جمع الطوابع غرضاً تجارياً ، ولكنه غرض استمتاع وتفاخر من تلك الهواية .

الإسلام ودراسة الآثار

نقرأ في القرآن الكريم العديد من الآيات البينات التي تحض على دراسة السابقين ، لاستخلاص الموعظة والعبرة والتوصل لمعرفة اسباب سقوط الدول والامبراطوريات واضمحلال العديد من المدنيات والحضارات ومن ذلك التوصل الى استقصاء مؤهلات الديمومة والبقاء ولنقرأ قول الحق تبالك وتعالى :

(١) " وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " (يوسف - ١٠٥) .

(٢) " افلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " (يوسف - ١٠٩) .

(٣) " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " (الحج - ٤٦) .

(٤) " أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " (الروم – ٩) .

(٥) " أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " (فاطر - ٤٤).

(٦) " أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة ، وءاثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق " (غافر - ٢١) .

(٧) " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثاراً في الأرض فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون " (غافر - ٨٢) .

(٨) " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها " (محمد – ١٠) .

●● ثم نجد الصيغة قد صارت أمراً بعد أن كانت استفهاماً :

(٩) " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (آل عمران - ١٢٧) .

(١٠) " فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (النحل - ٣٦)

(١١) " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين " (النمل - ٦٩) .

ولا يستطيع أحد أن يمارى في أن دراسة الأثر الانسأني المحفوظ في لندن والمعروف باسم ـ حجر رشيد الذي اكتشفه أحد ضباط الحملة الفرنسية ١٧٩٨م قد أدت إلى معرفة اسرار الكتابات الفرعونية من هيروغليفية وديموطيقية بعد ان كانت أسرارا مستغلقة على عشرات العلماء والباحثين قرونا طويلة وكذلك الأثر المنقوش على احدى الواجهات الصخرية في جبال (زاغروس) الايرانية التي اكتشفها الضابط البريطاني (هنري رولنسون) ١٩٤٧م وتبين نسبتها للملك (داريوس) ومنها عرفت اسرار الديانات الوثنية القديمة والحروف المسمارية التي كانت أيضاً من الألغاز المحيرة للعلماء والباحثين.

وتحض آيات القرآن الكريم أيضاً على دراسة آثار الخلق ونشأة الكون .

(١٢) " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير " (العنكبوت - ٢٠)

وعند التأمل في عمق قوله تعالي في الاية الثامنة والثلاثين من سورة الانعام .

(١٣) " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون " وفي قوله تعالى في الاية الرابعة والثلاثين من سورة الأعراف

(١٤) " ولكل أمة اجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " وكذلك الاية التاسعة والأربعون من سورة يونس :

(١٥) " .. لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون "

وكذلك الاية الثالثة والأربعون من سورة المؤمنون :

(١٦) " ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون " . فإذا طبقنا ما في هذه الايات الكريمة على ما اكتشفه العلماء والباحثون الذين درسوا (اثار) الأحياء التي استحجرت في طبقات الأرض خلال ملايين السنين منذ فطر الله سبحانه وتعالى الكائنات الحية من نبات وحيوان نجد (أمما) عديدة من الأحياء مثل :

- الجرابتولايت
- وثلاثية الفصوص (الترايلوبايت)
- الديناصورات

وغيرها قد عاشت حتى جاء أجلها ، وانقرضت شأنها شأن نباتات كانت تسمى (السيكاديات) انقرضت وانتهى أجلها تماماً مثل عاد وثمود واصحاب الرس وقبائل طسم وجديس واصحاب الأيكة وقوم تبع واصحاب الأخدود وفرعون وهامان وقارون ، أى أن لكل أمة أجل وصدق الله العظيم سبحانه وتعالى .

ولم يترك القرآن الكريم باباً من أبواب احترام العقل والتفكير المنطقى الناضج وسلوك طرائق تطوير المجتمعات الانسانية نحو الأفضل ، إلا وقد حض الناس على ولوجه وذلك لكي يسهل عليهم فهم واستيعاب النواميس الكونية ، لتاهيل أنفسهم عن جدارة لتحقيق خلافة الله سبحانه في الارض لذرية آدم وحواء عليهما السلام ، وإعمارها بما سخره الله لهم من كل شىء الى ان يقضي في شأن الكون بأمره ، ويطوى السماء كطى السجل للكتاب ﴿كما بدانا أول خلق نعيده ، وعدا علينا انا كنا فاعلين﴾.

ولما كان المدخل الصحيح لنضوج العقول واستواء الافهام ، واستكمال الادراك ، وازدهار القدرة على التفكير ، هو معرفة القراءة والكتابة التي هي الميزة الوحيدة التي

خص بهـا الله الانسـان عن بقـيـة المخلوقـات على الأرض والتي تمكنه من نقل أفكاره واراثه ومعارفه عبر الزمان والمكان ومن هنا تتضح الحكمة في أن أول ما نزل من القرآن هو :

﴿إقـرأ﴾ .. وثاني سـورة من القـرآن ﴿ن . والقلم ومـا يسطرون ..﴾ فـإذا مـا تمكن الانسـان من اتقان القـراءة والكتابة فإنه يصبح مـؤهلاً لتسجيل وتدوين ما عـرفه بمختلف حواسـه ومشاعـره وتجاربه من حقائق الكون ، ونقـرأ في الاية الرابعة والستين بعد المائة الأولى من سـورة البـقـرة قوله تعالـى : ﴿إن في خلق السـمـاوات والأرض واختـلاف الليل والنهار والفلك التـي تجرى في البحـر بما ينفع الناس ومـا انزل الله من السـمـاء من مـاء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ .

اسم قطر
من أين جاء ؟؟

هنالك بضعة احتمالات نذكر منها ما يلي :

١- قد يكون الاسم مشتقا من (القطر) وهو المطر حيث أن قطر كانت أغزر مطرا مما حولها حتى ان بعض كبار السن يؤكدون ان الناس منذ نصف قرن وما قبله كانوا يدعون الله في صلاتهم بان يوقف المطر حتى لا تتهدم المنازل لكثرته وغزارته والبيوت وتخرب المزروعات .

٢- وقد يكون مشتقا من (القطر) بكسر القاف وسكون الطاء ، وهو النحاس المصهور حيث كان الحدادون و الصفارون في قطر يستخرجون النحاس من خاماته المستوردة من مناجم (عمان) لصناعة ما تحتاجه القوافل التي تمر بقطر في طريقها لمواطن التوابل والبخور في جنوب جزيرة العرب .

٣- كلمة (القطر) من معانيها في اللغة ، إحراق البخور لاختبار جودته ، فهل كانت تلك التجربة تجرى في قطر خلال الرحلة إلى اسواق الشمال والشرق ؟؟

٤- وقد تكون كما جاء في معجم البلدان كما أسلفنا هو من طريقة البيع بالقياس النظرى دون الوزن والكيل .

٥- وفي اللغة أن الطابور من الابل يسمى (قطار) فلعل اسم قطر جاء لكثرة ما يخرج من مراعيها إلى السوق العربية ، من (قطارات) الأبل والنجائب الأصيلة الممتازة .

٦- و (القطر) بفتح كل من القاف والطاء ، يعني حياكة الثياب وتفصيلها ، فهل كانت البرود الحمراء ذات الخطوط البيضاء هي سبب التسمية ؟؟

وختاماً ، فلعل فيما أسفلنا من السطور ما يؤدي إلى اشباع رغبة من يريد المعرفة عن هذا الركن العزيز من الوطن العربي الكبير .

كان الناس يعتقدون أن اللؤلؤ يتكون نتيجة لسقوط قطرات من المطر أو الندى الذي تتعرض له المحارات ، وذلك اعتماداً على قول الشاعر الراعي في وصف الدرة اليتيمة :

يمانية هوجاء أو (قطرية) لها من شعاع الشعريين لهيب

حتى جاء أمير العلماء أبو الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) وقال دحضاً لذلك الزعم إن كلمة (قطرية) تقرأ بفتح القاف والطاء نسبة إلى (قطر) !!

وكان ظهور كلمة (قطر) لأول مرة على خريطة لبطليموس الاسكندري رسمها في القرن الأول الميلادي ونقحها الهولنديون سنة ١٦٩٥م بلفظ (كاتارا).

ولما بحث زعيم المؤرخين (هيرودوت) في اصل الفينيقيين أفتى بأنهم جاءوا من المشرق العربي ومن (شبة جزيرة قطر) وهم من سلالة الذين اشار إليهم المؤرخ (بلني) في كتابه (التاريخ الطبيعي) في القرن الأول الميلادي ..

ثم نجد كلمة (بلدة قطر) على خريطة رسمها البحار البرتغالي (لازارو لويس ١٥٦٣م) وعلى خريطة (فيرناي فازدواردو) سنة ١٥٦٨م ثم لا نجدها على خريطة (إيمون بووين) سنة ١٧٥٠م .

وتقرأ في كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الادريسي ، أحد عباقرة العلم والمعرفة في القرن الثاني عشر الميلادي ما نصه .

(نأتي من جلفار إلى ميناء يسمى (السبخة) حيث يوجد نبع ماء عذب ، ثم إلى شقاب ثم إلى بوار على شاطئ صعب الاجتياز ، وهذه الأماكن تسمى (بحر قطر) وفي هذا البحر جزر عديدة لا تسكنها إلا الطيور من جميع الأنواع ، وبتجميع ذرق تلك الطيور ، يتكون من ذلك سماد كثير ، وعندما يصبح هواء البحر مناسباً ، فإن البحارة في القوارب يصلون إلى تلك الجزر ويحملون ذلك السماد إلى حيث يبيعونه للزراع الذين يستعملونه في تسميد الحدائق والبساتين) .

أما (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فيقول سنة ٩٦٠ م:

((وفي مقابل الشاطىء الفارسي توجد على الشاطىء العربي جزر قطر)).

وأشار الهمداني (القرن العاشر) إلى مورد ماء يسمي (قطر) على الشاطئ الغربي للخليج .

ويذكر ياقوت الحموي (١١٧٩ ـ ١٢٢٩م) في معجم البلدان : (قطر بالتحريك ، وآخره راء ، هو أن يزن جلة من تمر أو عدلاً من المتاع أو الحب ويأخذ ما بقي من المتاع على حساب ذلك دون وزن ، وقد كرهه العلامة ابن سيرين ، وقال ابو معاذ القطر البيع..

● وقال الشاعر أبو عبيد ، القطر نوع من البرود وأنشد :

كسك الحنظلي كساء صوف   وقَطْرِيًا ، فأنت به تفيد

● وقال البكراوي ..

البرود القطرية حمر لها أعلام ، وقال خالد بن جنبة هي حلل تعمل في مكان لا يدري أين هو ، وهي جياد فيها بعض الخشونة .

● وقال ابو منصور ، على سيف الخط بين عُمان والعقير قرية يقال لها (قطر) وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها .

وقال جرير الشاعر المشهور ..

لدى قطريات إذا ما تغولت   بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا

● وأراد بالقطريات سلالة من النوق الأصيلة العربية تنسب إلى قطر منذ ما قبل الاسلام .

● وقال الراعي الشاعر ..

الأوب أوب نعـــــائمٍ قطرية   والأل آل نحـــــائص حُـــــقّب

حيث من الثابت أن النعام كان يعيش في شبة جزيرة قطر وكان كثيراً إلى عهد غير بعيد .

● وقال الشاعر عبدة بن الطيب ..

تذكـــر ساداتـــنا أهلـــكـم   وخـافـوا عُـمـان وخـافـوا قطر

● وقال ابن منظور في لسان العرب (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) ..

(قال ايمن دخلت على عائشة رضى الله عنها وعليها درع قطري ثمنه خمسة دراهم) .

● وقال الزنجاني في تهذيب الصحاح (٥٧٣ ـ ٦٥٦هـ) هي مدينة يُقال لها (قطر) ينسب إليها الشاعر الشجاع قطري ابن الفجاءة الخارجي ..

وقال الشاعر المثقب العبدي (٥٣٥ ـ ٥٨٧هـ) مخاطباً الملك عمرو بن هند .

كـــل يـوم كـان عـــنَّا جـــلَلاً   غـيــر يوم الحِنْو في جَنْبَي قطر

■ وقال جندل بن المثنى الطهوي يصف أيلا ..

يهوين من اشجه شي الكور

من مجدل ومثقب ومنكدر

ومثلهم من بصرة إلى هجر

ومن ثنايا يمنٍ ومن قطر

حتى أتوا خلوا على بني سفر

ونقول وبالله التوفيق ..

قد يكون اسم قطر مشتقاً من كثرة المطر في الأزمنة السابقة ، أو من القطر بكسر القاف وهو النحاس المنصهر ، أو من القطر وهو تدخين البخور لتجربته ، أو من البيع دون وزن كما أسلفنا ، أو من قطارات النوق والجمال التي اشتهرت قطر بتربيتها وتصديرها ، أو من حياكة البرود التي لبست منها أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ..

ولا أزعم أنني بذلك قد وصلت إلى القول الفصل في اشتقاق اسم (قطر) وبيان أصله التاريخي .

● ولكنني أضع علامة على طريق البحث والاستقصاء العلمي للخوض في هذه اللجة البحثية الجميلة التي أرجو الله أن يوفق أحد أبنائنا الشباب لتأليف كتاب كامل عنها يجمع بين دفتيه ما يثرى الفكر والوجدان والبحث العلمي الرصين .

وذلك لعمري اتجاه ينبغي الاهتمام به والتشجيع عليه لما فيه من متعة عقلية وتلذذ بمشقة الاستزادة من العلم والمعرفة التي تصقل الأفهام وتسهم في احترام العقل والقلب معاً .

الزيـــارة

المدخــــل..

تحتل " الزيارة " فيما سجلته ذاكرة التاريخ الحديث في قطر ، مكانة هامة مرموقة ، اقتصاديـاً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً وثقافة وتراثاً شعبياً ، منذ أوائل القرن الثامن عشر الميــلادي واشتهر فيها فقهاء وشعراء وأدباء وخبراء بحار واقتصاديون ورحَّالة ، لا يحصرهم العد .

وفي حسبان الاحتمالات الراجحة ، أن تسفر البحوث العلمية المنظمة المتأنية ، بين أطلال الزيارة ودمنها ، وبأرجاء الرقعة الجغرافيـة المحيطة بها ، في ذلك الركن الشمالي الغربي القصي من شبه الجزيرة القطرية ، بما فيها الشريط الساحلي الممتد إلى ما فوق العريش شمالاً ، وما تحت رأس عشيرق والفحيحيل جنوباً ، أن تكشف التنقيبات ، عن آثار للإنسان ، يثبت من خلالها أنه كان لهذا الركن من قطر ، شأن هام في عصور ما قبل الإسلام التي يمتد مداها إلى الأزمنة الحجرية الغابرة ، مما سوف يتيح لهذا الركن من البلاد أن يتبوأ مكانة علمية يستكمل بها علماء التاريخ حلقات مفقودة في سجل مسيرة موجات الحضارة البشرية التي تتابعت عبر القرون الخوالي ، بين مد وجزر ، في هذا الإقليم من العالم ، وذلك بصرف النظر عن ندرة ما ورد عن الزيارة بالذات في كتب التراث التي بين أيدينا ، كمعجم البلدان الذي كتبه " ياقوت الحموي " في القرن السابع الهجري ،أي منذ زهاء قرون ثمانية ، حيث ذكر موقعا اسمه (زبارا) بقوله عنه:

(هو موضع من نواحي الكوفة ، ذكر في قتال القرامطة أيام الخليفة المقتدر العباسي) وذلك في أوائل القرن الرابع الهجري ، أي العاشر الميلادي .

ولا أظنه هنا يعني زبارة قطر وقد ذكر العلاّمة الأستاذ حمد الجاسر في موسوعته(المعجم الجغرافي) أسماء ست عشرة قرية تُسمى كلها (الزيارة) في مناطق جازان

ونجران والباحة والقنفدة ومنطقة القويعية في إمارة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، كما أن هنالك منطقة تُسمى الزبارة بالصحراء العربية الشرقية المصرية بين النيل والبحر الأحمر تشتهر منذ القدم بتعدين الزمرد .

مشروع نقترحه :

لما كانت أعمال الاستطلاع والدراسة والتنقيب ، وتجميع المادة العلمية ، من المراجع ووثائق المعلومات ذات العلاقة بموضوع الزبارة ، من مختلف المصادر المحلية والإقليمية والعالمية ، المنشورة والمحفوظة في الأضابير ، سوف يستغرق بطبيعته عدة سنوات من العمل الدءوب والإطلاع المتكامل والترجمة ، فإنه لمما يستحق التفكير في تحقيقه أثناء تلك المرحلة ، وعلى ضوء فلسفة الدولة القائمة على الإيمان بضرورة ، بل بحتمية ، مواكبة التطور العلمي العالمي : أن لا يكون هدفنا من الاهتمام بالزبارة مقصوراً فقط على مجرد التنقيب عن آثار الأقدمين ، وترميم ما دَرَسَ من معالمها ، بل : لابد وأن يمتد اهتمامنا بالزبارة اليوم نحو التطلع لإحياء اسمها التاريخي ، وإعادة التعريف بها محلياً وعالمياً ، على نور جَعْلِها مرفقاً حضارياً معاصراً مُنْضَماً بجدارة إلى موكب التقدم العلمي ، وربط الماضي بالمستقبل وذلك : بالشروع فوراً في إنشاء محطة بحث علمي ميداني، يضطلع فيها الشباب بمهمة استكمال كل ما لم يتم استكماله بعد، في مختلف مجالات الدراسات العلمية الميدانية في علوم التاريخ الطبيعي ومختلف فروعها :

- النبات
- الحيوان
- علوم الأرض
- علم المثيريولوجيا (علم الأجواء)
- الفلك
- تكنولوجية التنقيب

وتقوم الدولة بإشهار محطة الزياره للبحث العلمي الميداني ، في المحافل العلمية العالمية ، بالطرق المتعارف عليها دولياً .

ولا يغيب عن البال اتخاذ تلك المحطة بمثابة نواة لمدينة مستقبلية مزدهرة عامرة منتجة مستثمرة للبيئة ، إلى جانب أن يكون ركن من منطقتها منتجعاً للترويح والسياحة في إطار من عقيدتنا وتقاليدنا السامية ، وتصبح على خريطة العالم ميدان ملتقى علمي ، لكل المهتمين بفروع العلوم التي أسلفنا ذكرها ، مما يخدم تنمية عطاء البيئة الصحراوية والسبخة والبحرية ، فضلا عن الإسهام في المعرفة العلمية الأكاديمية .

ونستطيع القول بان إنشاء نواة محطة بحث علمي ميداني في الزبارة ، إنما هو أسوة حسنة غير مسبوقة في عالمنا العربي ، حيث نستشرف من آثار الماضي المجيد آفاق الإعداد للمستقبل المشرق بإذن الله .

ولابد أن نراعي منذ البداية ، توفير وسائل العيش الكاملة للقائمين بالعمل هناك ، وذلك حفاظاً علي الوقت وإدِّخَاراً للجهود من أجل صرفها في العمل الجاد المتواصل المنتج ، أي أن لا تصبح الزبارة مجرد منطقة عمل وظيفي ، يلتقي فيها العاملون أثناء فترة الدوام ، بعد أن يقطعوا عشرات الأميال في طريقها جيئة أو ذهاباً ، بل نؤهلهم ليكونوا نواة بشرية لمدينة زاهرة جديدة علي خريطة قطر ، عامرة بالإنتاج أكاديميا واقتصادياً ، أساسها الأول البحث العلمي للمستقبل بباعث من روح الماضي التليد .

.. الموقع ..

تقع أطلال مدينة الزبارة التاريخية ، في أرض سبخة عند تقاطع خط عرض

(٢٥- ٥٩ ش) وخط طول (٥١ - ٢ شق) .

وتغطى المنطقة المتاخمة لأطلال الزبارة من الشرق والشمال والجنوب صخور رسوبية من عصر الأيوسين ، تعلوها رواسب حديثة من السباخ والرمال الجيرية الساحلية ،

وتحت الماء إلى غربها رمال وشعاب مرجانية . وليس للمنطقة خريطة جيولوجية مفصلة.

وفي الأرض حول آثار الزيارة متسع رحب بكر ، لإنشاء محطة الزيارة للبحث العلمي الميداني بالقرب من القلعة القائمة حالياً حيث يتسنى وضع أساس الزيارة الحديثة لتحيي أمجاد الزيارة القديمة وتزيد عليها بإذن الله وتوفيق المخلصين العاملين.

.. مراحل العمل ..

إلى جانب ما أسلفنا ذكره عن تجميع مكتبة من المراجع والمؤلفات التي جاء فيها ذكر الزيارة تاريخياً وآثاريا ، وما كتب عن نبات وحيوان وشواطئ وأجواء وكيمياء المناطق الصحراوية ، مما يلزم للباحثين ، فيمكن تصور خطوات ومراحل العمل فيما يلي :

١- إقامة سور محيط من الأسلاك الشائكة والعوائق حول المنطقة الأثرية ، للحيلولة دون انتهاكها بالسيارات أو الدواب أو المارة ، وإعدادها لأعمال التنقيب بتخطيط علمي وئيد .

٢- اختيار مكان مناسب لإنشاء حديقة فريدة في مضمونها ، ليزرع فيها ، للبحث العلمي والترويح السياحي :

أ - كل ما يمكن استجلابه من مختلف بلاد العالم من نباتات المجموعة(النخيلية) ويوجد في العالم زهاء (٢٦٠٠) نوع ، ومنها نخيل التمر المعروف بمختلف أصنافه ، وجوز الهند ، والدوم ، ونخيل الزيت ، ونخيل الشمع ، ونخيل الساجو، ونخيل السكر وغيرها ، وبتجميعها في صعيد واحد نكون قد أنجزنا عملاً غير مسبوق في العالم كله.

ب- كل ما يمكن استجلابه من النباتات الصحراوية من جميع صحارى العالم في القارات الخمس واستراليا ، وذلك طبعاً بالإضافة إلى نباتات الصحارى العربية علي سعتها ، وهذه أيضاً فكرة غير مسبوقة.

ج ـ يستتبع ذلك بالضرورة إفراد ركن خاص في حديقة الزيارة للأعشاب ذات المنافع الطبية وإكثارها تمهيداً للاستفادة منها اقتصادياً في سوق الدواء العالمي والمحلي ، على ضوء أن هنالك اتجاهاً قوياً في العالم اليوم نحو التداوي بالعقارات النباتية الطبية لاسيما تلك التي تنمو في الصحارى .

د- إقامة سور حول حاجز علي مساحة مختارة من الساحل داخل البحر لتصبح ، بمثابة حديقة للنباتات والأعشاب والطحالب البحرية وذلك تمهيداً لإحصاء ودراسة أنواعها دراسة مستوفاة من جميع وجوه البحث العلمي مما قد يسفر عنه منافع اقتصادية .

ويتبع هذا إدخال زراعة نبات الشورى في مكان مناسب من ساحل المنطقة ، مما يجعل منه منتجعاً سياحياً ، فضلاً عن نفعه الاقتصادي مستقبلا ٠

٠٠٠ من خطوات البحث العلمي في الزيارة ٠٠٠

١- حصر جميع أنواع النباتات الصحراوية التي تنمو في كافة أنحاء قطر ، علي مدار العام ، وتوثيق المعلومات العلمية عن كل نوع ، وتصوير الأنواع في مراحل نموها فصلاً بفصل ، وجمع بذور كل صنف علي حدة ، وجمع حبوب اللقاح (غبار الطلع) لكل نبات ، لأعداد ذلك كله للدراسات العلمية المتكاملة المستفيضة ، وكذلك للانتفاع بالنتائج اقتصادياً ٠

٢- إنشاء معشبة كاملة من كل الأنواع النباتية التي تنمو طبيعياً في أرجاء قطر ٢ محنطة محفوظة بالأسلوب العلمي للانتفاع بها في المتاحف والمدارس ، وللبيع منها للجامعات والمعشبات في مختلف بلاد العالم ، وكذلك للهواة والسائحين . وفي الحالة الأخيرة تختار النباتات الغريبة الجميلة المنظر ، هذا فضلاً عن طباعة صور ملونة جميلة لمختلف أنواع النباتات الصحراوية المزهرة لتباع للهواة والسائحين.

ويدخل في هذا الباب أيضاً ، دراسة أنواع الطحالب والأشن والبكتريا ، وكذلك الأنواع النباتية المجهرية.

وكذلك يشمل هذا الباب الخوض في تجارب استئناس نباتات المحاصيل والأعشاب الطبية لتستزرع في بيئة السباخ .

٣- عمل برنامج شامل لحصر كافة أنواع القواقع والمحارات والمرجانيات والاسفنجيات التي تعيش في المياه الإقليمية القطرية.

هذا فضلاً عن دراسة الأحياء المائية كافة ، نباتاً وحيواناً ، والتعرف علي فوائدها المحتملة اقتصاديا .

وحبذا هنا ، النظر في مسألة اتخاذ خليج صغير لاستزراع الأسماك والقشريات ، والمحاريات التي تؤكل لتصديرها .

٤- عمل برنامج مسح شامل للحشرات والعناكب والديدان وغيرها من اللافقاريات ،سواء لإجراء التجارب عليها حية أو لتحنيطها لصالح المتاحف والمدارس والجامعات والسياحة .

٥- حصر أنواع الزواحف التي تعيش علي أرض قطر وجمعها بأسلوب علمي ، لتوالدها وإعدادها لمختلف أنواع الدراسات العلمية التي يقوم بها الباحثون في أنحاء العالم ، وهنا يجدر ذكر أن سموم أنواع الأفاعي والثعابين والحيات تتخذ في كثير من أنحاء العالم لصناعة العقاقير والأمصال .

٦- إنشاء برج مراقبة مجهز بالكاميرات والتلسكوب لتصوير وتوثيق اتجاهات أسراب الطيور الموسمية التي تعبر أجواء قطر علي مدار العام ، ويستتبع ذلك تحنيط مجموعات من تلك الطيور للاستفادة منها علمياً في المتاحف والمدارس والجامعات، واقتصادياً بالبيع للهواة والسائحين .

٧- إقامة برج خاص للمراقبة الفلكية ، لتعريف الدارسين والباحثين بالأجرام السماوية من مجرات وسُدُم ونجوم وبروج وكواكب وأسماء الرياح واتجاهاتها خلال العام ، مما يجهله الكثيرون منا في هذه الأيام ، وكان سكان الزيارة الأميون والمتعلمون القدامى يحفظونها جيلاً بعد جيل عن ظهر قلب دون مدرس أو كتاب.

٨- العمل علي تجميع كافة أنواع الأحياء المستحجرة من طبقات الصخور علي سطح قطر ، وعمل كتالوج علمي واف للأغراض البحثية والثقافية العلمية .

ويتبع هذا عمل برنامج متكامل واف لاستقصاء كافة خصائص طبقات الصخور، فيزيائياً وكيمائياً وهندسياً ،من طبقات الرس الأدنى حتى طبقات الهفوف الأعلى . ومن التكوين الأخير تدرس جميع أنواع الحصى التي جلبتها العوامل الطبيعية من خارج شبه الجزيرة خلال الزمن الجيولوجي ،مما يضفي توضيحاً عن الجغرافية القديمة لمنطقتنا .

وليس ما أسلفنا هو كل ما يمكن عمله في محطة الزيارة العلمية الميدانية ، نواة زبارة المستقبل ، فهنالك الكثير مما يمكن إضافته داخل هذا الإطار، أثناء الأعداد لتنفيذ الفكرة ، وخلال القيام بأعمال التنقيب والدراسات الآثارية .

ونسأل الله أن يكون في متناول الأجيال القادمة كل ما أسلفنا ذكره من أمنيات الإنجاز العلمي ليضيفوا إليه ويثبتوا للعالم كافة ، أنهم من أحفاد قوم علّموا البشرية ، مكارم الأخلاق واحترام البحث العلمي الصادق الأمين ، في زمن كان العالم لا يزال غارقاً في ظلام العصور الوسطى.....

والله من وراء القصد

وهو الهادي إلى سواء السبيل .

اسم سيناء....

مـــن أيـــن جـــــاء ؟

من الأسئلة التي لم تبرح بدون اجابة شافية : هل سيناء التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي التوراة والإنجيل هي شبه الجزيرة المعروفة في الجغرافية العربية اليوم في الركن الشمالي الشرقي من مصر أم أنها موقع لم نعرفه في الحقيقة الجغرافية حتى اليوم ؟

لا سيما وأن أبحاث علماء التاريخ إلى يومنا هذا لا تزال جارية على قدم وساق لمعرفة أين دك الجبل وخر موسى عليه السلام صعقا ؟؟

سؤال خاض في الإجابة عليه خلق كثيرون منذ قرون عديدة ولكن أحدا لا يستطيع أن يؤكد أن ما يسمى اليوم على الخرائط (شبه جزيرة سيناء) هو سيناء المقدسة !!!!

وردت كلمة سيناء في أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس كما يلي :

١- في سفر الخروج في الجملة الأولى من الإصحاح السادس عشر والأولى والثانية والحادية عشرة و الثامنة عشرة والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والسادسة والعشرين من الإصحاح التاسع عشر وفي الجملة الثامنة عشرة من الإصحاح الحادي والثلاثين وفي الجملة الثانية والرابعة والتاسعة عشرة والثانية والثلاثين من الإصحاح الرابع والثلاثين .

٢- في سفر اللاويين في الجملة الثامنة والثلاثين من الإصحاح السابع وفي الجملة الأولى من الإصحاح الخامس والعشرين وفي الجملة الرابعة والثلاثين من الإصحاح السابع والعشرين .

٣- في سفر العدد في الجملة الأولى من الإصحاح الأول الجملة الأولى والرابعة والرابعة عشرة من الإصحاح الثالث ، وفي الجملة الأولى والخامسة من الإصحاح

التاسع وفي الجملة الثانية عشرة من الإصحاح العاشر وفي الجملة الرابعة والعشرين من الإصحاح السادس والعشرين وفي الجملة السادسة من الإصحاح الثامن والعشرين وفي الجملتين الخامسة عشرة والسادسة عشر من الإصحاح الثالث والثلاثين .

٤- سفر التثنية ، في الجملة الثانية من الإصحاخ الثالث والثلاثين وهي التي تقول : "وقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .

٥- سفر القضاء في الجملة الخامسة من الإصحاح الخامس .

٦- سفر نحميا ، في الجملة الثالثة عشرة من الإصحاح التاسع .

٧- سفر المزامير في الجملة الثامنة من الإصحاح الثامن والستين ، وهي التي تقول : "الأرض ارتعدت والسموات أيضا تفطرت أمام وجه الله (سينا) نفسه من وجه الله..."

ثم ورد ذكرها في كتب العهد الجديد :

١- أعمال الرسل في الجملة الثلاثين من الإصحاح السابع وهي التي تقول : " ولما كملت أربعون سنة ظهر له ملاك الرب في برية جبل سينا في لهيب نار عليقة " .

٢- رسالة النبي بولس لاهل اغلاطية ، في الجملتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من الاصحاح الرابع وفيهما :

وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر لأن هاجر جبل سيناء بالعربية " .

وذكرت كلمة " حوريب " كمرادف لكلمة " سيناء " في الكتاب المقدس كما يلي:

١- سفر الخروج في العبارات : الأولى من الإصحاح الثالث والسادسة من الإصحاح السابع عشر والسادسة من الإصحاح الثالث والثلاثين .

٢- سفر التثنية في العبارات : الثالثة والسادسة والتاسعة عشرة من الإصحاح الأول والعاشرة من الإصحاح الرابع ، والثانية من الإصحاح الخامس والثامنة من الإصحاح التاسع التي تقول " حتى في حوريب اسخطتم الرب فغضب عليكم ليبيدكم " والسادسة عشرة من الإصحاح الثامن عشر والأولى من الإصحاح التاسع والعشرين .

٣- سفر الملوك الأول : في الجملة التاسعة من الإصحاح الثامن وفي الجملة الثامنة من الإصحاح التاسع عشر .

٤- سفر الأيام الثاني في الجملة العاشرة من الإصحاح الخامس .

٥- سفر المزامير في الجملة التاسعة عشرة من الإصحاح السادس بعد المائة

٦- سفر ملاخي ، في الجملة الرابعة من الإصحاح الرابع .

ولم ترد كلمة حوريب في كتب العهد الجديد .

ثم وردت كلمة " سين " في العهد القديم كما يلي :

١- سفر الخروج في الجملة الأولى من الإصحاح السابع عشر .

٢- سفر العدد فى العبارتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الإصحاح الثالث والثلاثين .

٣- سفر حزقيال في الجملتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الإصحاح الثلاثين وهما تقولان :

" واسكب غضبي على سين حصن مصر واستأصل جمهور نو ، واضرم نارا في مصر سين تتوجع توجعا ونو تكون للتمزيق " .

ولم ترد كلمة سين في العهد الجديد.

كذلك نجد في سفر أشعيا من العهد القديم نص العبارة الثانية عشرة من الإصحاح التاسع والأربعين يذكر كلمة (سينيم) هكذا : هؤلاء من بعيد يأتون وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم .

وبعد ذلك نجد ذكر كلمة " صين " كما يلي :

١- سفر العدد في العبارة الحادية والعشرين من الإصحاح الثالث عشر وفي العبارة الأولى من الإصحاح العشرين وفي الجملة الرابعة عشرة من الإصحاح السابع والعشرين وفي الجملة السادسة والثلاثين من الإصحاح الثالث والثلاثين وفي الجملتين الثالثة والرابعة من الإصحاح الرابع والثلاثين .

٢- سفر التثنية في العبارة الحادية والخمسين من الإصحاح الثاني والثلاثين .

٣- سفر يشوع في العبارتين الأولى والثالثة من الإصحاح الخامس عشر .

هذه الكلمات الخمس التي وردت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، سيناء وحوريب وسين وسينيم وصين ، كلها تحوم حول تخوم مصر الشمالية الشرقية مقترنة بموضوع خروج سيدنا موسى عليه السلام بمن تبعه من الموحدين الهاربين من عبادة الأصنام في مصر إبان القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام (٩) .

ومن المحتمل أن التفكير في إطلاق اسم " سيناء " على القسم الشمالي الشرقي من مصر جاء نتيجة لهروب المسيحين الأوائل الى الصحاري ومنها جنوب سيناء بدينهم فراراً من بطش الرومان وطغيانهم ثم نتيجة اهتمام المتدينين من المسيحين الأول بتحقيق ما جاء في الكتاب المقدس .

١- نعلم أن القديسة هيلانة أم القيصر قسطنطين الأكبرقد اعتنقت المسيحية (٢٥٠-٣٣٠م) وبنت في بيت المقدس كنيسة شهيرة ودفعتها شدة تدينها الى البحث عن جبل سيناء وحوريب فأشار عليها خبراء امبراطورية ابنها آنذاك بزيارة منطقة دير كاترينا الحالية استنادا الى ما ذكره ديودور الصقلي المؤرخ المعروف (سنة ١٠ ق.م)

عن وجود كتابات (سريانية) على الصخورفي تلك المناطق كان قد أشار اليها كل من المؤرخ اجاثارشيدس (سنة ٦٠ ق.م) والرحالة ارتيميدوروس (سنة ١١٠ ق.م) ظنا منهما أنها تتعلق بسيدنا موسى عليه السلام ، فزارت هيلانة تلك البقاع وبدأ ترجيح الظن أنها مناطق الوصايا العشر وتجلى الرب لموسى عليه السلام .

٢- تلا ذلك (سنة ٤٠٠ م) رحلة الحاجة " اثيريا " الأسبانية الى تلك المناطق أيضا بحثا عن " سيناء " وحوريب وترجيحا أيضا لأنها هي المنطقة المقصودة في الكتب المقدسة .

٣- ثم جاءت رحلة كوزامسي الباحث الهندي المسيحي (سنة ٥١٨ م) الى تلك البقاع في صحبة من أكدوا له أن منطقة جنوب سيناء هي مكان سيناء وحوريب وأن النقوش عند مدخل وادي المكتب هي نقوش أتباع موسى عليه السلام (مما ثبت خطأه بعد ذلك) حين تاهوا في الأرض أربعين عاما .

٤- وتوج هذا كله بما قام به الإمبراطور جستنيان إذ بنى ديرا للرهبان والنساك (سنة ٥٢٧ م) وسماه دير طور سيناء ، حيث هو اليوم ، تخليدا لذكرى زوجته الفاتنة "تيودورا "وتكملة لبرنامجه الدفاعي ببناء الحصون والقلاع في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية.

ومنذ ذلك التاريخ أصبح المتواتر عرفا الى اليوم أن (سيناء وحوريب) الكتاب المقدس هما هنالك في قلب الجنوب الجبلي من محافظة سيناء بدون اثبات علمي ، لا سيما وأن " جنوب سيناء ووسطها " كان يسمى خلال الإمبراطورية الرومانية باسم " ارابيابيترا " أي بلاد العرب الحجرية أو الصخرية ، ولم يؤثر عن الرومان في خرائطهم العديدة إطلاق اسم سيناء على هذه البقعة من مصر .

وخلال القرون منذ بني جستنيان دير طور سيناء (المسمى اليوم دير سانت كاترين) حار الباحثون والمفسرون المهتمون بالجغرافيا المقدسة في الإجابة على السؤال : أين دك

الجبل وخر موسى صعقا ؟ ولم يستطع أحد أن يثبت حتى الآن اثباتا علميا قاطعا أن سيناء وحوريب الواردتين في الكتاب المقدس (وسيناء وسينين والطور) الواردة في القرآن الكريم تقع في هذه الرقعة الشمالية الشرقية من البلاد المصرية ، ولعله من المفيد قبل أن نذكر ما جاء عن " طور سيناء " في القرآن الكريم أن نحول دفة البحث في كنه وأصل اسم سيناء ومصدره واشتقاقه كما جاءت به أخبار العلماء .

قال العلماء بصرف النظر عن عدم التأكد من حقيقة مكان طور سيناء وحوريب ، أن كلمة سيناء مشتقة أصلا من كلمة " سين " ومعناها " اله القمر " في الديانات الوثنية البائدة التي كانت شائعة في بلاد بابل وآشور (قبل سنة ٢٠٠٠ ق.م) وكانت الكلمة باللغة الآكادية القديمة (زو-اين) وتكتب مقلوبة (اين- زو) وترمز للقمر بأنه " رب الحكمة " وكان مركز هذه الديانة القمرية في " حران " في منطقة الحدود بين العراق وسوريا وكذلك لدى الحيثيين في تركيا والأناضول ، وكانت هذه الديانة تقوم على ثلاثة آلهة " شمش " اله الشمس و " عشتار " كوكب الزهرة المعروف و" سين " هذه الذي نحن بصدده .

ولعل هذا الثلاثي هو الذي أشار اليه القرآن الكريم في سورة الأنعام في الآيات من ٧٥ الى ٧٩ " وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين " (٧٥) " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين " (٧٦) " فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين " (٧٧) " فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني برئ مما تشركون " (٧٨) " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " (٧٩) إذ أن ابراهيم عليه السلام كما نعلم من (أور) البابلية .

وكان الاله سين يصور على هيئة شيخ وقور ذي لحية طويلة وعلى رأسه عمامة ذات قرون يتوجه فوق الجبهة هلال ، وهذا ثابت في أثر من آثار الملك البابلي (أو- نعمو)

سنة (٢١٣٠ ق.م) كما أن وجود الهلال في تاج الملك " سنفرو " تاسع ملوك الأسرة الثالثة المصرية دليل على تبادل احترام المعبودات بين مصر وبابل ، وقد تحول الهلال الى رأس بقرة ذات قرنين يصنعان معا شكل الهلال في تمثال الملك السادس من الأسرة الثانية عشرة " امنمحعت الثالث " (١٨٤٠ - ١٧٩٢ ق.م) .

ويستفاد من التاريخ أن الملك " نابونيدس " آخر ملوك بابل ، والذي كانت أمه كاهنة في معبد سين (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م) في حران ، كان من أشد المبشرين تحمسا لديانة عبادة " سين " مقلدا بذلك الملك " سارجون " الأكادي (٢٣٥٠ - ٢٣٠٠ ق.م) .

وقد بلغت عبادة القمر في بابل شأناً عظيماً حتى أن أسماء كثير من ملوك بابل وآشور كانت تحمل كلمة سين ونذكر منهم على سبيل المثال : (ابيل - سين) و(سين - موباليت) وهما اللذان سبقا حمورابى العمورى صاحب الشرائع المشهورة ٠ (حوالى سنة ١٧٠٠ ق٠ م) وقد عاصر حمورابى نفسه ملك " لارسا " المسمى (ريم - سين) وهزمه فى إحدى الحروب فاصبح بذلك سيد العراق جميعاً ٠

ويرجع العلماء ان المعبد الذى اكتشف بين اطلال اريحا القديمة بفلسطين ، والذى يرجع تاريخه الى سنة (٦٠٠٠ ق٠م) كان معبدا للإله "سين " ويرجحون ان اسم اريحا باللغة الكنعانية " يريحو" معناه مدينة القمر.

وكان الأراميون كذلك يعبدون القمر ويسمونه" سهر " وربما كانت هذه الكلمة مصدر كلمة (شهر) العربية اذ ان الشهر لدى العرب قمري ، كما كان الأنباط (فى القرن الرابع قبل الميلاد) يعبدون آلهة القمر ويسمونها اللآت واستمرت عبادة اللآت حتى ظهر الاسلام واكتشف الباحثون فى (تيماء) بشمال الجزيرة العربية حجرا منقوشا باللغة الأرامية ترجع كتابته الى القرن الخامس قبل الميلاد وفيها اشارات الى الإله " سين " باسم (شين - جالا) اى سين الاعظم ، وكان للفراعنة صنم يسمى (تحوت) وآخر لاهل سبأ أصحاب سد مأرب المشهور يسمى (الموقاة) يرمزان للقمر وعبادته ٠

ولاعجب ان يعبد سكان الصحراء القمر ، فبه يحصون الإيام والشهور وعلى ضوئه يسيرون عبر الفيافى والقفار ٠

والجدير بالإشارة أن القمر يعبد فى إيامنا هذه فى بعض الديانات الوثنية المعاصرة فى الهند ، وإله القمر الهندى يسمى " شاندرا " وهو على صورة إمراة لها شوارب كالرجال تجلس القرفصاء فى كرة من البللور فوق ظهر تيتل ضخم عتيد !!!!

ولكن يبدو أن السؤال الصعب إلى يومنا هذا : من أين وكيف انطبع أسم المعبود البابلى " سين " على جنوب سيناء ؟ يقول بعض الباحثين أنهم اكتشفوا آثار معبد فوق سطح جبل " حمام فرعون " إلى الشمال من " أبى زنيمة " يظنون أنه كان خاصاً بعبادة الإله " سين " إله القمر ٠

ثم إن كلمة "حوريب " المرادفة لكلمة " سيناء " فى الكتاب المقدس ترجع أساساً إلى" جبل " كان نفر من العرب الأنباط يعتقدون أن إلههم " يهواه " يسكن فيه ، وكان هولاء الناس يعيشون فى شمال غرب الجزيرة العربية وعلى تخوم ، سيناء الشرقية وجنوب الشام ، أى أن جبل " حوريب " كان معروفا قبل كتابة العهد القديم ، ولكن السؤال الذى لايزال أيضاً صعب الإجابة هل " حوريب " هذا يوجد فعلا فى سيناء ، أم أنه التصق بها كما التصق " جبل طور سينا " دون تحقيق علمى مؤكد ؟؟

ومن الثابت ان الديانات الوثنية القديمة كانت تقدس الأماكن المرتفعة وتعتبرها مساكن للآلهة ومواطن لتقديم الضحايا من البشر والقرابين من الحيوانات إرضاء لتلك الآلهة المزعومة ٠٠ فهل ترجع قدسية جنوب سيناء إلى قرون عديدة خلت قبل الأديان السماوية المعروفة لرهبة جبالها وعظمة قممها ؟

ومسك الختام نأتى بعد ذلك إلى ما جاء فى القرآن الكريم عن سيناء وما ذكر عنها فى الموسوعات العربية :

١- جاء ذكر " سيناء " فى القرآن الكريم مرتين إحداهما فى سورة " والتين والزيتون وطور سينين " ، ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقرأ فى صلاته " والتين والزيتون وطور سيناء " والمرة الثانية فى الآية العشرين من سورة "المؤمنون " القائلة " وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين " ٠

٢- جاء ذكر كلمة" الطور " مقصوداً بها "طور سيناء "فى عشرة مواضع من القرآن الكريم فهى فيما عدا الآية الثانية من سورة التين والآية العشرين من سورة المؤمنون مذكورة فى الآيتين الثالثة والستين والثالثة والتسعين من سورة البقرة وفى الآية الرابعة والخمسين بعد المائة من سورة النساء وفى الآية الثانية والخمسين من سورة مريم وفى الآية الثمانين من سورة طه وفى الآيتين التاسعة والعشرين والسادسة والأربعين من سورة القصص وفى الآية الأولى من سورة الطور ٠

٣- كذلك جاء ذكر الجبل فى القرآن الكريم بما يفيد أنه جبل طور سيناء فى سورة الأعراف فى الآية الثالثة والأربعين بعد المائة : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربى أرنى أنظر إليك ، قال لن ترانى ، ولكن أنظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما آفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين " ٠

وقد اتفق علماء تفسير القرآن الكريم على أن سينين هى سيناء ولكنهم أكثروا من الآراء فى معنى الكلمة والمكان الذى تدل عليه وكيفية نطق الكلمة ذاتها، ونختار من بين العلماء :

١- القرطبي :

(أ) قال فى تفسيره لسورة "المؤمنون" طور سيناء هو الجبل الذى بارك الله فيه، وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، والطور الجبل فى كلام العرب ، وقال أبو زيد هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر الى العقبة واختلف فى سيناء فقال

قتادة معناه الحسن وقال مجاهد معناه مبارك وقال سيناء حجر بعينه أضيف الجبل إليه ، وقال معمر معناه شجر وقال الأخفش هو أسم أعجمى وقال مقاتل كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء أى حسن وقرأه الكوفيون بفتح السين على وزن (صحراء) فهو لذلك ممنوع من الصرف ومن قرأ سيناء بكسر السين يمنع من الصرف لأنه اسم بقعة .

(ب) وقال فى تفسيره لسورة (التين) روى ابن نجيع عن مجاهد طور معناها جبل وسينين كلمة سريانية معناها مبارك وقال ابن عباس الطور هو الجبل وسينين معناه حسن ، وقال قتادة سينين هو المبارك الحسن ، وقال مقاتل والكلبى فى سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط ٠

٢ - البيضاوي :

يقول فى تفسيره أن طور سيناء هو جبل موسي ويقع بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التانيث على تأويل البقعة وهو من السناء بالمد أى الرفعة و بالقصر أى النور ، وإن سنين وسيناء شيء واحد وهو الجبل الذى ناجى عليه موسي عليه السلام ربه.

٣- ابن كثير :

يقول فى تفسيره لسورة " المؤمنون " الشجرة هى الزيتونة والطور هوالجبل الذى فيه شجر وطور سيناء وطور سينين بمعنى واحد هو الجبل الذى كلم الله عليه موسي بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التى فيها شجر الزيتون ٠

٤- الفيروزبادى :

يقول في القاموس المحيط : سينين بلدة بأصفهان، وسيناء بالمد الحجارة وسينا مقصورة جبل بالشام والسينينة شجرة جمعها سينين ، ثم يقول إن الطور هو الجبل

وطور سيناء وطور سينين جبل قرب العقبة والطور جبل بالقدس عن يمين المسجد الأقصى وآخر عن قبليه وجبل مطل على بحيرة طبرية ·

٥- ابن منظور :

يقول في قاموسه" لسان العرب " إن الطور هو الجبل وطور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طوري والنسب إليه طيري وطوراني ، والطور في كلام العرب الجبل ، وسيناء الحجارة وقيل إنه اسم مكان ، ثم ينقل عن الفراء قوله أن الطور هو الجبل الذي بمدين (خارج سيناء) الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام .

ثم نجد ابن منظور والفيروزبادى فى قاموسيهما يذكران تحت كلمة " الزبير " انه اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، ومن العجيب أن أعلى قمم جبل كاترينة ، وهى أعلى قمة مصرية (٢٦٤١ متراً فوق سطح البحر) يسميها البدو جبل الزبير أيضاً بفتح الزاي وكسر الباء .

من كل ما أوردناه حتى الآن نستطيع أن نتبين أنه ليس من المؤكد أن اشتقاق كلمة "سيناء " جاء من" سين" إله القمر البابلي ، وذلك لبعد الشقة بين بابل ومحافظة سيناء من ناحية ، ومن الناحية الثانية لأن إله القمر ذاك البابلى الأشورى اتخذ أسماء أخرى منها" سهر " ونانار " وريحو " وشنجال" ومن الناحية الثالثة أنه ليس هنالك برهان علمى متكامل على أن سكان سيناء القدامى كانوا يعبدون القمر بدرجة تجعل شمال شرق مصر هو" سيناء" بينما لايخلع هذا اللقب على مقاطعة في العراق او سوريا مثلاً حيث نشأت وترعرعت تلك العبادة الوثنية القديمة منذ أكثر من ألفى عام قبل الميلاد .

وقد يكون من الأرجح أن معنى " سيناء " الواردة فى الكتب السماوية هو" الحسن" أو "المشجر" أو" المبارك" كما قال بعض مفسري القرآن الكريم .

ثم إن ورود كلمة " سين" فى سفر حزقيال بمعنى أنها "حصن" جعل بعض الباحثين يظن أن المقصود بكلمة "سين" حصن "بلوزيوم" أو" الفرما" وهذه لم تكن لها علاقة فيما نعلم بعبادة القمر ، بل إن رمزها فى مصر القديمة كان" فرس النهر" .

كما أن تتبع ما جاء في سفر العدد " بشأن مراحل ومحطات خروج سيدنا موسى من مصر ، ومنها سين وسيناء وصين وبحر سوف ، قد حير الباحثين من قبلنا حيرة قد لا تجد حلا علميا إلى الأبد ، فعلى سبيل المثال : نجد أن بحر سوف " الذي عبره موسى عليه السلام إلى برية سين وجبل سيناء يكون مرة عند مشارف بورسعيد الجنوبية ، ثم ينتقل فجأة إلى الساحل الغربي لخليج السويس عند الزعفرانة وأحيانا يكون بحيرة التمساح أو البحيرات المرة الكبرى أو سبخة البردويل ، آراء غير مستقرة ولن تستقر بل إن العبارة السادسة والعشرين في الإصحاح التاسع من سفر الملوك الأول تؤكد أن بحر سوف هو خليج العقبة أي أن " سيناء " المقصودة في العهد القديم وما تلاه من الكتب الدينية تقع خارج سيناء مصر !!!!!

كما أنه ليس في الكتاب المقدس تفريق واضح مريح بين " حوريب " و " سيناء " معنى ومكانا ؛ وهذا ما حدا بكثير من الباحثين إلى انكار وجود جبل سيناء المقدس في محافظة سيناء المصرية على الإطلاق واعتباره أحد قمم جبال الشراة شرق خليج العقبة أوإحدى القمم إلى الشمال الشرقي من هذا الخليج أو حتى عند " البطراء " حيث هنالك واد يسمى وادي موسى وجبل يطلق عليه اسم جبل هارون وآخر يسمى جبل هور أو حور .

وحتى الذين يقولون بوجوده في سيناء مختلفون كل الاختلافات في الموقع فهو عند قوم " جبل الحلال " في شمال سيناء وعند آخرين جبل أم شومر أو جبل سريال أو جبل كاترين أو جبل موسى أو رأس الصفصافة أو جبل أم علوي في جنوب سيناء ، وكل المواقع التي وردت في سفر العدد عن قصة سيدنا موسى ليس لها أي ذكر في أرض

سيناء اللهم إلا في خيال بعض الباحثين ممن يعتمدون على أو (التصحيف) ومحاولة إلباس اللفظ ثوبا غير ثوبه الأصلي كما هو حادث مثلا في الظن بأن وادي فيران هو " فاران " والحضيرة هي " حظيروت " وعين قديس هي " قادش برنيع " وهذه ليس لها من سند علمي يقيني مؤكد ، ولكن العلم اليقيني المؤكد لدينا مع كل الاحترام والإجلال لكل ما جاء في الكتب السماوية عن " سيناء " من معان سامية ، هو أن تلك المساحة من الأرض التي تبلغ واحدا وستين ألف كيلومتر مربع من السباخ والرمال والحجارة والصخور والوديان والتلال والهضاب والجبال الشامخات ، والتي تسمى اليوم لدى الجغرفيين بعد حفر قناة السويس باسم " شبه جزيرة سيناء " والتي كانت تنقسم في القرون السابقة لحفر القناة إلى منطقة (الجفار) أو رمل مصر أو الحوف الشرقي أو صحراء البرزخ في الشمال الرملي ومنطقة " التيه " في الوسط الحجري الرسوبي ومنطقة " طور سيناء " في الجنوب الصخري الناري السامق الذروات ، هي أرض مصرية عربية منذ بدأ الإنسان يعيش على هذه الأرض .

ولعل من أحدث ما نشر عن جبل سيناء المقصود في الأديان السماوية ما يقول به البروفيسور (عمانويل آناتي) في كتابه (جبل الله) إن ذلك الموقع خارج شبه جزيرة سيناء إلى الشرق من الحدود المصرية الفلسطينية مقابل القصيمة .

العـــريش

على ذلك الساحل البديع تستقر (العريش) أجمل وأهدأ واصح شواطئ مصر على الإطلاق فريدة وحيدة ، إذ تمتد غابة كثيفة وارفة الظلال من النخيل الباسق على قيد أمتار من أمواج البحر ورمال الشاطئ اللؤلؤية الناصعة البياض وتغطي شريطا طوله قرابة ستة أميال من الشرق إلى الغرب .

ولما كان في نية الاستعمار فصل شبه جزيرة سيناء عن مصر حتى أن محافظ العريش ظل إنجليزياً حتى سنة ١٩٤٥ لذلك فإن القليلين جداً من أبناء مصر من يعرفون هذا المصيف الفذ الذي لا مثيل له في مزاياه . وقد آن لهذه البلدة الخالدة أن تنتعش وتنعم بالحياة ، وينعم بالصيف فيها طلاب الهدوء وجمال الطبيعة الحق .

والعريش قديمة قدم التاريخ ، فيذكر المسعودى (سنة ٢٤٠هـ) في كتابه مروج الذهب أنها كانت أيام ابناء نوح عليه السلام ، ويزيد المقريزي (١٤٢٠م) أنها اختطت بعد الطوفان وأن بها مثوى اثنى عشر من الأنبياء والرسل ، ويقول مؤرخو الرومان أن إسمها القديم كان (رينو كلورا) وكانت حدود مصر منذ عهد الفراعنة الأولين ، وبها قتل بلدوين الأول سنة ١١١٨م ودخلها نابليون عنوة بعد حصار دام ثلاثة أسابيع في ٢٥ رمضان سنة ١٢١٣هـ ، ١٧٩٨م) وقال كلمته المأثورة (العريش حصن مصر الشرقي بلا نزاع)) ، وعقد مع الانجليز معاهدة العريش المشهورة في ١٨٠٠/١/٢٤ . واتفق ابن حوقل والاصطخري على أن اسمها جاء من قول الله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) .. أما ياقوت الحموى (١٢٢٨م) فيقول في كتابه معجم البلدان أن اسمها جاء من أن اخوة سيدنا يوسف لما جاءوا للتجارة بعد القحط بنوا لهم هنالك (عريشاً يستظلون به ، حتى جاءهم التصريح بدخول مصر)

وينقل ياقوت عن لسان الحسن بن محمد المهلبي أن العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر ايام فرعون ، وهي مستقرة وفيها جامعان ومنبران وهواؤها صحيح طيب وماؤها حلو عذب وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير وفيها صنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد) .

واليها ينسب الشاعر المحدث الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم العريشي .

أما العريش في حاضرها فهي (شيء) فريد في هذه الدنيا ، فلا هي قرية ولا هي مدينة ولا هي واحة خضراء وسط رمال الصحراء ولا هي بلدة ساحلية كما اعتاد البحر البيض المتوسط أن يعرف البلدات ، ولكنها تجمع خصائص هذه الاشياء جميعاً ، وأهلها خليط موحد تام الامتزاج من الشرق والغرب لهم طبع خاص ولهجة خاصة هي في اعتقادي اقرب لهجات العرب إلى العربية الصحيحة ، تبعد عن شاطىء البحر بحوالي ميل ويصلها بالشاطىء عبر الكثبان الرملية طريق حديث من الاسفلت تم توصيله غرباً إلى القنطرة .

وكان لا يمكن السفر للعريش إلا بعد الحصول على تصريح خاص من سلاح الحدود . أما بالقطار فتصل إليها في ست ساعات من القاهرة ، أو بالسيارة عن طريق الاسماعيلية في وقت أكثر أو دون ذلك .

وتتضارب الآن الأقوال حول اصلح بقاع شاطىء العريش لانشاء المصيف ، والرأي عندي أن يكون المصيف غرب موقع محطة السكك الحديد لا شرقها ، وذلك ليكون بعيداً عن رواسب وادي العريش الطينية وليكون في الامكان التوسع دون ما مانع نحو الغرب باستمرار ، وأرى أن تقوم وزارة الشئون البلدية القروية بتوجيه المجلس البلدي هناك إلى بناء فندق ضخم فخم غرب المحطة بميل على الأقل وذاك للسنوات المقبلة ، أما للبدء حاليا فتبني كابينات مبسطة من الجريد أو مجموعة من الخيام الكبيرة وسط أشجار النخيل . دون اضرار بمصالح أصحابه بل يمكن بناء (شاليهات) جيدة من نفس

الطين الذي تبني منه مباني العريش القديمة نفسها ، وارى أن يلزم كل مالك لحديقة من النخيل بأن ينشيء لمنفعته الخاصة بالتعاون مع المجلس البلدي مجموعة من الكابينات من الجريد .. ولاشك أن الذين يعرفون حالة العريش اليوم يدركون معي أن إنشاء المصيف فيها ضرورة معيشية لا مفر منها لما تعانيه هذه البلدة من شظف العيش منذ الحربين العالمية الثانية والفلسطينية فضلاً عن أنه سيكون أجمل مصيف في مصر دون نزاع .

سيناء .. ودرب الحاج

في يوم الخميس ، غرة يونيو (حزيران) الأسود سنة ١٩٦٧ ، كنت في رحلة عمل مع الشاعر البدوي ، سويلم بن دخيل الله ، شيخ قبيلة الحويطات في سيناء ، لاستطلاع مظان لخام المنجنيز ، في كتلة المرتفعات المعقدة بين بئر (جبيل حسن) ونقب (إم اثلة) الذي اشتهر في معارك سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، باسم مضيق (متلا) لخطأ في الترجمة طالما وقعنا فيه عند النقل من الخرائط البريطانية ، دون ان نرجع لأهل البلاد ، من العارفين .. وبعد انتهاء الاستطلاع ، وقفنا على قمة ، نستشرف طريقاً يتدفق فوقه سيل مزمجر من الفولاذ ، متجها نحو الشرق ، بدعوى الاستعداد للثأر واسترداد الأرض والكرامة .. كما كانت تصور لنا القيادات آنذاك .. وطفقت مع الشيخ الشاعر البدوي . أحلم بعودة الحياة إلى (درب الحاج) ، بعد أن يبطل مفعول اللغم العائق الموضوع ، باتفاق تام بين الغرب والشرق عمداً مع سبق الاصرار والترصد ، لفصل المغرب العربي عن مشرقه .. وحدثت الكارثة ، التي لا تزال تجرجر اذيالها ، عقب تلك الرحلة بأربعة ايام ، اختفت سيناء في غيهب لم يسبق له مثيل في تاريخها الطويل العريض ، واصبحت كلاً مباحاً لكل شذاذ الآفاق على سعة العالم كله ، زهاء خمسة عشر عاماً ميلادياً إلا اثنين وأربعين يوماً ..

أما وقد عادت سيناء فإن موضوع (إحياء) درب الحاج ، عبر وسط سيناء ، يستحق وقفة تأمل جديدة .. لهذا الدرب بالذات شأن فى تاريخنا يفوق الدروب الاخرى للحجاج أذ أن الذي اختطه أصلاً هو ، قاهر التتار ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) بعد أن طهر راس خليج العقبة من بقايا الغزوة الأوروبية الصليبية . وظل هذا الدرب طريق الحاج إلى مكة المكرمة منذ سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٧م لكل مسلمي غرب وشمال أفريقيا حتى سنة ١٨٨٥م ، حيث بدأ استخدام النقل البحري الحديث بين السويس وكل من مينائي (ينبع) و (جدة) . وكانت القوافل تقطع ذلك الدرب في عشرة أيام من السويس غرباً إلى العقبة شرقاً ..

ومن باب التصديق بأننا حقيقة جادون في البحث عن مسالك وأبواب لراب الصدع ولم الشعث ، وجمع الشمل ، والالتقاء في نقطة ما ، فإننى أدعو العرب جميعاً ، البحث عن طريقة يتعاونون فيها جميعاً ، بعيداً عن السياسة ، وبأسلوب يسقط كل الاعتراضات التي قد يثيرها الاصدقاء ، قبل الأعداء ، وذلك بالتخطيط العلمي الصحيح لاحياء (درب الحاج المصري) .

وليس المقصود بهذه الدعوة مجرد انشاء طريق معبد مرصوف يسلكه الراغبون في الحج برا من مصر وشمال وغرب أفريقيا .. ولكن المقصود هو انشاء شريط من العمران الكثيف ، فيما بين السويس غرباً وبئر طابا شرقاً ، بأموال عربية محضة ، تحت لواء هيئة شعبية عربية من كل بلاد العرب ، تقوم بدراسة جميع الامكانيات التي يمكن بها جعل ذلك الطريق ، درب الحاج المصري ، عامراً بالحياة والبشر العاملين المنتجين ، تعدينياً ، وزراعياً وسياحياً ، واتخاذه شرياناً للوصول بين المغرب والمشرق في الوطن العربي .. ونضع أمام تلك الهيئة العربية التي تضطلع بتمويل وتخطيط وتنفيذ هذا المشروع ، الجديد في نوعه ، بعض الحقائق على الصورة التالية :

١- ليست هنالك ، في ما اعتقد ، أية حساسية أن تنشأ مثل تلك الهيئة من العرب جميعاً . في قطر عربي ، هو في هذه الحالة مصر ، وربما تكون هذه سابقة حسنة يقتدى بها لمشروعات مماثلة ، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الأهمية الموضوعية والوحدوية مع هذا المشروع .

٢- هنالك إمكانيات في تواجدات الماء الباطن على جانبي ذلك الدرب وإلى أعماق مختلفة جنوباً وشمالاً ، يمكن عليها قيام عمران زراعي مرموق .

٣- هنالك ايضاً امكانيات تعدينية لصناعة الأسمنت مثلاً ، ولاستخراج الأملاح والخامات المعدنية المختلفة لا يمكن إغفالها .

٤- هنالك امكانيات سياحية ، يكفي أن نذكر منها ، قلعة صلاح الدين الأيوبي في وادي صدر ، فضلاً عن أن مثل هذا المشروع سوف يشمل الامكانيات السياحية بطول سيناء وعرضها ، من معبد سرابيط الخادم ، ودير سانت كاترين وساحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل خليجي العقبة والسويس .

٥- ان جميع الأساليب والأجهزة التي اضطلعت بجوانب من التعمير فيما قبل سنة ١٩٦٧ كانت قاصرة بل ثبت فشلها في كثير من الحالات ، وثبت أنها تنفق المال بلا تخطيط ولا روية ولا استخدام علم ، مما يقتضي بالضرورة ، أن تكون الهيئة العربية المقترحة لاحياء مشروع درب الحاج المصري واعية لما يلي :-

(i) ان لا يندس ، تحت أى ضغط ، بين صفوفها ، أحد من غير الأكفاء المغرمين عمليا بإحياء موات الصحاري العربية .

(ii) أن يكون لها نظام مالي صارم ، غير معوق ، ولكنه يعرف أين ينفق كل درهم ودينار ولماذا .

(iii) أن ترصد ممتلكات القائمين بالعمل فيها ، وتجعل لمبدأ (انى لك هذا) فعالية واحتراماً .

(iv) أن تجعل في محاذاة الحوافز والمكافأة على العمل الجيد ، أيضاً العقوبات والروادع ضد العمل الردىء .

٦- إن احياء درب الحاج المصري ليس وقفاً على موسم الحج إلى بيت الله الحرام فقط ، فهو أيضاً طريق مستمر للمعتمرين والمتنقلين براً بين المغرب العربي والمشرق طوال العام .

٧- إن من مقتضيات إحياء ذلك الدرب إنشاء عدة مدن ذات أغراض محددة ، فمدينة لمستشفي عربي عالمي المستوى ، ومدينة لجامعة علمية عربية تخرج من أبناء العرب كل تقني وعالم يغني عن استيراد الخبرات ، ومدينة لصناعة الدواء من الأعشاب الطبية الصحراوية للاستهلاك العربي والتصدير إلى مختلف أنحاء العالم ومدينة لتدريب رجال الشرطة العرب على كل اساليب وتقنية الأمن والمرور ، بحيث تتخذ هذه المدن الطابع العربي الأصيل ، وتحمل كل منها اسم القطر العربي الذي مول إنشاءها ، فهذه دوحة سيناء ، وتلك كويت سيناء ، وهاتيك ينبع سيناء ، وغيرها ، دبي سيناء ، وبغداد سيناء ، وأبو ظبي سيناء ، وهكذا دواليك .

ويلحق بهذا المشروع دون أدني تردد ، مكملاً لصورته القومية الواسعة مشروع تعمير جزيرتي (تيران وصنافير) بمدخل خليج العقبة ، بإيجاد الوسيلة التي تمدها بماء البحر المحلي بالطاقة الذرية أو بالغاز ، لزرع أكبر مساحة منهما بالأشجار والمحاصيل المناسبة ، وانشاء مركز علمي لدراسة علوم البحار ، ومصنع لتعليب وتجفيف السمك (والجمبرى) والمحار ، ومرفق للترويح السياحي الخالي من شوائب العصر ومفاسده ، يلجأ إليه محبو الهدوء والقراءة والبحث والاستجمام الأخلاقي النظيف .

سيناء .. وأصل .. الأبجديات

شبه جزيرة سيناء ، هي الركن الشمالي الشرقي من مصر ، وهي ترتبط بمصر منذ فجر التاريخ الانساني ، برباط حاولت أحداث ومؤامرات لا تحصى أن تلغيه دون جدوى..

ولقد أعطي هذا الارتباط ، في راي كثير من العلماء والباحثين ، للانسانية حروف الكتابة الأبجدية الأولى ، التي أخذت عنها كل الأبجديات العالمية .

وأرجح الأقوال أن الذين اخترعوا ابجدية سيناء الأولى هم (الجيولوجيون) ومهندسو التعدين الذين كانوا خليطاً من المصريين وأهل الشام ، يعملون في مناجم النحاس والفيروز ، واخترعوها لتسهل عليهم كتابة التقارير العلمية الخاصة بمسيرة أعمال التعدين .

وقصة ذلك طويلة في فصول الحضارة الانسانية .

فقد كان المصريون القدماء أهل علم ومعرفة بأصول صناعة التعدين ، وعلم استخراج الخامات منذ مئات القرون .

وكانوا لا يفتأون يسبرون أغوار صحاريهم المحيطة بالنهر الخالد ، النيل ، بحثاً عن مكامن الذهب والنحاس والفيروز والجمشت واللازورد والمغر وغيرها ، وظلوا يستخرجون الفيروز والنحاس من سيناء ووادي العربة قروناً طويلة ، حتى بلغوا الشأو عندما نقرأ في بعض أوراق البردي عن لسان الفرعون رمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٧ ق.م) ما معناه :

(لقد أرسلت الضباط والرؤساء إلى بلاد أمي العزيزة هاتور (حت ـ حور) سيدة الفيروز وأحضروا لي أعاجيب من ذلك الحجر الأزرق في حقائب عديدة ، لن يحظى بمثلها ملك بعدي !!) .

وبلغ أمر التعدين في سيناء أهميته القصوى في الدولة المصرية القديمة مما حدا بها إلى إنشاء معبد (وثني) خاص بالتعدين في منطقة سرابيط الخادم تقام فيه الطقوس لوثنين أولهما (هاتور) آلهة التعدين وثانيهما (صو- بدو) آله الصحراء الذي كان يقدسه بدو سيناء الوثنيون وكان الفرعون الملك ، لا يتوج ولا يمسك بصولجان الملك في مصر ، على سعتها ، إلا بعد ان يحج الى ذلك المعبد ، ويقدم الهدايا وينحر القرابين تحت أقدام (حتحور) و ٠ (صو بدو) .. وما كان أحدهم قط ليخرج إلى الحرب ، مطمئناً إلى نصر عسكري إلا بعد أن يرسل هداياه إلى معبد سرابيط الخادم ، إلى الشرق من قرية (آبي زنيمة) الواقعة قرب منتصف الساحل الشرقي لخليج السويس .. فإذا عاد من الحرب ذهب بنفسه ليشكر كلا من (صو بدو) و (حتحور) على نعمة النصر !!! .

ودار الزمان دوراته بخيره وشره ، وعسره ويسره ، وأصبحت قمم سيناء الجنوبية ووديانها ، ملجأ ومهرباً من كل جبار عنيد وخاصة على عهد الرومان الذين كانوا يسومون المصريين سوء العذاب قبل أن ينقذ الله مصر وأهلها بالفتح الاسلامي .

وكانت الامبراطورة القديسة هيلانة (سانت هيلين) ٢٤٨ ـ ٣٢٨ م قد انفصلت بالطلاق لأسباب سياسية عن الامبراطور البيزنطي قسطنطينوس ، الذي تزوج بدلا عنها تيودورا الفاتنة ربيبة الامبراطور الروماني مكسيميان .

وعندما أصبح قسطنطين الأكبر ابن هيلانة امبراطوراً سنة ٣٠٦م تلقبت هيلانة بلقب الامبراطورة الأم واعتنقت المسيحية ، ثم حدث لهيلانة ما لم يكن في الحسبان إذ ادعت (فارستا) زوجة ابنها الثانية ، أن (كرسيوس قيصر) حفيد هيلانة ، قد راودها عن نفسها فلم يكن هناك مفر من اعدامه شنقاً على رؤوس الأشهاد سنة ٣٢٦م ، لم تطق هيلانة صبراً على ما جرى لحفيدها فدبرت لتيودورا مكيدة وقادتها إلى حبل المشنقة ظناً منها أن ذلك سوف يشفي غليلها .

ولكن هيلانة الامبراطورة الأم أصيبت بعد تلك الأحداث بحزن عميق ، أدى بها إلى التصوف ، فاصبحت من المجاذيب ونصح لها الناصحون بالتوجه إلى الأرض المقدسة ، فلسطين ، للسلوي والنسيان ، بالبحث عن آثار التوراة والانجيل . ولاقاها هنالك من الأحبار والرهبان من قرأ عليها خبراً من كتابات المؤرخ ديودور الصقلي (١٠ق.م) نقله عن ارتميدوروس (سنة ١١٠ ق.م) وعن اغاثارشيدس (سنة ١٦٠ ق.م) يفيد بأن هنالك نقوشاً وكتابات على الصخور قرب (الطور) غير معروفة الأصل .

فظنت الامبراطورة تحت تاثير الانجذاب الذي يغمرها ، أن تلك النقوش المجهولة لابد وأن تكون نقوش اصحاب موسى ، عليه السلام اثناء التيه ، فشدت الرحال إلى ربوع وادي (المكتب) على وزن (المعظم) ... ومنذ تلك الرحلة التي قامت بها الامبراطورة المجذوبة شاعت فكرة نسبة تلك النقوش السينائية إلى تيه اصحاب موسى بن عمران عليه السلام .. وهذا ما ثبت خطأه فيما بعد ، ثم قامت الحاجة (أثيريا) الأسبانية سنة (٤٠٠م) برحلة لزيارة تلك المظان تأسياً بالامبراطورة الأم .

وبلغ الطين تمام بلته في هذا الاعتقاد الخاطيء بعد أن ألف (كوزماس) كتابه . الطبوغرافيا الانجيلية ، فيما بين سنة ٥٣٥م ، وسنة ٥٤٧م ، وكان قد قام برحلة في صحبة بعض (اليهود) إلى وادي المكتب وما حوله سنة ٥١٨م .. وكان كوزماس ذاك نصرانياً نسطورياً من أبناء مدينة الاسكندرية في مصر . وكانت حرفته التجارة ، حيث اصبح ملاحاً خبيراً بالبحر واصول علوم الجغرافيا واللاهوت ، ووصل إلى الهند ، واقام هنالك علاقات تجارية وتبشيرية ، حتى اشتهر باسم التاجر الهندي .. ثم تهافت الباحثون على مواقع تلك النقوش زرافات ووحدانا .. فكتب عنها (كيرشر) سنة ١٦٣٦م كلاماً كثيراً لا سند له من علم ، ونقل (نيتبرج) بعض رسومها ، ووصفها (بوكوك) سنة ١٧٣٨ ، ورصد القسيس الايرلندي البيشوب (كلايتون)سنة ١٧٥٣ جائزة سخية لمن يفك رموزها ، وتناولها كل من (نيبوهر) و (مونتاجو) كل على حدة سنة

١٧٦٦ ، وذكرها الجيولوجي الفرنسي (روزيير) سنة ١٧٩٩ ، وأشار إليها (كونل) سنة ١٨٠٠ إشارة عابرة لا تشفي غليلاً في مقالته (ثمانية وعشرين يوماً في سيناء) التي وردت في كتاب الحملة الفرنسية الشهيرة (وصف مصر) ..

وتلا ذلك كل من (زيتسن) سنة ١٨٠٧ ، و (بوركهاردت) سنة ١٨١٢ و (رويل) و (هينكر) سنة ١٨٢٠ ، وهي نفس السنة التي نشر فيها (جراي) مقالته عن نقوش سيناء في مجلة الجمعية الملكية البريطانية) .

وتكلم عن نقوش سيناء ، كلاماً غير مؤكد (أيضاً) (لابورد) سنة ١٨٢٨ واللورد (برود هو) والميجر (فيلكس) سنة ١٨٣٥ .

وفى سنة ١٨٣٠ افتى (دي بير) في لايبتزج بألمانيا بعد أن ميز مائة حرف كما زعم أن تلك النقوش (لهجة عربية) أو أنها ذكريات الحجاج المسيحيين إلى دير سانت كاترين ، وبعد أن تناولها (لبسيوس) سنة ١٨٤٥ بالذكر قال (توخ) سنة ١٨٤٩ براي مواطنه (دي بير) ولكنه اشار إلى أن زمان نقشها أقدم مما اعتقده (دي بير) .

ثم تكلم في أمر نقوش سيناء كل من (لافال) سنة ١٨٥٠ ، و (فوستر) سنة ١٨٥١ و (فريزر) سنة ١٨٥٥ و (بالمر) (الذي لقب بالشيخ عبدالله) سنة ١٨٦٦ ، وعندما درسها (دي روجيه) سنة ١٨٧٤ قال إن مصر من خلال نقوش سيناء هي مصدر الحروف الاغريقية ، فكان ذلك طرف خيط الحقيقة .

ونقل (بنديت فيجارين) سنة ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، حوالي ألفي حرف من تلك النقوش ونشر رأيه عنها في باريس سنة ١٩٠٢ وأفتى أنها من عمل الأقباط في القرنين الثاني والثالث (بعد الميلاد) .. فجانبه التوفيق . وبدأ القول العلمي الفصل في أمر نقوش سيناء على يد الباحث المحقق السير (وليام فلندرز بيتري) سنة ١٩٠٦ في كتابه (ابحاث في سيناء) حيث أثبت أن هذه النقوش لا علاقة لها بالتيه ولا بخرافات بني اسرائيل وأنها ترجع إلى حوالي ١٥٠٠ ق.م.

ومنذ أن تكلم العلامة (بيتري) عن النقوش السينائية ، دخل أمرها في حقبة جديدة بين العلماء.

فقال (آلان جاردنر) سنة ١٩١٦ بأن حروف سيناء هي أصل الحروف الكنعانية (الفينيقية) وذلك في مقاله الشهير الذي نشره في (صحيفة الاركيولوجيا المصرية) بالعدد الثالث ، وجانب التوفيق الباحث (هانزياور) سنة ١٩١٨ حين أراد أن يرجع تلك الحروف السينائية إلى اصل (سامي) ولا ننسى أن (جاردنر) كان قد وفق في قراءة ونطق كلمات الحروف السينائية حين لاحظ بدقة اسم (حث . حور) التي كان لها اسم آخر هو (بعلات) أو (بعلت) . فكان له من هذا اللفظ مفتاح الأمر في اعتقاده على أن حروف سيناء كانت المرحلة التي عبرت عليها الهيروغليفية لتكون الأبجدية السامية فالعالمية كلها .

ولقد تحاور العلماء كثيراً ، ولا يزالون ولكن الناس الذين كانوا يعملون في الصحراء المصرية في سيناء والذين تنسب إليهم الحروف السينائية ، فمنهم من يجنح إلى نسبتها إلى بلاد (ساعير) كما زعم (سبرنج) سنة ١٩٣١ ، كان المصريون يستخدمونها في التعدين ويبدو حتى الآن ، أن (أولبرايت) كان سنة ١٩٦٩ أكثر العلماء صواباً في أمر نقوش سيناء .

ولقد ناقش الدكتور رمزي البعلبكي سنة ١٩٨١ في كتابه الجامع الذي عنوانه (الكتابة العربية والسامية) جوانب هامة من الموضوع بطريقة يشكر عليها حقاً .

والأمل معقود أن يتصدى بعض الباحثين لاصدار دراسة شاملة لا تترك شاردة ولا واردة عن (أبجدية سيناء) باللغة العربية ، بحيث تحتوي تلك الدراسة على صور كل تلك المنقوشة في (وادى المكتب) و (معبد سرابيط الخادم) وما بينهما وما حولهما .. وعلى خرائط تفصيلية لتلك المواقع .. ولا جدال في أن مثل هذه الدراسة سوف تكون

عملاً علمياً نفخر به ونعتز لأن كل الدراسات التي تعمدنا الإفاضة في ذكرها لا تنسب إلينا .

فهل آن الأوان لكي تنسب إلى باحثين (عرب) أكمل دراسة عن تلك النقوش التي ما زالت تحير العلماء والباحثين ؟

لعمري إن تعاونا علمياً عربياً في مجال نقوش سيناء وعلاقتها باصل الأبجديات لهو دليل على قدرتنا على التعاون العلمي فى كل مجال وأن سيناء هى حلقة الوصل الخالدة بين مشرق الوطن العربي ومغربه منذ قرون لا حصر لها ..

في مسألة طابة = طابا

لا أظن أن فيما جرت به الأحداث وتناقلته الأخبار شيئا أكثر دلالة على الوقاحة والصلف ومغالطة التاريخ من مسألة طابة التي تعودت الصحافة العربية أن تكتبها طابا فهي بقعة من الأرض العربية المصرية منذ قرون كثيرا خلت ولكنهم... لم يجلوا عنها طواعية واختيارا إلا بعد التحكيم فهم لا يؤمنون بغير القوة.

جاء في بردية (هاريس)على لسان السلطان رمسيس الثالث(١١٩٨-١١٦٧ق م) ما معناه: ((لقد أرسلت بعثاتي التعدينية إلى أرض (أتيقا) بالقوارب والسفن بحرا وعلى ظهور الحمير والآتن برا فوجدوا المناجم زاخرة مفعمة بالنحاس واودعوا ما حصلوه في المخازن آلافا من السبائك في لون الذهب الإبريز فلما بهرني منظرها أمرت بعرضها على أبناء شعبي لكي يفرحوا كما فرحت.وكذلك أرسلت بعثات إلى أرض(المفكات) بلاد أمي العزيزة (حت-حور) سيدة الفيروز فأحضروا لي عجائب من الحجر الكريم وعرضوها أمامي فسعدت وسررت ولا أتصور أنه سوف يحظى بمثل ذلك أي ملك بعدي أبدا...))

وظل علماء التاريخ في حيرة يتساءلون عن أرض أتيقا تلك حتى سنة ١٩٧٢م حيث اكتشف الباحثون المنقبون في منطقة مناجم نحاس (تمناع) التي تقع على بعد أكثر من ثلاثين كيلو مترا إلى الشمال الشرقي من طابة في صحراء النقب المحتلة معبدا مصريا قديما يرجع تاريخه إلى الأسرتين التاسعة عشر والعشرين واستطاعوا أن يحلوا رموز نقوش تذكر الملك سيتي الأول(١٣١٨-١٣٠٤ ق م) ورمسيس الثاني (١٣٠٤-١٢٣٧ ق م) ومرنبتاح (١٢٣٧-١٢٢٣ ق م) وسيتي الثاني (١٢١٦-١٢١٠ ق م) ورمسيس الثالث (١١٩٨-١١٦٦ ق م) ورمسيس الخامس (١١٦٦-١١٥٦ ق م) ومن أهم تلك النقوش ذاك الذي يمثل رمسيس الثالث واقفا قبالة (حتحور) يقدم لها الهدايا باعتبارها ربة التعدين في مصر القديمة وكان أول معبد لها قد اكتشف في منطقة سرابيط الخادم

إلى الشرق من ميناء أبي زنيمة على الساحل الشرقي لخليج القلزم أو السويس...

ثم عرفت من عالم آثار الأمريكي لقيته يوما في واشنجتن أن الحفائر العلمية في وادي غزة بعد نكبة سنة ١٩٦٧ أكدت له بالدليل العلمي القاطع أن آخر نقطة إدارية للحدود بين مصر والشام ظلت زهاء أربعين قرنا من التاريخ القديم في منطقة (تل الفارعة) قرب مدينة غزة أي أن خط الحدود بين مصر وبلاد الشام كان حقيقة جغرافية معلومة عبر القرون إلى الشرق من الخط الذي اتفقت عليه بريطانيا (العظمى) والباب العالي في الأستانة سنة ١٩٠٦ م بين طابة جنوبا ورفح شمالا بعد أن كانت بريطانيا بحكم احتلالها لمصر منذ سنة ١٨٨٢ قد تنازلت- باسم مصر- عن ميناء العقبة إلى الدولة العلية سنة ١٨٩٢.

ولقد كانت سنة ١٩٠٦ حافلة بالأحداث ففيها وقعت حادثة (دنشواي) المشهور وانعقد أخطر مؤتمر للمبشرين في الشرق العربي ونشر السير وليم فلندرز بيتري كتابه الشهير (أبحاث في سيناء) وقال فيه بأن معبد سرابيط الخادم في سيناء كان منبع أول الحروف الأبجدية التي طورها المهندسون والجيولوجيون المصريون وزملاؤهم من أهل مدين وآدوم عن الهيروغليفية والمسمارية ليسهل عليهم كتابة التقارير المنجمية والتعدينية وفيها وقع حريق سان فرانسيسكو المشهور وكانت حادثة طابة...

وطابة في لغتنا الجميلة اسم من اسماء الخمر ولا أدري لماذا أطلق على ذلك الوادي الذي يفيض بعد المطر من أعالي سيناء الشرقية إلى قرب رأس خليج العقبة ولم أجد لتلك الكلمة ذكرا في معجم البلدان لياقوت إلا قوله ((وطابة موضع في أرض طئ)) وقال زيد الخليل :

سقي الله ما بين القفيل وطـابةٍ　　　فما دون إرمام فما فوق منشد

ولا أحسبه يعني طابة تلك التي نحن بصددها فطابة التي نحن بصددها جزء من ساحل سيناء على خليج العقبة عند مصب وادٍ يحمل إسمها وتسمى به كذلك بئر

احتفرها هنالك (الميرالاي) سعد بك رفعت سنة ١٨٩٢ عندما أمروه بإخلاء العقبة وقد كان آنذاك (قومونداناً) لسيناء بأسرها .

وإلى الجنوب قليلا من بئر طابة وغير بعيد عن الساحل توجد جزيرة فرعون التي احتلها (رينو دي شاتيلون) وبنى بها قلعة سماها (حصن جرايا) وصنع في يافا سفينتين نقلهما على ظهلر الإبل إلى هنالك ليستخدمهما في مهاجمة مكة المكرمة والمدينة المنورة وغرقت إحداهما واستولى على الأخرى بطل الإسلام صلاح الدين بعد أن استولى على الجزيرة ذاتها ونقل إليها سفنا على ظهور الإبل أيضا ليحمي الملاحة الإسلامية في البحر الأحمر قبل معركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧ م)

وترجع قصة اختيار بئر طابة كآخر نقطة على خط الحدود بين مصر والشام والحجاز إلى إرهاصات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) فقد أخذت الدول الكبرى في أوائل القرن العشرين في تخطيط استراتيجيتها العالمية وكان هم بريطانيا (العظمى) حماية قناة السويس شريان الامبراطورية وتقليص انتماء مصر العربي فاتبعت سيناء لقلم الاستخبارات التابع لجيش الاحتلال وعينت المستر براملي سنة ١٩٠٥ مفتشا لشبه جزيرة سيناء وكان هم المستر براملي الأكبر جمع المعلومات عما يصنعه الأتراك من استعدادات عسكرية في ميناء العقبة بعد أن تنازلت عنها بريطانيا باسم مصر للدولة العثمانية سنة ١٨٩٢ كما أسلفنا .

فقد نزل المستر براملي بعساكره في يناير سنة ١٩٠٦ إلى نقطة (المرشش) التي أنشئت مكانها ميناء إيلات الحالية إلى الغرب من العقبة منذ أن اجتاح اليهود جنوب فلسطين كله

وسموه (نيجف) أي النقب في (١٩٤٩/٣/١٠) فأثار نزول المستر براملي قائد الحامية التركية في العقبة اللواء رشدي باشا الذي طلب إليه أن يرحل على الفورإلى

(سيناء) لأنه يعتبر العقبة مسيطرة على المرشش .وانسحب المستر براملي وكان لانسحابه أثره في ظهور اسم طابة في التاريخ الحديث.

انتدبت حكومة الاحتلال في مصر الميرالاي سعد بك رفعت للذهاب إلى طابا بحرا فوجد الأتراك قد احتلوها فلم يستطع النزول إلى البر بعسكره وعاد هو والمستر براملي الذي كان قد حضر برا من (نخل) بطريق وادي طويبة فثارت ثائرة الإنجليز في مصر..

فأرسلوا الطراد (ديانا) في ١٩٠٦/٢/١٧ بقيادة القبطان (فبس هورنببي) الذي ألقى مراسيه عند جزيرة فرعون وانتدب (نعوم بك شقير) صاحب كتاب (تاريخ سيناء) للتفاوض مع رشدي باشا الذي استقبل هورنبي ضيفا عليه في العقبة ورد له الزيارة في الطراد وبدأت المفاوضات بشأن تعيين خط الحدود معترف به بين بريطانيا المتكلمة باسم مصر وبين الدولة العلية وظل الأمر في أخذ ورد حتى حدثت قصة مماثلة في رفح بأن غير الأتراك موضع عمودي الحدود فأرسل الإنجليز طرادا آخر بقيادة القبطان (ويموث) ليقف قبالة رفح ويرسل الإنذار المؤرخ ١٩٠٦/٤/٣٠ إلى قائد حامية رفح التركي يقول فيه ((حضر قومندان العساكر الشاهانية برفح)) نعلم حضرتكم أننا انتظرنا خمس ساعات في بيت التلغراف تجاه معسكركم لأجل مقابلتكم ولا حضر منكم جواب فعدنا إلى الوابور وقد لاحظنا أن عمودي الحدود اللذين كانا قائمين على جانبي السدرة التي عسكرتم بقربها قد رفعا من مكانهما ولاحظنا أيضا أن أعمدة التلغراف المصري من خط الحدود إلى طريق بئر رفيح قد بدلت بأعمدة أخرى فالبنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجا شديدا ونطلب أن تعيدو عمودي الحدود وأعمدة التلغراف إلى أماكنها وتحافظوا على الحدود المقررة وسنرسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والإنجليز في مصر

وإذا أحببتم مخاطبتنا فالطراد لايسافر من ميناء رفح قبل صباح الغد الثلاثاء الساعة ٩ إفرنجية))

أ د. ويموث قموندان الطراد منرفا	نعوم شقير
(معتمد الحكومة البريطانية)	(معتمد الحكومة المصرية)

يقول نعوم شقير في كتابه (تاريخ سيناء سنة ١٩١٦) : ((فسلم السلطان بمطالب انكلترا في آخر ساعة وأمر فخرجت العساكر من طابة وعاد عساكر رفح الى حدهم وكانوا قد كسروا عمودي الحدود فصدر الأمر إلى قائمقام بئر السبع (في فلسطين المحتلة وقائمقام غزة بمقابلة بالمر فحضرا إلى رفح ونبشا عمودين من خرائب رفح عمودا من الغرانيت الأسود طوله ٦ أقدام وآخر من الغرانيت الرمادي طوله ٤ أمتار ونصباهما تحت السدرة بقرب مكان العمودين الأولين وفي ١٩٠٦/٥/١٤ بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الرسالة التالية إلى السير (نيقولاس أوكونور) سفير بريطانيا العظمى بالأستانة يقول فيها ((جناب السفير تشرفت بالمذكرة التي تكرمتم بإرسالها لي في ١٢ الجاري بشأن احتلال طابا فاسمحوا لي أن أخبركم أنه لم يخطر قط ببال الحكومة الشاهانية الخروج عن مضمون التلغراف المرسل من المرحوم جواد باشا إلى سمو الخديوي في ٨ أفريل سنة١٨٩٢ ومع ذلك فإن الرسالة التي تشرفت بإرسالها

إليكم في ١١ الجاري كانت واضحة كل الوضوح فإن(إخلاء طابا) قد تقرر وصدرت الأوامر بذلك وقد قر الرأي على أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين ينتدبون من قبل سمو الخديوي يمرون معا على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضمان الحال الحاضرة وبقاء القديم على قدمه في شبه جزيرة سيناء على القاعدة التي وضعها جواد باشا في تلغرافه السالف الذر وأن يرسمواخطا

للحدود يبتدئ من رفح بقرب العريش ويتجه جنوبا بشرق على خط مستقيم تقريبا إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة وبذلك تكون الرغائب التي أبديتموها سعادتكم في رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماما هذا وإنا نسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهانا جديدا على رغبتنا الشديدة في دوام حفظ العلائق بيننا على دعائم المودة التامة وان في إبداء حكومة جلالته تمام ارتياحها لذلك دليل على القيمة التي تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين أفندم الإمضاء توفيق)) وهنا أصدر خديوي مصر عباس حلمي أمرا بتفويض سعادتلو إبراهيم باشا فتحي (من أرباب المعاشات) وعزلتو الاميرالاي أوين باشا الانكليزي على رأس لجنة تضم مهندسي المساحة المستر كيلن والمستر ويد والكاتب المستر أفنسن والطبيب الإنكليزي القائمقام براكنرج بك والمترجم يوسف بك سامح وتحركت هذه اللجنة من مصر يوم الخميس ١٩٠٦/٥/٢٤ قاصدة العقبة بطريق البحر ووصل الجميع إلى جزيرة فرعون مساء السبت ١٩٠٦/٥/٢٦ وفي صباح اليوم التالي التقت اللجنة بمندوبي تركيا في العقبة اللواء رشدي باشا وياوره محمد أسعد بك صاغ أركان حرب عربي من أهل بيروت والأميرالاي أركان حرب أحمد بك مظفر والبكباش أركان حرب محمد بك فهمي الكردي الأصل وبدأت أعمال المساحة اعتبارا من (أنف الجبل الذي على شاطئ الخليج ويطل على وادي طابا من الشرق) ثم يتمشى على رؤوس تلال النقب التي تطل على العقبة إلى المفرق قالوا لأن هذا الحد وحده يضمن سلامة العقبة من الوجهة الحربية وحاول الأتراك إنتزاع جزء من سيناء ولم يوافق فتحي باشا واستعان بالبدو من سكان المنطقة واستغرقت المناقشات من ٨ إلى ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٦ ورجع كل فريق إلى حكومته حتى تم ماسمي تاريخيا باسم (اتفاق الحدود) في١٩٠٦/٩/١٢ وفيه:

١- أن الحكومة العثمانية أقرت على أن النقب من (رأس طابا) الشرقي إلى نقطة قرب المفرق يكون للعقبةواما المرفق نفسه وآبار مايين وعين قديس وعين القديرات وعين القصيمة تكون لشبه جزيرة سيناء

٢ - أن تقام أعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليه بحضور مندوبي الفريقين

٣- أن القبائل القاطنة على جانبي الخط يكون لها حق الإنتفاع بالمياه كجاري العادة وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل .

٤- أن يبقى الأهالي والعربان على ما كانوا عليه قبلا من حيث ملكية الأراضي والمياه كما هو متعارف بينهم ووقع الفريقان في صباح ١٩٠٦/١٠/١ على الاتفاق والخريطة المكتوبتين أصلا باللغة التركية ومعهما ترجمة بالعربية وأخرى بالأنكليزية وقد جاء في شرح الاتفاقية التي تبودلت رسميا في رفح في ١٢ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ - الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٠٦ أنها قد وقعت لتعيين خط فاصل إداري بين ولاية الحجاز ومتصرفيه القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء.

وفيها يقول شرح المادة الأولى (إن هذا الخط يبدأ كما هو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الإتفاقية من نقطة (رأس طابا)الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد إلى قمة جبل (فورت) مارا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على (وادي طابا)

وقد بدأت اللجنة في غرس الأعمدة وعددها (واحد وتسعون) عمودا وكان أولها قد غرس في ميناء رفح بعد ظهر يوم الخميس ١٩٠٦/١٠/٤ وآخرها على رأس طابا يوم الأربعاء ١٩٠٦/١٠/١٧ بعد غروب الشمس وفي ١٩٠٦/١٢/٤ تحرك إلى طابا سبعة وثلاثون جنديا مصريا بقيادة (اليوزباشي إسماعيل أفندي المفتي ومعه الملازم غالي أفندي زكي والملازم الثاني علي أفندي حلمي من الأورطة الرابعة مشاه وخمسة عساكر بنائين من قسم الأشغال وعسكري تومرجي من القسم الطبي وكان وصولهم في

١٩٠٦/١٢/٧ والتـقـوا مع مندوبي تركـيـا في١٩٠٦/١٢/٣٠واتفـقـوا على شكل البناء المطلوب بدل الأعمدة بمشورة القئمقام (الفريد باركر) الذي عين (مديرا) لسيناء والتقى مع اللجنة في طابا قادما من نخل بطريق البر وكان أول عمود بنوه على رأس طابا يوم السبت ١٩٠٦/١٢/٣١ وأعطوه رقم (٩١) وكان آخر عمود بنوه على تل رفح عند الميناء في ١٩٠٧/٢/٩ ورقموه بالرقم (١)

وقد بلغت أجور الجمال التي كانت تنقل المياه ومواد البناء لهذه العمد (٧١٧ر٠٤٠) وكان جملة ماأنفقته مصر على تحديد التخوم نحو عشرين ألف جنيه في زمن كان الجنيه المصري يزيد في قيمته عن الجنيه (الاسترليني) بثلاثة قروش!!!

وهنا لنا سؤال :

لماذا أقترح الأتراك أن تكون نقطة الحد المصري بعيدة عن العقبة بما لا يقل عن ثلاثة أميال ولماذا قبل البريطانيون ذلك دون امتعاض أو معارضة هل يكون لمؤسسة (الدراسات الفلسطينية التي تكونت في بريطانيا سنة ١٨٦٤ وأكملت بدعوى الأبحاث اللاهوتية خريطة لفلسطين سنة ١٨٨١أم للمؤسسة الألمانية المشابهة والتي أنشئت في ألمانيا سنة ١٨٧٨ تحت اسم (الدراسات الألمانية الفلسطينية) دخل ما بحيث يظل هنالك فراغ بين العقبة وطابا يصلح مستقبلا لإنشاء ميناء لدولة اليهود على شاطئ خليج العقبة ؟

لا أظن أن ذلك غير ممكن فهم يخططون في هدوء وتؤدة وبحث علمي منظم ونحن لازلنا نتاجر في بضاعة الشجب والاحتجاج والتنديد والاستنكار وهي بضاعة لا تصنع التاريخ ولا تغير خريطة العالم فاعتبروا يا أولي الألباب .

سطور عن تاريخ المتاحف

كلمة متحـف :

المتحف أصلاً ، مكان لعرض ودراسة التحف ، وهي الطرف والغرائب النادرة سواء من المخلوقات أم من صنعة الإنسان ، ولاندري على وجه التحديد متى استعملت هذه الكلمة بمعناها اليوم في اللغة العربية، وأغلب الظن أنها جاءت مع أوائل القرن العشرين ترجمة لكلمة "ميوزيوم" museum " الإغريقية الأصل والشائعة في مختلف لغات الأرض، ولا ننسى الإشارة إلى الخلاف العربي المعتاد حتى في نطق كلمة متحف، فمنا من يضم الميم ومنا من يفتحها٠٠٠٠٠ ولله في خلقه شئون٠٠٠٠٠

أول ميوزيـــــوم :

الراجح في التاريخ أن أول مكان سمي بهذا الاسم هو متحف الإسكندرية الذي أنشأه واحد من ملوك البطالمة (٣٢٣ - ٢٨٥ق). Ptolmy Soter في القرن الرابع قبل الميلاد ، وجاء الاسم من "الميوزات" Muses" وهي العذارى التسع الملهمات بنات "زيوس" أحد آلهة الإغريق الوثنيين، وكانت تماثيلهن تزين ردهات هذا المتحف الذي كان محط رحال طلاب العلم والمعرفة ، وكانت تتبعه مكتبة ذاع صيتها في كل أرجاء الدنيا ، وكان من أعلامها بطليموس الإسكندري الجغرافي الشهير (حوالي ١٥٠م٠)

وكذلك أراتوستثين Eratosthene أول من قاس محيط الأرض بطريقة علمية (٢٧٦ - ١٩٦ ق٠م) ٠

وغطى النسيان كلمة "ميوزيوم" لقرون عديدة حتى عادت إلى الظهور بين القرن السادس عشر والقرن السابع عشر في إيطاليا وانتشرت منها في ربوع أوروبا٠

ما أقدم المتاحف :

نعتقد أن فكرة المتاحف نشأت مع غريزة حب الاقتناء لدى الإنسان ، فقد عثر الباحثون في بعض الكهوف التي كانت مساكن الآدميين في العصر الحجري القديم "الباليوليتى"على مقتنيات لأحد الناس من ضمنها مجموعة مختارة بعناية من بلورات المرو الجميلة الأشكال والألوان ، كما أكتشف علماء الآثار في إحدى مقابر ما قبل الأسرات بمنطقة المعادي جنوبي القاهرة مجموعات من أسنان سمك القرش المستحجرة وكذلك مجموعات من حفريات القنافذ البحرية في مقبرة يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث "النيوليتى"، أي أن المادة الجيولوجية من قشرة الأرض كانت أول شئ أستهوى الإنسان لجمعه واقتنائه، فيمكن القول بأن التأريخ للمتاحف هو تاريخ للمتاحف الجيولوجية أولاً.

فيما قبل الميلاد :

أسفرت أبحاث العالم الأثري "وولي Woolley " التي أجراها في منطقة " أور" بجنوب العراق سنة ١٩٤٢م ، عن وجود ما يمكن وصفه بأنه كان متحفاً جيولوجياً ملحقاً بأحد الأديرة ، يرجع تاريخه إلى ملوك " الكاشيين " Kassites " الذين غزوا مملكة بابل وحكموها فيما بين القرنين السادس عشر والثاني عشر قبل الميلاد ٠

وفي إلياذة " هوميروس " الشاعر الإغريقي الأعمى ما يشير إلى أنه كانت على زمنه مرافق كالمتاحف في أثينا وإسبرطة وبعض جزر الأرخبيل اليوناني التركي .

ويشير "سوثونيوس" إلى مجموعات من التحف والغرائب كانت في قصر الإمبراطور الروماني أوغسطس قيصر (القرن الأول قبل الميلاد). ومن المؤكد أنه كان لدى العالم الإغريقي "زيوفانس" متحف للحفريات خاص به وبأصدقائه ، فاستطاع أن يبني نظرياته في إستحجار الحفريات (٥٧٠ - ٤٨٠ ق.م.) ومن أجل ذلك طرد من اليونان فلجأ إلى صقلية بقية حياته .

وعندما أراد الإسكندر الأكبر أن يكرم أستاذه الفيلسوف الشهير(أرسطو) أهدى إليه من خيرات الأقطار التي افتتحها مجموعات من التحف والمعادن والبلورات والحفريات وقدم له من المال ما أعانه على إنشاء متحف علمي (في القرن الرابع قبل الميلاد) ٠

والذي لا شك فيه أن قدماء المصريين ، الذين نقل عنهم الإغريق فالرومان الحضارة والعلم، كانت لديهم متاحف بصورة ما ٠

وما تلك المعابد التي غالبت الزمان إلا متاحف لروائع الفن في المعمار والنحت ولربما كانت بها منقولات من التحف بددتها أيدي النهب والسلب خلال القرون ٠

وكان العرب في جاهليتهم يتخذون من الكعبة المشرفة متحفاً يضعون فيه أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدون ، وكان من أشهر تلك الأصنام " هُبَل " الذي اشتراه (عمرو بن قمعه) جد قبيلة خزاعة من أحد النحاتين بجهة البلقاء في الشام ، وكان " هُبَل " منحوتاً من العقيق الأحمر على صورة إنسان ، ولما انكسرت يده اليمنى لكثرة التمسح به صنعت له قريش يداً من الذهب الخالص .

وبعد الميـــــلاد :

أخذ الملوك يتبارون في إنشاء دور العبادة وتزيينها بالقطع الفنية الرائعة حتى أصبحت متاحف عامة بلا عناوين ، ولكن اهتمام الناس باقتناء المجموعات الخاصة من التحف والغرائب فاق كل حد ، وأصبحت في قصور الأمراء والملوك والنبلاء والموسرين صالات وردهات غاصة بكل نفيس وغال ، وكان الشعب في أغلب الأحوال لا يعلم بهذه الكنوز ، وكانت هذه المتاحف الخاصة وخزائن النفائس تسمى واحدتها " ذخيرة " ٠

ونسوق على سبيل المثال للذخائر ما ذكره المؤرخ " ابن إياس المصري " عن سنة (٩٩٥م - ٣٨٩هـ) في سيرة القائد جوهر الصقلي عن بعض ما وجد في قصره من تحف :-

١) أربعة صناديق ملؤها من اللؤلؤ الكبير الحجم وفصوص الياقوت ٠

٢) ألف قصبة (بلورة سداسية) من الزمرد ٠

٣) خمسة وسبعين ألف قطعة من الديباج (الحرير الطبيعي) وحرير تنيس (قماش رقيق ثمين اشتهرت به تنيس بلدة كانت قرب بورسعيد الحالية) ٠

٤) دواة للحبر من الذهب الخالص طولها ذراع (حوالي ٥٥ سم) مرصعة بالدر والياقوت قدر ثمنها آنذاك باثني عشر ألف دينار ٠

٥) لعبة (تمثال نصفي) من المسك والعنبر الخام إذا نزع ثيابه ألبسها عليها ٠

٦) مائة مسمار (شماعة) من الذهب معلق على كل مسمار منها عمامة لونها مختلف عن غيرها٠

٧) ثلاثة آلاف ملعقة من الذهب والفضة ٠

٨) عشرة آلاف زبدية من الصيني والبلور والفضة ٠

٩) أربعة قدور من الذهب وزن كل قدر مائة رطل ٠

١٠) سبعمائة (٧٠٠) خاتم بفصوص من الياقوت والزمرد والماس ٠

١١) ثلاثة آلاف نرجسية " وعاء زهور" من الذهب والفضة والبلور والصيني ٠

كل هذا كان جزءاً من المتحف الخاص (الذخيرة) في قصر القائد جوهر الصقلي وكان هذا المتحف بالطبع غير معروف إلا لخاصة الخاصة من أصدقائه وأتباعه ٠

ويضيف ابن إياس نقلاً عن" المسبحي المؤرخ ":

(وكانت للمعز أخت تسمى السيدة (ست الملك) قيل أنها توفيت في خلافة أخيها المعز (القرن العاشر الميلادي) فوجد لها من الذهب العين (يعني الخالص) ثلاثمائة صندوق ، ومن الفصوص الياقوت الملونة واللؤلؤ خمس ويبات ووجد لها مدهنا (يعني

وعاء للدهان) من الياقوت الأحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالاً (حوالي ١٥٤ جرام) لم يحص ثمنا له ، ووجد لها من الشقق الحرير الأحمر ثلاثين ألف شقة ٠

ويذكر لنا الخطيب البغدادي المؤرخ (١٠٣٧م) صورة حية عن متحف النفائس في قصر الخليفة المقتدر العباسي (٢٩٥هـ - ٩٠٨ م) في بغداد حين وفد عليه بعض السفراء الأجانب فكان جانب من إكرامه لهم زيارة متحفه الخاص فيقول "(وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس ، وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة على دُرُجٍ غطيت بالديباج الأسود ثم دخلوا دار الشجرة فكان التعجب منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم عليها أطيار مصنوعة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب (السفراء) من ذلك أكثر من تعجبهم من جميع ما شاهدوه ، وكان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة والطرز المذهبة المصورة ، بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والستور الصنعانية والأرمينية والواسطية والمنقوشة والديبقية ثمانية وثلاثين ألف ستر٠")

وكانت القارة السوداء (أفريقيا) لا تقل بعض ممالكها عظمة عن غيرها من حيث تذوق ملوكها لموضوع التحف والنفائس ، فيقول الإدريسى (القرن الثاني عشر الميلادي) في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" عند ذكره لمدينة غانة يصف قصر الملك الذي كان أشبه بمتحف فخم :" وله قصر على ضفة النيل (يقصد نهر غانة) قد أوثق بناؤه وأحكم إتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات من الزجاج وكان بنيان هذا القصر في عام عشرة وخمس مائة من سني الهجرة ، وله في قصره لبنة (أي طوبة) من ذهب وزنها ثلاثون رطلاً تبرةً واحدةً خلقها الله خلقة تامة من غير أن تسبك في نار ولا تطرق بآلة وقد نفّذ فيها ثقباً وهي مربطة لفرس الملك وهي من الأشياء المغربة (التحف) التي ليست عند غيره ولا صحت لأحد غيره وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان ٠

ودعا اهتمام الملوك والأمراء باقتناء التحف والجواهر في قصورهم إلى اهتمام العلماء بالتأليف في خواص الأحجار الكريمة على وجه الخصوص فنجد على سبيل المثال كتاباً رائعا يصف فيه أبو العباس التيفاشي (١٢٥٣م) خمسة وعشرين نوعاً من الجواهر التي توجد في (خزائن الملوك وذخائر الرؤساء) بلغ من دقته وروعة علمه أن ترجم إلى معظم لغات أوروبا وطبع في مطابعها عدة مرات باللغة العربية ٠

ولعل أقدم ذكر لفهارس (كتالوجات) مجموعات الذخائر والتحف في القصور ما جاء في كتاب " أنباء الغمر بأنباء العمر" الذي ألفه الحافظ بن حجر العسقلاني (١٣٧١ ـ ١٤٤٩م) وهو يؤرخ لسنة ١٣٨٩م (٧٨١هـ) فيقول ما نصه :

(وفي شهر صفر قبض على "مثقال الجمالي" وسئل عن ذخائر الأشرف (الملك الأشرف) بعد أن عرض على العقوبة ، فدل على ذخيرة وجدوا فيها ثلاثين ألف دينار ثم هُددٌ فأقر بأخرى فيها نصف الأولى ، وفي نفس المدة أحضر مثقال المذكور بُرنيةَ (قدح كبير) فصوص من جملتها فص " عين هر " زنته اثنا عشر درهماً ثم ضُرِبَ وسُعُّط مرارا فلم يقر بشيء ثم وجدت ورقة بخط الأشرف فيها فهرست ذخائره فاعتبرت فتحققوا أنه ما بقى عند مثقال شئ).

أي أن دفتر التسجيل الخاص بمتحف قصر الملك الأشرف هو الذي أنقذ " مثقال" من استمرار الاتهام والتعذيب ٠

وبدأ الأوروبيون بعد أن نهلوا من منابع العلم و الحضارة في الأندلس وفي صقلية وجنوب إيطاليا يهتمون باقتناء التحف والنفائس وينشئون المجموعات الخاصة ٠

ومن أقدم ما ورد إلينا نبأه مجموعة الأمير "كوسيمو الأكبر"(١٣٨٩ ـ ١٤٦٤م) في قصر "ميدوشي" بمدينة فلورنسا بإيطاليا ، ومجموعة التحف الكبرى التي اقتناها " فيديريجو" الدوق الإيطالي(١٤٨٢م) ومعظم هذه المجموعة توجد الآن في متحف متروبوليتان الشهير في أمريكا .

وفي سنة ١٥٠٠م كان بابا روما "سيكستوس الخامس" يقتني مجموعة هائلة من المعادن والحفريات قام بوصفها "ميشيل مركاتي" سنة ١٥٧٤م في كتالوج معنون باسم "ميتاليكا فاتيكانا" (Metallica Vaticana) ٠

وفي سنة ١٥١٠م أشتهر الكاردينال "البرت" البرند نبرجي، عدو مارتن لوثر العنيد باقتنائه مجموعه نفيسة من التحف أودعها إحدى ردهات كنيسة " هاللي" بألمانيا على صورة متحف خاص .

وفي سنة ١٥٢٩م كان للأرشيدوق فرديناند حاكم إقليم التيرول بالنمسا متحف هائل فيه النوادر من المصنوعات الذهبية والجواهر ومجموعة من الخامات المعدنية النمساوية.

وفي سنة ١٥٥٢م كان للملك رودلف الثاني ملك (تشيكوسلوفاكيا) متحف ذائع الصيت في مدينة براغ.

وفي القرن السادس عشر :

تعددت الجمعيات والمؤسسات العلمية ، وتنافست مع قصور الملوك والأمراء في اقتناء المجموعات المتحفية دون ما تمييز أو تصنيف ، مما حدا بالدكتور" صموئيل فان كويشبرج" الطبيب البلجيكي في بلاط الملك "ألبرت الخامس" في الصعيد الألماني "بافاريا" إلى أن ينشر مقالته الشهيرة التي طالب فيها بضرورة تنظيم المتاحف وتصنيف محتوياتها على أساس سليم سنة ١٥٦٥م ٠

وفي سنة ١٦٠٥م ظهر كتاب " ميوزيوم ميتاللليكوم" " Museum Metallicum " منسوبا إلى العالم الإيطالي الشهير "أوليس الدروفاندي"(١٥٢٢ - ١٦٠٣م) والحقيقة أن الذي قام بنشرة هو تلميذه الوفي "أمبروزينوس" وفيه وصف دقيق لكل أنواع الصخور والمعادن التي كانت في حوزة (الدروفاندي) بمتحفه الخاص ٠

ويقول "برومهيد" في العدد (٤١٠ في القسم الثاني من المجلد الثالث والخمسين من مجلة الجمعية الجيولوجية في لندن (Q. J .G. S سنة ١٩٤٧م ، أن أول متحف منظم علمياً أنقذ الفكر الجيولوجي من الشعوذة والخرافات كان متحف جمعية "اللينوكس" الإيطالية (التي من أعضائها كان "جاليليو" و "روجر بيكون" والتي كانت قد تأسست سنة ١٦٠٣م) . وذلك بعد أن درس برومهيد مجموعة من الدفاتر من مخلفات تلك الأكاديمية محفوظة بالقصر الملكي البريطاني من بينها "كتالوج" به رسوم غاية في الدقة والإتقان لمحتويات ذلك المتحف من الصخور والمعادن والبلورات والحفريات المستحجرة نباتاً وحيواناً .

والقرن السابع عشر وما تلاه :

هنا بدأ شيوع كلمة " ميوزيوم" من جديد وبدأ التفكير في جعل المتاحف مرافق عامه للشعوب وسرت موجة الاهتمام بعمل الدفاتر "الكتالوجات" لمحتويات المتاحف وكنوزها الفنية والعلمية·

ففي سنة١٦٢٢م أنشئ متحف " الكالسيولاري " الإيطالي حيث قام كل من " شيروتي و"شايوكو " بعمل كتالوجاته التي نجد فيها حواراً جميلاً عن أصل الحفريات المستحجرة ·

وفي سنة ١٦٦٥م قام "جون تراد سكات" بتصنيف محتويات المتحف الأشمولي في أكسفورد وعمل دفاترها . وفي سنة ١٦٧٩م أتم "جرو" عمل دفاتر مقتنيات الجمعية الملكية البريطانية.

وفي سنة ١٦٨٣م أفتتح المتحف الأشمولي في أكسفورد فكان بذلك أول متحف عام في العصر الحديث · وكان في بادئ الأمر مقصوراً على رواده من طلبة جامعة أكسفورد ·

ومرت الأعوام والمتاحف تزداد ولا تتنوع كثيراً ولكن على وجه التأكيد لم يكن هنالك أي متحف خاليا من المعادن والصخور والحفريات ، فكانت هذه عادة من محتويات كل متحف يقام٠

وظهر سنة ١٧٢٧م كتاب " ميوزوجرافيا " لمؤلفه " نايكليوس" وكان أول كتاب عن المتاحف في العصر الحديث ٠

ثم توالت موجات من الكرم تنتاب الملوك والحكومات في فتح أبواب المتاحف الخاصة للجماهير٠

ففي سنة ١٧٣٩م سمح الفاتيكان للجماهير بمشاهدة ما في متحفه من نفائس في أوقات محددة ، وفي سنة ١٧٥٠م فتح قصر اللوكسمبورج في فرنسا أبواب متحفه للناس مثل متحف الفاتيكان وفي أوقات مخصصة للزيارة ٠

وفي سنة١٧٥٩م أفتتح المتحف البريطاني في احتفال مهيب قام به البرلمان تنفيذاً لوصية السير "هانز سلون" الطبيب الملكي الذي أعطى مجموعاته من التحف والقطع الفنية هدية لبلاده، وفي سنة ١٧٦٤م أسست الملكة كاترينا متحف " الهرميتاج " في مدينة لينينجراد في روسيا وأفتتحه القيصر (نيقولا الأول) في القرن التاسع عشر للجماهير.

وفي سنة ١٧٧٣م أنشئ أول متحف للتاريخ الطبيعي في مدينة " شارلستون" بأمريكا . وفي سنة ١٧٨١م عرضت المجموعات المتحفية لأسرة " هابسبوج " الحاكمة في النمسا ليشاهدها أفراد الشعب.

وفي هذه الفترة كانت هنالك إلى جانب المتاحف العامة متاحف خاصة للأفراد ومن مثال ذلك متحف جيولوجي كان يمتلكه الجراح الإنجليزي الهاوي لعلم الحفريات "مونتل" Montell (١٧٩٠. ١٨٥٢م) وكان لا يسمح بزيارته إلا للهواة المهتمين بعلم الحفريات المستحجرة .

وفي سنة ١٧٩٣م بدأت إعادة تنظيم متحف التاريخ الطبيعي الفرنسي فقسم إلى شق جيولوجي وآخر بيولوجي (لعلوم الحياة) وأفتتح متحف اللوفر الملكي لجمهور الفرنسيين٠

وفي سنة ١٧٩٤م بدأ التفكير في ضرورة ألا تكون المتاحف مجرد أماكن للتسلية والترويح عن النفس، بل لا بد و أن تكون لها بجانب ذلك رسالة تعليم وثقافة عميقة .

وفي سنة ١٨٠٠م بدأ إنشاء متاحف الفن خالية من كل ماعدا الأعمال الفنية التي صنعها الفنانون ، لوحات أو تماثيل ، وذلك بتصنيف مجموعات الملوك والأمراء والموسرين ٠

وتتابع إنشاء الجمعيات العلمية وما يتبعها من متاحف حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٠م عقد أول مؤتمر لاتحاد المتاحف الدولي في مدينة ليفربول بإنجلترا ٠

وفي سنة ١٨٩٥م بدأت الدعوة إلى ضرورة تنويع المتاحف وتقسيمها إلى متاحف فنية وأخرى تاريخية أو علمية أو صناعية وقسمت المتاحف العلمية إلى متاحف للتاريخ الطبيعي ومتاحف للأثنولوجيا ومتاحف لعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ٠ وفي العدد الثامن من المجلد الرابع من مجلة المتاحف في فبراير سنة ١٩٠٥م. كتب " فرانك وولناو" (Woolnaough Frank) وكان إذ ذاك أمينا لمتحف (أبسويتش) في إنجلترا ، رسالة كان قد قرأها في مؤتمر (نورويتش) سنة ١٩٠٤م يقول فيها :

(إنني أعتقد اعتقادا جازماً أن مستقبل المتاحف هو إسهامها في نشر العلم والتعليم فينبغي أن يكون ذلك هو هدفها الأسمى ، فلا يصح بعد اليوم أن تظل المتاحف مجرد معارض للغرائب، ولا بد أن ينتهي عهد اعتبار المتاحف أماكن تختزن فيها شواذ المخلوقات مثل خنزير له ذيلان أو عنزه لها ثلاثة رؤوس أو آثار العصور القديمة التي خلفها لنا الأقدمون) .

واليــوم :

توجد في أرجاء العالم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا،آلاف مؤلفة من المتاحف متنوعة التخصصات والتوجهات ، واصبح الناس في النظرة إلى المتاحف صنفين ، واحد يرى أن المتاحف مرافق تربط الناس بالماضي من الزمان فقط ، وبذلك تعرقل تطلعاتهم نحو تطوير وبناء المستقبل ، ومن ذلك فهم يطالبون بإغلاق المتاحف وإلغائها وهؤلاء لاشك هم فريق من الناس الذين يعيشون تحت وهم أن المتاحف خصصت للآثار والعاديات وما خلفه لنا أهل الأجيال التي ذهبت ، وهؤلاء الواهمون المنغلقون ، لا يعرفون أن المتاحف اليوم قد تعددت معروضاتها وموضوعاتها ، ولم تعد الآثار والعاديات هي مقتنيات المتاحف ، والآثار اليوم كما نعلم مجرد جانب من جوانب المتاحف العلمية الشمولية ، أو أن لها أمكنة خاصة تسمى متاحف الآثار والعاديات ، وهنالك قوم آخرون يرون أن المتاحف اليوم جامعات مفتوحة وأنها منارات كتلك التي تنشئها الدول في الموانئ أو في عرض البحر ، فهي لكل الناس أيا كان مستواهم التعليمي أو الثقافي ، وهم يجنحون إلى القول بأن العالم اليوم ليس في عصر الفضاء أو عصر الذرة أو عصر الإلكترونيات أو هندسة الخلايا الحية ، وإنما نحن اليوم في عصر المتاحف ، وهذه لاشك مغالاة كتلك التي تنتقد المتاحف جملة وتفصيلا .

ولعل مصر كانت هي السباقة الرائدة في مضمار المتاحف وإنشائها وتنويعها في الوطن العربي، فنقرأ في عدد جريدة الأهرام القاهرية الذي صدر في (١٩٤٧/٥/٤) خبرا يقول :

" في ١٩٤٧/٤/٢٩ اصدر معالي وزير المعارف القرار الوزاري رقم (٧٣٣١) يقضي بتشكيل شعبة قومية مصرية للمتاحف برياسة " شفيق غربال بك" وعضوية كبير أمناء المتحف المصري، وأمين المتحف الإغريقي الروماني، ومدير المتحف القبطي ، ورئيس أمناء دار الآثار العربية ، ومدير متحف فؤاد الأول الزراعي ، وأمين المتحف الحربي ،

ومدير متحف البريد ، ومدير متحف الحضارة، ومدير متحف الفن الحديث ، وأمين متحف فؤاد الأول للسكة الحديد ، ومدير متحف فؤاد الأول الصحي ، ومدير متحف الجيولوجيا ، ومدير متحف حدائق الحيوان بالجيزة ، على أن يقوم بأعمال السكرتيرية الأستاذ " طوجو مينا " مدير المتحف القبطي .

وقرر معالي الوزير أن تكون اختصاصات هذه الشعبة فيما يتعلق بالشئون الدولية للمتاحف،والاشتراك في المعارض الدولية بإعارة بعض المعروضات وتبادل المطبوعات العلمية التي تصدرها المتاحف ، ووضع ما تتقدم به الدول المشتركة في الهيئة من توصيات ومقترحات موضع الدراسة والتنفيذ .

وفيما يتعلق بشئون المتاحف المصرية ، اتخاذ قرارات ورسم اتجاهات يكون من شأنها رفع مستوى المتاحف في مصر .. وهنالك لاشك قرارات أخرى مماثلة للقرار الوزاري فيما يخص المتاحف المصرية ، لو تسنى جمعها لكان منها كتاب كبير .

وفى قطر

تم افتتاح متحف قطر الوطني في الثالث والعشرين من يونيو(حزيران) سنة ١٩٧٥ ، فكان أول مرفق حضاري من نوعه في منطقه المشرق العربي بأسرها ، وكانت خلفيته الفلسفية إبان إنشائه هي :

التعبير العلمي عن البيئة القطرية ، برا وبحرا ، في الماضي والحاضر ، باعتبار أن قطر جزء لا يتجزأ من إقليم الخليج وواحدة من الدول العربية بين الخليج والمحيط ، ووحدة من وحدات العالم الإسلامي منذ فجر تاريخه، وهى إلى جانب هذا وذاك عضو ذو سيادة في الأمم المتحدة.

ولقد تم إنشاء متحف قطر الوطني على أساس أن يفيد زائره ، من كل بلاد العالم ، ثقافيا وتعليميا وترويحيا فضلا عن مشاركته في مضمار البحث العلمي المتقدم والتعاون

مع الباحثين في الجامعات والمعاهد وغيرها من المنشآت العلمية، في شئون البيئة والمتاحف المتعلقة بها .

ولقد أضاف متحف قطر الوطني إضافات غير مسبوقة في علم المتاحف Mu-seuology فمن المعلوم أن زائر المتحف يستخدم حاسة السمع وحاسة البصر في تعامله مع محتويات أي متحف ، فاستحدث متحف قطر الوطني وسيلة تتيح للزائر أن يستخدم حاسة الشم في قسم العطور بحيث يغنيه ذلك عن الكثير من الكلام الوصفي لهذه الرائحة أو ذلك العطر، فهو يتمتع بشذى المسك والعنبر والزباد والجند بيداستر أو الكستوريوم والورد والياسمين وما إليها من المواد العطرية دون حاجة إلى شرح أو تفسير،كما أن متحف قطر الوطني قد وفر في ركن من أركان قسم النفط والصخور والحجارة والمعادن بعض المواد الصخرية خارج الدواليب المغلقة ليستطيع الصغار بالذات لمسها وتحسسها بأناملهم مما يريحهم من الإحباط لكون المعروضات عادة حبيسة دواليب العرض .

ومتحف قطر الوطني يشمل خمسة أقسام أساسية هي:

١. القصر القديم المبنى على الطراز الإسلامي التقليدي التراثي وكان قد أنشأه كمقر للحكومة والسكن المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني سنة ١٩٠١م وقام بتصميم وحداته الإحدى عشرة المهندس عبد الله الميل، وكل وحدة تستخدم اليوم لموضوع معين .

٢. القصر الجديد وهو بناء أنشئ أثناء ترميم أبنية القصر القديم سنة ١٩٧٢م .

٣. القسم البحري الذي افتتح سنة ١٩٧٧م ،

٤. البحيرة التي كانت جزءا من شاطئ الخليج متصلا به قبل إنشاء كورنيش الدوحة وعليها نماذج القوارب والسفن التراثية .

٥. الحديقة النباتية المعدة لاستيعاب كل ما يمكن من نباتات البيئة الصحراوية ، كجزء من تطبيق وتحقيق فلسفة برامج المحافظة على البيئة .

والى جانب متحف قطر الوطني يوجد في دولة قطر على اتساعها عدة متاحف أخري تؤدى رسالة المتاحف في الأقاليم منها :

١. متحف مدينة الخور الاثنوغرافى وافتتح سنة ١٩٩١ م .

٢. متحف التراث الشعبي الذي افتتح في الدوحة سنة ١٩٨١م .

٣. متحف قلعة الزيارة للآثار والاثنوغرافيا الذي افتتح سنة ١٩٨٨م ، بالقرب من أطلال مدينة الزيارة الشهيرة التي تخرج في معاهدها العديد من العلماء والفقهاء والشعراء في مابين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

٤. متحف الدوحة للصناعات الحرفية والفنون وكان افتتاحه بالدوحة سنة ١٩٨٤م .

٥. متحف مدينة الوكرة الاثنوغرافي الذي افتتح سنة ١٩٨٨م .

ومن الجدير بالذكر أن كل تلك المتاحف المشار إليها أعلاه قد تم إنشاؤها في مبان تقليدية تراثية تمشيا مع سياسة الدولة في قطر نحو الحفاظ على الأبنية التراثية التقليدية بعد ترميمها .

٦.متحف الثقافة العسكرية ، الذي افتتح سنة ١٩٩٤م بالدوحة .

ولا يقتصر طموح دولة قطر في مضمار المتاحف على ما سبقت الإشارة إليه، إذ أن هنالك آمالا ندعو الله أن تتوفر الظروف لتحقيقها في المستقبل القريب من حيث اضافه منشآت متحفية جديدة منها :

١. متحف لتاريخ وتقنية النفط والغاز عالميا ومحليا بحيث يعطى لزائره كل ما لابد أن يعرفه الإنسان عن ذلك الوقود الذي يقبع في أعماق الأرض منذ ملايين السنين ، وقدر الله لقطر أن تنعم بجانب من خيـر أته في زماننا هذا ، وللنفط والغاز

علاقات بتطور الحضارات منذ فجر التاريخ ويحتاج لمعرفته كثير من الناس على سعة العالم كله .

٢. متحف جيولوجي متكامل يعرض كافة أنواع الصخور وجميع أصناف المعادن والخامات من كافة أنحاء العالم ، ونماذج للتركيبات الأرضية في طبقات وكتل صخور قشرة الأرض وأشكال البلورات المعدنية وكل ما يعطي زائر هذا المتحف من ثقافة عن هذا الكوكب الذي نعيش عليه ، وعلاقته بالمجموعة الشمسية وبقية أنحاء الكون ، بحيث نصل إلى أن الأرض حقيقة لا تساوي جناح بعوضة في ملكوت السموات والأرض.

٣. متحف خاص باللؤلؤ ومغاصاته عالميا ومحليا وذلك لأنه كانت لتجارة اللؤلؤ أهميتها الاقتصادية قبل أن يظهر النفط في قطر والمشرق العربي جملة وتفصيلا .

٤. متحف يحكى قصه الجمل ، سفينة الصحراء التى تقول الدراسات العلمية أن أجداده ظهروا منذ ملايين السنين ، في وسط أمريكا الشمالية ثم انتقلت طائفة منهم إلى آسيا عبر مضيق بهرنج الشهير ثم شمال آسيا ومنها إلى بلاد العرب حيث استأنسها العرب القحطانية أو العدنانية بينما رحلت أخوات الجمل من اللاما والالباكا والفيكونا والجواناجو ، إلى أمريكا الجنوبية . وفى متحف الجمل الذي رافق الإنسان العربي طوال تاريخه في الصحراء تتحقق معرفة علميه هامة تلبية لقول الحق تبارك وتعالى (آفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).

٥. متحف عن نخلة البلح ذات الأصل العربي المؤكد ، وعن عائلتها النباتية المنتشرة في أرجاء الأرض، وعن أنواع التمور وقيمتها الغذائية وكل ما يتعلق بالمعرفة العلمية والأدبية عنها .

٦. متحف للتاريخ الطبيعي ، الحيوان والطير والحشرات والزواحف والحفريات المستحجرة الكبيرة والمجهرية و تاريخ ظهور كل منها وانقراضه ، على اتساع سطح

الأرض مع التركيز على بيئة قطر، ويتبعه بالضرورة معشبة((Herbarium تعرض فيه النباتات الصحراوية المحنطة .

٧. متحف يحكى قصه الاختراعات والاكتشافات العلمية الهامة في تاريخ الحضارة الانسانيه كلها.

٨. متحف يخصص لما قدمته الحضارة الإسلامية بالذات للحضارة الإنسانية في العلوم والتقنية وفروعها من مثل اكتشاف جابر بن حيان للماء الملكي بخلط حامض الهيدروكلوريك وحامض النيتريك ، و معادلة أبى الريحان البيرونى لقياس محيط الأرض ، واكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية ، وكذلك منجزات أدباء ومفكري المسلمين في الآداب والفنون والأخلاقيات مما انتقع به كافة سكان الأرض .

٩. متحف خاص بالمسكوكات وتاريخ وتطور صناعتها في أرجاء الأرض وتقنيه صناعه سبائك الفلزات وإنشاء دور السك وتقييم العملات .

١٠. متحف خاص بتاريخ اختراع الإنسان للكتابة وتطور الأبجديات واختراع الحبر والأوراق وكيف تطورت الكتب من لفائف مطوية إلى شكلها الذي نعرفه اليوم ، ومدى إسهام المسلمين في تعليم الناس فنون التجليد وزخرفة الكتب ، وإثبات أن الخط العربي هو اجمل خطوط الكتابة في العالم كله،وسيرة وتاريخ من طوروا الخط العربي كابن مقلة وياقوت المستعصمى وابن البواب وغيرهم، ووضع نماذج لنقش النمارة ونقش حران وغيرها من الآثار التي عرفتنا بتطور الكتابة العربية .

١١. متحف خاص بالصحراء ، انتشارها على سطح الأرض وخواص نباتها وحيوانها وتربتها وأثرها على من سكنها من بنى الإنسان .

١٢. متحف للوحات الفنية النادرة التي رسمها الفنانون المستشرقون الذين تمكنوا من العيش لفترات إقامة أو رحلة في ربوع الوطن العربي مشرقه ومغربه .

ونسأل الله التوفيق والسداد في تحقيق هذه الآمال ، لتظل قطر العزيزة على الدوام مثالا حيا يحتذي في احترام العلم والتفكير النافع المفيد لصالح الإنسان وتطوير ثقافته وفكره ليس في قطر وحدها ولكن في عالمنا العربي على سعته بل وفى أقطار الأرض جميعا إن شاء الله .

وحيث أن دولة قطر تؤمن برسالة المتاحف الثقافية والتعليمية والعلمية فضلا عن الترويحية ، بدليل ما أثبتناه أعلاه ، فلا يفوتني في هذه السطور المناداة بأن تكون (جامعة قطر) سباقة في إنشاء (كرسي) أستاذية لعلم المتاحف بشقيه (الميوزولوجيا) و(الميوزوغرافيا) وفروعها ، وبذلك يتاح للشباب المهتمين بأمور المتاحف أن يبنوا فكرهم وعملهم علي قاعدة علمية عميقة وقدرة تامة علي الإبداع والتطوير والتقدم بالمتاحف إلى الأمام ، مع الدراية التامة بالتعامل مع منظمة المتاحف التابعة لليونسكو (I.C.O.M) وغيرها من المنظمات العالمية أو الإقليمية في كل ما يتعلق بالمتاحف ورسالتها محليا وعالميا .

واستكمالا لما ورد في قرار وزير المعارف المصري منذ نصف قرن ، حبذا أن تفكر كل دولة عربية في إنشاء ما يمكن تسميته (هيئة) أو (مجلس) أمناء [Board of Trustees] من أهل الرأي والعلم والثقافة لكل متحف ذي شأن على أرضها ، ويكون مجلس الأمناء هو المرجع الذي يستشار في كل الأمور التي تخص تطوير أي متحف من المتاحف ذلك تفاديا للشطحات والارتجالات الفردية والأهواء العابرة ،التي أودت بكثير من المتاحف في أرجاء الوطن العربي على سعته فأصبحت في خبر كان بعد أن ظلت زمنا منارات ذات شأن علمي وثقافي وأعلامي كبير، كما حدث علي سبيل المثال لا الحصر في اقدم متحف علمي في الوطن العربي ، ذلكم هو المتحف الجيولوجي بالقاهرة الذي افتتح سنة ١٩٠٤م، وإزالة مبناه الفخم الفريد في نوعه نهائيا ، بحجة إنشاء أنفاق القاهرة سنة

١٩٨٢م والمحزن انه المبني الوحيد في منطقته الذي هدم بتلك الحجة بينما بقيت جميع الابنيه الأخرى كما كانت حول مكانه .

ولو كانت هنالك هيئة للأمناء ، لما أمكن حدوث تلك المأساة العلمية الشاذة . ولا نتمنى لأي متحف عربي كبيرا أو صغيرا أن يحدث له ما حدث للمتحف الجيولوجي بالقاهرة سنة ١٩٨٢م ولا ما حدث لمتحف دولة الكويت الشقيقة سنة ١٩٩٠م .

إدارة .. مُخصصة .. للنخيل

مما يسر الإنسان رؤية النخيل ينمو ويزدهر باضطراد في شوارع الدوحة ، وكذلك في طريق الشمال وفي طريق الوكرة ، حيث تقوم أجهزة الدولة مشكورة بالإكثار من هذه الثروة المباركة . واتطلع الي المزيد ، حتي يأتي يوم ، ولعله قريب بأذن الله وتوفيقه ، يحصي فيه المرء ملايين النخلات الباسقات على أرض شبه جزيرة قطر علي سعتها .

ولرب قائل ما بالنا لزراعة شجرة لا تؤتي أكلها عاجلا ؟؟

وهذا نذكره بقصة ملك مصلح غيور ، مر علي رجل عجوز وهن منه العظم واشتعل رأسه شيبا ، يزرع نخيلا ، فقال له ..

ما بالك تزرع تلك الفسائل وقد بلغ بك العمر ما بلغ ؟؟

فقال الرجل ، لقد زرع من قبلنا فاكلنا ، لنزرع لياكل من بعدنا ..

فأمر له الملك بجائزة ، فأردف الرجل العجوز يقول ..

ان النخله تثمر بعد سبعة أعوام ، ولقد أثمرت فسائلنا قبل غرسها ..

فأمر له الملك بجائزة أخري ، فزاد الرجل يقول ..

النخلة تثمر مرة فى العام ، واثمرت نخلاتنا مرتين في لحظات ، فأمر له الملك بجائزة ثالثة ، ثم أنصرف مع أصحابه قبل أن يعقب العجوز بقول ..

فايما رجل يزرع نخلة ، انما هو يقدم فعلاً حميداً للأجيال التالية له ، وهذا هو معني من معاني الوفاء وامانة الأداء .

ولقد جاء في تراثنا الخالد ، حضا علي زراعة النخيل وغيرها مما ينفع الناس في يومهم وفي غدهم ، حيث جاء في حديث شريف ما معناه: اذا كان في يد أحدكم فسيلة ولم يزرعها بعد ، فليسرع بغرسها حتي ولو كان يسمع صوت الصور مؤذناً بيوم القيامة !!!

ولا أظن أن هناك فى اية ملة أو شريعة من الشرائع الأخرى مثل هذا المعني السامي الرائع !!

وكم من المعاني السامية اضعنا ونسينا واهدرنا !!

وبقدر السرور وانشراح الصدر بمنظر كل نخلة باسقة يانعة في شوارع الدوحة ، وفي غيرها من أنحاء البلاد . بين خور العديد وخليج سلوى جنوبا ومنطقة العريش شمالا ، هنالك قدر ثقيل من الاشفاق علي مستقبل تلك الأشجار المعطاءة ، التي كانت ثمارها قوام طعام اجدادنا من الأبطال الفاتحين ، والتي لا شك وأنها تحوي سرا لم يدركه العلم بعد من مادة تقوي القلب وتشد العزائم وتدفع للبطولات وتشحذ الهمم ، وما نحن في حاجة شديدة اليه ولا نجده فيما نستورده من أنواع الطعام المجمدة أو المعلبة أو حتي الطازجة .

ومن هنا فأنني أرجو الله أن يوفق الدولة للنظر في أمر انشاء (ادارة عامة) للعناية بأمر النخيل في جميع أنحاء البلاد ، لتعمل علي زراعة عدة ملايين من اشجار النخيل مستجلبة اجود الأنواع من جميع أنحاء الوطن العربي بين تونس والجزائر غرباً وعمان شرقاً والسودان جنوباً والعراق شمالاً .

وتبقى هذه الإدارة متفرغة تماماً لمتابعة نموه وازدهار وتلقيحه ومقاومة آفاته وجنى محاصيله واعدادها للاستهلاك المحلي والتصدير ، وعمل المشروعات الانتاجية المفيدة من صناعة التمور والدبس . وتصنيع الجذوع والخوص والجريد والليف والقنوان والنوى والجذب (الجمار) فليس في النخلة جزء إلا وبه فائدة ومنفعة .. ولنا أن نعلم أن هنالك بلاداً (غير عربية) سبقتنا في مضمار (تكنولوجيا) زراعة النخيل من النوى والفسائل و (الأنسجة الحية) ولابد لنا من أن توفد هذه الإدارة بعض شبابها إلى هنالك للتعلم والدرس ونقل الخبرة الكنولوجية في زراعة نخيل التمر والبلح .

وعلى سبيل المثال .. نعرف أن أجدادنا كانوا (وما زلنا) يلقحون النخل بغبار الطلع (حبوب اللقاح) بطريقة قديمة تستغرق الواحد أياماً طوالا . بينما الناس هنالك

يحفظون حبوب اللقاح في ثلاجات حتى إذا جاء الموسم ، تقوم جرارات مجهزة برشاشات بتأدية ما يستغرق لدينا أسابيع . في عدة ساعات قليلة .

إن إنشاء إدارة عامة تضطلع بأعباء العناية بزراعة النخيل في أرجاء قطر عمل جليل ينفع الأجيال القادمة ان شاء الله ، مع شرط ان نبدأ من حيث انتهى الناس بالنسبة لتكنولوجيا زراعة النخيل المعاصرة .

وحبذا ان يصاحب ذلك برامج إعلامية تبين للناس القيمة الغذائية للتمور وبرامج أكاديمية بحثية عن أسرار نمو وازدهار وإثمار النخلة ، وأنواع الانزيمات والهرمونات التي تنقل الثمرة من طور إلى طور في النضوج ، وحبذا ان يتاح لمتحف قطر الوطني ان يكون سباقاً في عرض (جميع) أصناف التمور في الوطن العربي ، إلى جانب ثمار جميع أنواع (النخيليات) التي تتجاوز المائة والعشرين من بديع صنع الله في عالم النبات .

الدحـــــــل ...

الدحل واحد الدحول والدحلان (بضم الدال) والأدحل (بضم الحاء) والادحال والدحال (بكسر الدال) وهي كلمة عربية أصيلة لم يصبها من تصحيف العامة وعجمة الزمان سوى فتح الحاء بدل سكونها .. وجمع الجمع هو الدحائل ..

قال الفيروزبادى في لسان العرب . إن الدحل (هوة) تكون في الأرض في اسافل الأودية ، ويكون في رأسها ضيق ثم يتسع اسفلها ..

وجاء في اساس البلاغة للزمخشرى أن (البئر الدحول) ذات (تلجف) وهو تكسر جوانبها مما (أكلها الماء) وصدق الزمخشرى رحمه الله ، إذ أن الماء (يأكل) الحجر الجيرى أى (يذيبه) بما يحويه من ثاني أكسيد الكربون . فتتكون الكهوف والدحول وما اليها مما تتاوله طبوغرافية (الكأرست) في دراسة سطح الأرض وجيومورفولوجيتها

والدحول وما إليها من الكهوف الخبيئة منتشرة في شبه جزيرة قطر ولكن ما تذكره الخرائط قليل مثل المسفر والمظلم والحمام .

وهي كثيرة الانتشار في شرق شبه الجزيرة العربية .

جاء في معجم البلدان لياقوت تحت كلمة (الدحائل) ...

قال أبو منصور . رايت بالخلصاء ونواحي الدهناء دحلانا كثيرة ، وقد دخلت غير واحد منها . وهي خلائق خلقها الله عز وجل تحت الأرض ، يذهب الدحل منها في الأرض مقدار قامة أو قامتين أو أكثر ثم يتلجف يمينا وشمالا فمرة يضيق ومرة يتسع في صفاة ملساء لا تحيك فيها المعاول المحددة لصلابتها (؟) وقد دخلت منها دحلا ، فلما انتهيت إلى الماء إذا جو من الماء الراكد فيه لم أقف على سعته وعمقه وكثرته لإظلام الدحل تحت الأرض فاستقيت منه مع اصحابى فإذا هو عذب زلال لانه من ماء

السمـاء يسـيل اليـه مـن فـوق ويجتـمـع فـيـه . واخـبـرني جـمـاعـة من أعـراب الخلصـاء ان الدحلان لا تخلو من الماء ولا يستقى منها إلا للشفاء من (الخبل) !!

ووصف أبى منصـور هذا لا يخلو من دقـة علمـيـة كـتلك التي يلتـزم بهـا علمـاء (الاسبليولوجي) المتخصصون في علم دراسة الكهوف والدحول ..

وكتب الهمداني في كتابه (صفـة جـزيرة العـرب) فـي القـرن الرابع الهجـري يصف اقليم الصَّمّان بشرقي بلاد العرب بقوله :

ومياهه دحول تحت الأرض مـخـرقـة في جلد الأرض . منه مـا يكون سـبـعين (بوعـا) ومائة بوع وأقل وأكثر منها دحل (العيض) ودحل (اريكة) بالصحصحـان . ومنها دحل (السمرات) ودحل (الضبى) يكون ماؤها من ماء السماء العذب ..

ثم يصف ديار (تميم) فيقول ..

ودحول هبالة . وهي (شقوق) في الأرض عميقة يكون فيها الماء .. والذى يعنينا بعد هذه المقدمة . ان تتبنى .. **اللجنة الدائمة لحماية البيئة في قطر** . مشروعاً علمياً لدراسة (الدحول) والكهوف القطرية دراسة مستفيضة .. فقد تكون مدخلاً (لتلوث) الماء الباطني .

وقد تسكنهـا أنواع الخفـافيش التي تحـمل ميكروبـات (داء الكلب) .. وقد تهيم في أجوائها بعض (بكتريا الكهوف) التي تسبب بعض أمراض الرئة .. فضـلا عن أن مثل هذه الدراسـة الجـادة . سـوف تمحـو من أذهان بعض الناس أن (الدحل) حـادث عن وقـوع (نجم) أى نيـزك من الفـضـاء الخـارجي . وسـوف تتـحـقق من بعض الروايات الشائعة التي تقول بأن شيئا مـا ، قد يسقط في الدحل ، ويختفى . ثم يظهر بعد ردح من الزمـان على سيف البـحـر مما يظن مـعـه أن هنالك مـسـارب تصل مـا بين الدحل والبحر . ومن الناحية الاكاديمية فقد تؤدي الدراسة لدحول وكهوف شبه جزيـرة قطـر

إلى ما يضيف فهما جديدا في مضمار علم (الاسبليولوجيا) ونظرياته وإلى تفهم أكثر لطبيعة المياه الجوفية في البلاد مما (قد) يكون له مردود تطبيقي اقتصادي جليل . فهل سنرى قريبا خريطة تبين عليها تفصيلا كل (الدحول) القطرية والكهوف ونشرة علمية تبين التحليل الكيماوى لكل مياه الدحول بما فيها من العناصر والأملاح التي لا يكشفها ألا الاسبكتروغراف (المطياف) وتوضح القطاعات الجيولوجية الدقيقة لتتابع الطبقات في كل دحل على حدة ؟ نرجو ذلك وإذا صح العزم وجدت الطريق ..

بيضة الأفحوص .. ولغة .. العنبلوص ...

أمـا البـيـضـة فـمن مـعـانيـهـا في لـغـتـنا ، ذلك الوعـاء الذي ذرآه بديع الـسـمـاوات والأرض سبحانه ، ليكمل فيه نمو جنين بعض الحيوان خارج جسمه ، اذ لا رحم له مثل السمك والضفادع والزواحف والطيور ، مما ليس له أذن خارجية وصنفه العرب في قولهم ....

(كل أذون ولود .. وكل صموخ بيوض) ....

قبل أن يبتدع العلامة كارل فون لينياس (١٧٠٧-١٧٧٥) السويدي قواعد علم تصنيف المخلوقات بألف عام ....

وأما الأفحوص ، فهو عش طائر الذي يتخذه لوضع بيضة والعناية بعياله ، من الشجر أو الحجر أو مما يعرشون ......

وهو في مقامنا هذا مثل ...

أحضان المربيات و(والدادات) و(النيرسات) ....

من غير بنات عدنان وغسان ويعرب بن قحطان ....

وكذلك .....

المدارس الأجنبية ....

مما جرفنا تياره ، دون أن نتبصر في عواقبه أو نستشرف أخطاره الكامنة القادمة...........

شأننا فى كثير مما نفعل فى هذه الحقبة من تاريخنا العجيب ....

أما العنبلوص ....

فهي كلمة طرقت سمعي بعنف منذ أيام ،أثناء الحديث مع صديق ......

ولما استوضحته ....

قال أنها العربة الذي يقودها (الدريول) (مال) الصحة لنقل المصابين الى قسم الطوارىء بالمستشفي ....

اى أنها عربة (الاسعاف) ....

وأصلها بالأنجليزي (الامبيولانص) .... Ambulance فكان أقرب تصحيف لها كي تدخل في عداد الكلمات الدارجة أن تصبح (عنبلوص) ......

وتضاف الي ما سوف يحتاج الى ابتداع معاجم وقواعد للنحو والصرف والبيان جديدة كل الجدة ، تختلف بالضرورة عما خلفة أبو الآسود الدؤلي وسيبويه و الكسائي والأخفش والثعالبي وأبن منظور والفيروز بادي وعشرات غيرهم ممن أفنو أعمارهم مجاهدين جادين في سبيل الحفاظ علي لغة القرآن من الضياع والمسخ والتدهور......

اذا ظل أطفالنا في أحضان غير عربية ....

وإذا أصررنا على تعليمهم في (المراحل الأولى) بغير لغة الضاد ....

بحجة اتاحة الفرص لهم للانخراط في سلك المجتمع العالمي المسيطر على كل نواحي حياة الناس في القارات الخمس ....

ولا ينطق بالعربية في المصارف ، والآلات الحاسبة والنقل البحرى ، وشركات الطيران ، ومختلف فروع العلوم الأساسية ....

ورغم هذا نجد اليهود ....

يؤلف علماؤهم (دائرة المعارف) علمية تزيد أجزاؤها ، فيما سمعت ، عن أربعين جزءاً .... باللغة العبرية ....

في الوقت الذي تفوح فيه رائحة العفن ، على غير استحياء ، من أفواه المرضى والملتاثين والمنافقين ....

من مناد بكتابة العربية بالحروف اللاتينية ......

ومن نابح . يعوى لايدرك قواعد اللغة العربية ......

ومن متقيىء يحبذ إتخاذ العاميات لغة ، واطراح الفصحى جانبا في زوايا المتاحف ودور الآثار .....

ومن غبى يفتى بقحة بأن العربية ليست لغة للعلم المعاصر ......

وغير ذلك من سمات الهزال والضعف وكذب الانتماء للأمة التي لم ينل منها عدوها معشار ما اصابها به بنوها ....

فياقومنا ....

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل ....

لابد من استنقاذ الاجيال القادمة من لغة (العنبلوص) وذلك أولا ....

بتقليص استخدام المربيات والخادمات غير العربيات ....

تمهيداً للاستغناء عنهن نهائياً ....

وألا نضع الأجيال القادمة في أحضان المدارس الأجنبية ، قبل ان يشتد عودهم ويفهمون انهم أنما يتعلمون اللغات غير العربية للاستزادة من المعرفة ، لا لاعتبار العربية عبئاً وراثياً لايجاري العصر ولا يساعد على أن يجد الفرد مكانا له في خضم الحياة العالمية الحاضرة ....

ولو تدبر عربي من أي قطر عربي لوجد كارثة تتمثل في أنك ....

قد تعطي خريجاً جامعيا اليوم في أى بلد عربي بضعة أسطر من صحيفة سيارة أو حتي في مجلة الشبكة أو الموعد ، فتراه يتعثر ويتلعثم بين الفاعل والمبتدأ وأسم كان وأخواتها ناهيك عن (حتى وحبذا) ....

لأن وسائل تعليم العربية اليوم ....

ليست علي مستواها الذي كان بالأمس القريب ....

فلابد من تدارك الأمر اليوم برفع مستوى وسائل تعليم أبنائنا وبناتنا لغتنا العربية وقواعدها.

ولابد من مؤلفات جديدة تجاري مستحدثات العصر التكنولوجية في الطبع والشرح ....

وإلا سينقطع أخر خيط يربط قوما اسمهم العرب.........

اذا كنت ماكولا فكن خير أكل والا فأدركني ولما أمزق

قالت المربية الأسيويه للطفل العربي الصغير وهي تربت علي صدغية ......

أنا ما في معلوم ليش يهود يكول عرب واجد خراب عرب كشرا لازم روح سيم سيم طسم وجديس ....

فقال لها الطفل منفعلاً ....

شَرَب أنتي ما في مخ ....

لازم في واحد عنبلوص ... بند كله كلام يهود ... سيدا ....

وانطلق الطفل الي أمه يقول ....

هادي مربية ما في لازم عشان أنا هو لازم روح بره ....

اللهم أنقذ أطفالنا من أن تصبح لغتهم هي تلك التي اسلفنا في الزمن القادم ......

وابعث لنا من كل أنفسنا في كل أقطارنا ....

عنبلوص ......

يسعفنا ، بقطع دابر هذا الاغتراب الذي نسجناه بايدينا ولم ندرك خطره المحدق بنا بعد ....

حول ثقافتنا الجيولوجية

قطر من الدول التى حباها الله بنعمة النفط ...

واكتشاف النفط ,فى قطر وفى غيرها من بقاع الارض , ثمرة من ثمار احترام قوانين وقواعد وآفاق علم الجيولوجيا .

من واجب الوفاء لهذا العلم الذى يسره الله تعالى لخلقه . ان ندعوالى نشر الوعى الثقافى (الجيولوجى) بين الناس .

ولا ازعم فى هذا . ان الناس سيتحولون بين عشية وضحاها الى علماء فى هذا العلم الذى ظهرت لفظته اول ما ظهرت فى القرن الثامن عشر مركبة من كلمتين اغريقيتين (جيوس) وهى الارض و(لوجوس) ومعناها العلم او الدرس ..

ما ارمى اليه هو تاسيس اهتمام جاد بجانب من جوانب الفكر الانسانى الايجابية . قد يؤدى ببعض الشباب الى اتخاذه (هواية) تقيه الزلل والتردى فى مراتع الكسل واللامبالاة والسطحية التى وضعتنا حيث نحن اليوم كامة ..

ومساحة شبه جزيرة قطر . ليست كبيرة . ولا هى متعددة الصخور والحجارة . ولا معقدة التركيب والبنيان . مما يسهل امر استيعاب انواع طبقاتها وما تحويه من مستحجرات الاحياء البائدة نباتا وحيوانا . والتفكر فى احتمالات منافعها الاقتصادية والصناعية . فى وقت قصير . لمن اجتهد ...

ولقد اهتم الجيولوجيون منذ أوائل هذا القرن الميلادى التاسع عشر . برسم الخرائط. وتعيين الحدود الزمانية بين الطبقات . وتفحصوا عمليا زوايا ميلها واتجاهه .

لكى يحددوا بعلم مكان المصايد التى (قد) تكون بها مكامن النفط . او زيت الصخر..

وقاموا على ضوء تلك الخرائط الدقيقة التى اكملوها بعد عناء ومشقة وعرق ودمع وتعب كثير . بحفر عشرات الابار العميقة . فى ارجاء شبه الجزيرة ومياهها الاقلمية .

منها ما سموه بئرا (جافة) اى عقيما لم تعط نفطا ولا غازا . ومنها ما جعله الله مورد الخير للبلاد والعباد . فى وقت كانت سوق " اللؤلؤ " فيه .قد كسدت وانفض سامرها او كاد . وتلك حكمة بالغة من فعل الرازق الكريم لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد .

واتفق راى العلماء والباحثين منذ بدات حملة العمل للكشف عن مظان النفط فى قطر . على ان طبقات الصخور التى تغطى سطح شبه الجزيرة . تشابه تلك التى فى مشرق شبه جزيرة العرب . فوسموها بسمة (الرس). و(الدمام) و(اللدام) و (الهفوف) مما يقرأه من يطلع على خرائط قطر الجيولوجية ..

وكذلك اطلقوا اسماء عرفوها من شبه الجزيرة الام أيضا .على الطبقات تحت السطح .. ولما كان الكثير من خلق الله . يلتمسون الراحة فى نهاية الاسبوع بالتجوال فى الصحراء بعيدا عن زحام الدوحة وضجيج آلات (التكييف) وصرخات (الهواتف) فحبذا .. من باب التثقيف الجيولوجى ...

لمن يريد ..

(١) ان (تقوم ادارة البترول) مشكورة. بوضع (لافتة) من الاسمنت المسلح ظاهرة للعيان . عند كل موقع من مواقع الابار التى حفرت بحثا عن النفط . وتبين تلك اللافتة تاريخ حفر البئر وعمقها .وتتابع الطبقات فيها .

(٢) ان تتضافر جهود وخبرات الجيولوجيين فى وزارة النفط (البترول) وفى الجامعة وغيرهما . لكى يوضع قبالة كل (جرف) تظهر فيه الطبقات واضحة جلية وفى كل مواقع (المحاجر) ومقاطع الطرق . لافتة عليها رسم منقوش على الاسمنت المسلح يشرح ببساطة وسهولة ما تمثله تلك الطبقات من الزمان ونوع الحجر . ومن تلك اللافتات على سبيل المثال لا الحصر .. انت الان تسير فوق

الحجر الجيرى الاعلى من طبقات الرس اوالحصى الذى على جانبى الطريق من فتات تكوين الهفوف او الخدوش التى تراها فوق سطح الصخر من فعل الرياح المحملة بالرمال فى طبقات الدولومايت فى عضو ابروق بالدمام الاعلى .. او على بعد خمسين مترا الى الشمال من هذه النقطة عرق من معدن البارايت او طبقة من الجبس اوالكثبان التى حولك تتحرك بمعدل (كذا) . فى العام من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ... او ابحث حولك عن (زهور الصحراء) او (الاهرام الثلاثية) فى هذا المكان .

وببث هذا الوعى الجيولوجى وما يتفرع عنه من دعوة للتعرف على نبات الصحراء وخشاشها . فى عصر تتمايز فيه الشعوب وتتفاضل بالوعى العلمى واستيعاب نواميس الله فى خلقه لهذا الكون الشاهد على عظمته . نكون وضعنا اساسا لتوضيح الفرق بين الانسان والبعير فى مسيرته على سطح هذه الارض . وتصبح دولة قطر اول دولة عربية . تتيح للانسان فرصة التعلم والتحصيل حتى فى عرض الصحراء بين الكثبان والاكام والتلال والوديان وتجعل (لمن اراد) فى نواحى البيداء زادا فكريا يصقل العقل ويدفعه الى التفكر فى خلق السموات والارض وآيات لاولى الالباب .

حاجتنا لمتحف .. "علوم الارض" ..

لاجدال فى ان اكتشاف النفط " البترول " نعمة من انعم الله الذى لا نحصى ثناء عليه . ولا يختلف العقلاء على ان الفضل فى اكتشاف هذه النعمة يرجع الى علم (الجيولوجيا) وهو واحد علوم الارض التى منها الجغرافيا والجيومورفولوجيا وما يتفرع عنها من العلوم والتخصصات .. ومن الجميل ان يتيسر للانسان الذى اصابه من نعمة النفط نصيب ان يتعرف على ذلك السائل العجيب الذى تولد من احشاءالارض واعماقها بطريقة لم يتفق علماء الارض بعد على تفاصيلها الدقيقة كل الاتفاق . وان يعرف تاريخه فى مسيرة الحضارة الانسانية منذ ما كان اهل ما بين الرافدين يتخذون منه ملاطا لرص مداميك الابنية وتماسكها . ويطلون منه السفن والقوارب منعا لتلفها من جراء الاحياء الدقيقة فى مياه النهر والبحر . ومنذ كان الفراعنة يتخذونه فى تحنيط الموتى وحفظ المومياوات . وتستدعى تلك المعرفة بالضرورة ان يتعرف زائر متحف " علوم الارض " بالدوحة على شكل الارض وتشريحها وانواع صخورها واحجارها والمعادن المكونة لتلك الصخور . نارية اوبركانية او رسوبية اومتحولة . وما يحيط بامرها من نظريات العلماء وافتراضاتهم وكذلك على ما يعترى كرة الارض من الزلازل والروادف والبراكين والينابيع الحارة . وكيفية وصولها عبر الاحقاب والقرون الى شكلها الجغرافى الحالى . وهندسة بنيان ما فوق سطحها من الهيئات الطبوغرافية واشكال الاودية والجداول والانهار . واعماق بحارها ومحيطاتها وما تحت مائها من عجائب خلق الله مما فيه تذكرة لاولى الالباب ..

ومن واجب هذا المتحف المقترح ان يحتوى بالضرورة على ما يذكرنا بمجد غابر علمى سلف ، بان تكون بيت جنباته اركان ....

- عما قاله علماء المسلمين ، ايام كنا نعلم الناس ونثقفهم فى معاهدنا وجامعاتنا وحلقات العلوم فى ديارنا ..

● كيف قاس البيروني محيط الارض " القرن العاشر الميلادى " قياسا لا يختلف الا عدة امتار عما نعرفه اليوم ، وكيف استطاع ان يقدر عمر الارض عندما قاس معدل نحر الانهار فى سطح الارض وصخورها ، واتى للمعرفة برقم لايكاد يبعد عما يعرفه العلم الحديث اليوم ..

● ماذا قال جغرافيونا مثل الاصطخرى والهمداني وعشرات غيرهم فى كتبهم وما هى الاسس التى وضعوها للعلم الحديث .

● ماذا قال ابن سيناء عن تكون الجبال واستحجار الكائنات الحية وتكون الصخور الرسوبية ، فى النهر والبحر وتحت الهواء ، من جراء تماسك حطام عوامل التعرية للصخور السابقة عليها .

... تلك مجرد اشارات لنقطة من بحر يمكن ان يحتويها المتحف المقترح فى الدوحة والذى لابد ان يحتوى على :

● خريطة جيولوجية مجسمة لشبه الجزيرة وجزرها المحيطة بها فى مياهها الاقليمية ، وقطاع جدارى تام من واقع الآبار التى حفرت بحثا عن النفط فى العقود الماضية منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية .. ومعها عينات من كل صخور قطر ، وما فيها من المستحجرات التى تميز العصور من تكوين الرس الى الهولوسين ..

● ولاباس هنا من الاشارة الى ضرورة ان يحتوى المتحف على صخور من تلك الانواع من " الحصى " التى توجد اليوم على بعض السطوح وقد جاءت عبر الزمن الجيولوجى من مناطق اخرى خارج قطر ، لما فى ذلك من متابعة للتطور الجغرافى للبلاد .

● وتتميز قطر عن كثير من بلاد الدنيا بوجود المكونات الثلاثة التى يطلق عليها العلماء " الكيروجين " او الوقود الحفرى ، ففيها من فضل الله الغاز الطبيعى فى تكوين " الخف " والنفط فى طبقات العصر " الجوراسك " والفحم الحجرى فى طبقات نهر

عمرو فى الطباشيرى الادنى مما يستوجب نموذجا تثقيفيا واضحا ، فضلا عن انواع التربة الزراعية من كافة " الروضات " وانواع الرمال من الشاطئ والكثبان المتنقلة .

● اى ان متحفا لعلوم الارض فى الدوحة ، علامة حضارية تستوجب الاهتمام ، وحبذا ان يتفق جماعة من اهل الخير ، وهم كثيرون بحمد الله ، على تبنى هذا المقترح من الناحية المادية والانفاق ، ليصبح اضافة حضارية بين ارجاء الدوحة ، وهى بذلك تندرج تحت قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مما ينفع الانسان يوم العرض على الله ، علم ينتفع الناس به .

المتاحف الجيولوجية

قناعة بان المتاحف كما يصنفها جمهور واسع من العلماء والمفكرين فى ارجاء العالم المتقدم قد اصبحت " جامعات مفتوحة " تؤدى لكل الناس رسالة تعليم وتثقيف وبحث علمى فضلا عن الترويح والنزهة ، وانها لم تعد مجرد معارض للعاديات والانتيكات وغرائب المخلوقات والمصنوعات فقد قام الكثيرون من الموجهين لمسيرات النهضة الفكرية فى كثير من جهات الدنيا بانشاء متاحف متخصصة فى مختلف ضروب وافاق المعرفة البشرية والممارسات الانسانية فتجد على سبيل المثال لا الحصر متحفا " للقهوة " وكل ما يتعلق بها تاريخا وزراعة وانتشارا وذلك فى بلدة فى اقصى شمال كرة الارض فى بلاد اللابلاند والموس فنلندا ، كما تجد متحفا مثلا ، لتاريخ الخبز والحبوب التى دجنها الانسان لصناعته فى مختلف انحاء الدنيا وانواع الافران وطرق عجنه وخبزه خميرا او فطيرا لدى الاسكيمو والاستراليين القدامى وسكان الامريكتين الاصليين وبدو الصحارى وسكان الغابات والجزر وذلك المتحف موجود فى بلدة صغيرة بالمانيا ، ويضيق المقام فى اشارتنا هذه عن حصر انواع المتاحف المتخصصة عالميا ، ولكن يعنينا هنا انطلاقا من حقيقة ان دولة قطر هى من بلاد النفط الاويك والاوابك منذ اكتشافه فى اعماق طبقاتها فى الثلاثيات وبدا تصديره الى العالم الخارجى ١٩٤٩ وكان التاخير بسبب الحرب العالمية الثانية " ١٩٣٩- ١٩٤٥ " وانها اليوم بفضل الله ونعمته قد اتخذت مكانتها العالمية فى مضمار الغاز الطبيعى وما احتفالات راس لفان منذ ايام ببعيدة ، هذا اضافة الى ان طبقات الطباشيري الادنى تحتوى بفضل الله كذلك على طبقات من الفحم الحجرى الجيد الذى يمكن ان تستغل مستقبلا ، فتميز قطر بفضل الله بوجود خامات الوقود الثلاث التى يندر ان توجد فى بقعة واحدة بعينها ، وهى الفحم فى طبقات تكوين نهر عمرو وتكوين الشعيبة بالعصر الطباشيرى الادنى ، تليها خزانات ومصايد النفط والغاز المصاحب فى طبقات العصر الجوراسي ثم وجدت الغاز الطبيعى

فى طبقات العصر البرمى بحقب الحياة القديمة " الباليوزيك " .. وحيث ان النفط وغيره من خامات الوقود والثروات التعدينية ، انما هى جميعا نتائج لعلم الجيولوجيا ودراساته للصخور والحجارة وبنيان الارض .. فإنه من باب الوفاء لذلك العلم الذى ننعم جميعا بخيراته تحت سماء قطر العزيزة ان نفكر بجد واصرار فى اضافة معلم حضارى جديد لمعالم العاصمة الفتية ، الدوحة ، بانشاء ..

متحف الدوحة الجيولوجى ...

وفى هذا المتحف المقترح ، الذى يمكن انشاؤه " محليا " بالتعاون البناء الصادق بين مختلف مرافق الدولة خاصة جامعة قطر ومتحف قطر الوطنى ، يتعرف الزائر على انواع الصخور النارية والمتحولة والبركانية ، وانواع التربة وصنوف الحجارة الرسوبية والفتاتية وما تحمله من بقايا مخلوقات الله من نبات وحيوان مما اندثر واستحجر منذ ملايين السنين فى الطبقات الجيرية والرملية والطينية واتخذها العلماء دلائل على اعمار طبقات الارض ومظان ومكامن النفط والغاز والفحم وغيرها من الخامات التى ذراها العزيز الوهاب فى كرة الارض ليعرف قدرات خلقه ومدى استجابتهم لقوله تعالى ...

- " إنا جعلنا ما على الارض زينة لها " ... لماذا ؟؟
- " لنبلوهم ايهم احسن عملا " ..

ولابد فى هذا المتحف بداهة ، تخصيص ركن يعرف فيه الزائر اسهامات علماء المسلمين كالبيرونى وابن سيناء والتيفاشى وعشرات غيرهم فى نشأة علم الجيولوجيا مما مهد لما يسمى النهضة الاوربية ..

- ومن نافلة القول ان يخصص ركن فى متحف الدوحة الجيولوجى باذن الله جانبا لتقدير اعمار الطبقات ومعنى ملايين الاعوام فى تلك التقديرات ، وتواريخ اكتشاف

العناصر المكونة لمادة الارض والمعادن التى اكتشفت فيها ،وكيفيات الاستدلال على الخامات الهامة بتحليل المياه الطبيعية ورماد النباتات البرية .

فضلا عن ان يكون فى هذا المتحف مختبر يسهم بجهده فى الكشف عن احتمالات الثروة المعدنية فى ارجاء قطر وتحت مياهها الاقليمية ..

● فهل ان الاوان ان يقوم بعض اهل الخير والمروءة بانشاء بناء بسيط متين لاتعقيد فيه ولاتفلسف ولا اسراف لاستيعاب معروضات متحف الدوحة الجيولوجى ، ليظل صدقة جارية ومصدر علم ينتفع الناس به الى قيام الساعة .. نتمنى ذلك..

الاستشفاء فى الكهوف

جاء فى عدد مارس سنة ١٩٩٨ من مجلة " ستاتويل " التى تصدرها هيئة اوموسسة النفط " البترول " النروجية مقال لافت للنظر عن طريقة اهتدى اليها طبيب تشيكى اسمه " بافيل سلافيك " لعلاج الاطفال الذين يعانون من حالات ضيق التنفس ومرض الربو ، والذين يقدر عددهم فى بلاد التشيك بزهاء مليون طفل من بين زهاء مليون تشيكى مصابين بتلك المعاناة علما بان عدد سكان جمهورية التشيك لايتجاوز العشرة ملايين ومعظمهم معرضون لهواء ملوث رهيب لكثرة مصانعهم التى تدار بالفحم الحجرى وفيه ما فيه من الملوثات ولقد توصل الدكتور سلافيك بعد دراسة تراث بلاده واجداده من الطب الشعبى التشيكى قبل الطب الحديث الى ان قضاء مريض الربو عدة ساعات داخل كهف عميق هادى بعيدا عن دخان وغازات المصانع افضل الف مرة من الحبوب والكبسولات ومختلف الادوية والعقاقير الكيماوية .

ومنحته الدولة كهفًا يسمى كهف " الامبراطور " فرانسيس الثانى الذى حكم تلك البلاد باسم البابا سنة ١٧٩٣ . وفيه نقوش تدل على ان سكان العصر الحجرى التشيك قد اتخذوه موئلا منذ مائة وعشرين الف سنة . وهذا الكهف لايبعد عن عيادته فى بلدة " استروف " سوى كيلو مترين اثنين . ويسير الدكتور صبيحة كل يوم مع اطفال عيادته الاربعين لقضاء ساعات فى اعماق دهاليز الكهف المذكور .

وحيث اننا على سعة الوطن العربى نملك فى صحارينا كهوفا لا حصر لها ، لاسيما المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، فى الصمان والجافورة والدهناء، وفى شبه جزيرة دولة قطر وكذلك فى لبنان وفى صعيد مصر ، بل وفى كل ديار العرب، فلابد ان نفكر في الانتفاع بها علاجياً كما فعلت تشيكوسلوفاكيا ...

والكهوف كما يعرف المختصون تتبع الدحول ، مثل دحل الحمام شمال الدوحة ودحل المسفر ودحل المظلم وعشرات غيرها لم تذكرها كاملة ، حتى اليوم ، خريطة

مستكملة تبين مواقعها ، كما ان الجامعة لم تعمل دراسة فى علم الـ (Speleology) وهو علم مختص فى دراسة الكهوف وكيفية تكوينها بالعوامل الطبيعية ، مما يعرف بفرع جغرافيا " الكارست " واطلق اسم " الكارست " على جغرافية المناطق التى تكثر فيها الكهوف.

والدحول لانها درست اول ما درست فى اقليم " الكارست " اليوغسلافى وهوليس بعيدا عن مأسى وجرائم الاستئصال العنصرى الذى يقوم به وحوش " الصرب " تجاه غيرهم من اهالى يوغوسلافيا ، وخاصة اولئك الذين يدينون بالاسلام ، وما قصة كوسوفا منا ببعيد !!..

والذى ارجو الله ان يتحقق هو قيام تعاون علمى بين جامعة قطر ومعاهدها وبين جامعة الظهران ، لادخال دراسة علم الكهوف وجغرافيا الكارست فى اقسام الجيولوجيا هنا وهناك مع فتح باب التعاون مع اى معهد او جامعة تدرس وتبحث فى تلك العلوم ، وهذا فضلا عن اهميته الاكاديمية ، سوف يدلنا على كهف او اكثر فيما بين الشاطئ الشرقى للخليج وبين رمال الدهناء فى الصمان والجافورة بالذات لإتخاذه مصحة للاستشفاء والتداوى ، من اوجاع الربو وضيق التنفس كما يفعلون هنالك فى جمهورية التشيك قرب بلدة اوستروف .

ولست ازعم ان الكهوف فى ديارنا سوف تصلح لهذا الغرض بمجرد العثور عليها ، فالامر يحتاج الى دراسة هوائها الداخلى وما يعلق فيه من انواع الغبار والبكتريا والفطريات وما إلى ذلك ، كما يحتاج الى دراسة الاحياء التى تتخذ الكهوف مأوى لها مثل الخفافيش والوطاويط والحشرات التى قد تضر وتؤذى.

وارجو الله ان ياتى اليوم الذى يتحقق فيه وجود عيادة للاستشفاء على غرار العيادة التى انشأها النطاسى التشيكى الدكتور (بافيل سلافيك) مع تميزها بالجو الصحراوى العجيب .

العقال العربى

كان جدى - يرحمه الله - قد عودنى ، ايام كنت فى " الكتاب " ان يصطحبنى معه فى فصل الصيف الى منطقة " الثومة " فى شمال شرق سيناء ، بين مصر وفلسطين ...

وقبل ان يقيم الشيطان دولة اليهود ....

وكانى اراه ماثلا امامى ، فى تلك الفلاه الممتدة كبحر من الكثبان والرمال الصفراء التى تنبت الكلا ، وتكسوها خضرة من شجيرات " العادر " و" المثنان " و " الرتم " وتقطع الهدوء السرمدى فى ارجائها اصوات " الصرد " و" اليمام " و " العصافير " وهى تنتقل بين اشجار " الاثل " و " العوسج " ...

وكنت اراه يستوقف ناقته الشقراءالحلوب ، وقد ابعد عنها حوارها . ثم يربط قدميها بقيد من ليف نخل العريش فتله بيديه ، وزوده بعود غليظ من " الطرفاء " يقوم مقام القفل لذلك القيد ...

ثم لايفتا يربت على كتف الناقة ويغنى لها حداء. لم اكن لافهمه ، وهو يجمع ما على كتفيها من " الوبر " الناعم ، ثم يحل القيد وينيخ الناقة ، ويواصل جمع الوبر من حول سنامها ...

فإذا ما اكتمل له ملء (مخلاة) من الوبر ...

افرغه فوق عباءته السوداء الخشنة ، وخلطه بوبر اخر كان قد اهدى اليه من اصدقائه الكثر فى البادية حولنا ...

وياخذ فى تنظيف الوبر من الشوائب ، وينتقى الانعم الاخف منه ويطرحه جانبا ، لتغزله الغازلات خيطا رفيعا دقيقا لصنع " الطواقى " و " القحفيات " ... ثم يعكف على (فتل) القسم الاكبر منه على هيئة " حبل " غليظ يصل طرفيه ليصبح دائرة ، يضع

فى جانب منها فرعا من غصن شجرة " الرتم " بعد ان يبريه بالسكين بريا جيدا ويصقله على ظهر " الجاعد" بحفنة من رمال ... ثم يقول لى ...

... هذا عقال البعير الذى ساشتريه من البدو المجاورين .

وياخذ يجريه على الناقة ، ينيخها ثم يحزم ذلك " العقال" فوق ركبتها فلا تستطيع القيام ، فإذا قامت تجرى على ثلاث فيمكن اللحاق بها ...

وكان اذا اشتغل بجمع البطيخ تحت حمارة القيظ يغطى راسه بقطعة من قماش على هيئة مثلث ويثبتها بذلك العقال الذى صنعه من الوبر...

وبتوالي الايام اصبح " العقال " شعار الراس العربى ..

فإذا ما جد جديد فى الوطن العربى رايت صحف الغرب (والشرق) ومجلاتها ترمز للانسان العربى ايا كان بالعقال ..

حتى انه عندما ظهرت فيوض النفط فى بلاد الصين بعد معركة رمضان (١٩٧٣م) رسم الكريكاتيريون فى صحف الغرب الرئيس الصينى " ماوتسى تونج " يلبس عباءة مزركشة وعلى راسه ...... عقال عربى ...

وكم راينا كاريكاتيرا سواء لدى ارتفاع اسعار النفط او انخفاضها ، بفعل القوى "الخفية " المسيطرة ، برسم "برميل" النفط وقد نبتت له رجلان ويدان وراس يكسوها .. عقال عربى ...

وحتى المتنبئ " نوستراداموس " ، حين اراد ان يرمز للجنس البشرى الذى سوف يضع حدا للحضارة الغربية و " يخرب " العالم رمز له برجل عملاق يلبس .. عقالا عربيا ....

وحبذا ان تلتفت إحدى جهات الدرس الاكاديمى والتقصى العلمى لتوجيه بعض باحثيها فى العلوم الانسانية ، لتقصى تاريخ .. العقال العربى..

فلدى كثير من اللوحات التى رسمها " الفنانون " الاوروبيون الذين كانوا يستطلعون البوادى العربية فى القرون الماضية ، لا اجد اثرا للعقال العربى كشعار وغطاءللراساللهم

الا مايشبه ذلك العقال الذى كان يستعيره جدى رحمه الله من ناقته بعض الوقت....

متى ظهر العقال العربى " الاسود " . ؟؟ لاسيما وان هنالك عقالا لايزال يصنع فى بعض ارجاءالبوادى العربية " بين النيل والخليج العربى " من الصوف الطبيعى غير المصبوغ او من الاوبر ....

وللعقال اسم اخر فى بادية سيناء . اذ يسميه البعض " المريرة " ، وقد وجدت فى القاموس المحيط للفيروزبادى رحمه الله ان المريرة هى " الحبل الشديد الفتل " وهذا ينطبق على عقال البدوى فى سيناء بمصر .

..... اما وقد بلغ امرنا مابلغ

فلنا دعاء ......

اللهم رد كيد اعداء العقال العربى الى نحورهم ...

وهئ لنا من امرنا رشدا ، تخرج به الراس التى تحت " العقال " من الفكر والحكمة ومكارم الاخلاق ... ما يشفى صدور قوم مؤمنين ، ويعيد لهذه الامة ما تفتقده اليوم من المجد جميعه انك انت الوهاب .

صناعة المداد السلطاني

على امتداد التاريخ منذ عصور اليبوسيين والكنعانين والفينيقيين والانباط كانت لمدينة القدس الشريف وما حولها من أرض فلسطين ، وبلاد الشام مكانة خاصة باعتبارها من الأرض المباركة..

وكان للسلاطين والخلفاء العثمانيين مع القدس شأن خاص.... وكان هؤلاء القادة الكبار مهتمين بتطوير وتحسين الخط العربي لكي يكتب به الخطاطون مصاحف القران الكريم للعامة والخاصة ويزينوا به المساجد وغيرها من المنشآت... ويقول المؤرخون ان المصريين القدماء واهل الصين منذ القرن الخمسين قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ((٥٠٠٠ق.م)) كانوا قد اكتشفوا ان السناج الاسود الناجم عن ذبالات القناديل التي كانت تضاء بالزيت هو احسن خامة لصناعة الحبر الاسود والمداد وكان المجربون قد ثبت لهم ان السناج المتولد من احتراق فتائل زيت الزيتون هو اصلح الخامات لتلك الصناعة الحضارية الهامة وبناء على توصيات من الخطاطين في بلاط الخلافة (اصدر السلطان قانونا يقضي بان يقوم والي " القدس الشريف " بترتيب خدمة سلطانية مهمتها:

تجميع كل السناج الناجم عن ذبالات قناديل المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة من أسرجتها العديدة و إرسال ذلك السناج إلى دار الخلافة في ((اصطمبول)) عاصمة الدولة الكبرى.

وفي اصطمبول يقوم المختصون بمزج ذلك السناج ببعض ماء زمزم والصمغ والأملاح التي تضاف عادة للمداد ثم يؤضع المزيج في أوعية خاصة من الزجاج تعبأ في صناديق خاصة لحملها على ظهور الإبل في القوافل المتجهة إلى مكة المكرمة في موسم الحج وتظل على ظهور الإبل حتى تعود قوافل الحجاج إلى العاصمة اصطمبول..

وفي هذا المشوار من اصطمبول إلى مكة المكرمة والعودة ترج أوعية الحبر بعد أن يتم إحكام إغلاقها وتهز نتيجة سير الإبل آلاف بل ملايين المرات مما يثبت السناج فيظل عالقا لا يرسب وفي اصطمبول يقوم المختصون بتوزيعه على الكتبة المختصين بدار الخلافة وعلى غيرهم من الكتبة.

وللحبر في لغة العرب اكثر من اسم فهو، المدادْ ، على وزن كتاب ، وهو النقس على وزن درع ويسمى الإناء الذي يحفظ الكاتب فيه مداده المحبرة ، بفتح الميم، وبعضهم يسميه الدواة .. وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي " ٨١٤هـ " أن المداد معناه أيضا الزيت الذي تمد به القناديل والسرج والمصابيح.. ولا ننسى ذكر أن سلاطين آل عثمان كان منهم من يتقن فن الخط وان كلا منهم قد اخترع لنفسه توقيعا على شكل الطرة المعروفة...

وكان الفضل في تطور الخط العربي وجماله الذي لا يضاهيه جمال أي خط في العالم هو كتابة المصاحف الشريفة..

ونحن في حاجة للاهتمام بتعليم أجيالنا فن كتابة الخط العربي وتعريفهم بالفروق بين الكوفي والرقعة والديوانى والنسخ والثلث والتعليق وغيرها من أنواع الخط العربي حتى لا ننسى العباقرة الأمجاد ياقوت المستعصمي وابن مقلة وابن البواب وغيرهم من العباقرة المسلمين الذين طوروا هذا الخط العجيب، لكي نمنع نجاح الناعقين الذين ينادون باستخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية !!!

الخزامى ... و .... اللافندر

قال الرواة وافلح منهم من صدق ان اهل الاندلس الفردوس المفقود قد اجادوا فيما اجادوا هنالك من دروب التحضر والتمدن فى صناعة العطور والاطباب حتى اذا ما اصبح بأسهم بينهم شديدا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي ومزقتهم روح الطوائف شراذم وزمرا متنافرة متباغضة متدابرة تمكن فرديناند وايزابيللا بجيش قشتاله ان يطردوهم من اخر معاقل الحمراء فى ١٤٩٢/٢/١٥ م ... فحملوا معهم مفاتيح دورهم وقصورهم املا فى عودة منذ خمسة قرون وحملوا اسرار تلك الصناعة وطرائقها عبر مضيق جبل طارق بن زياد الى الشمال الافريقى ...

واستطاع الفرنسيون ابان احتلالهم للمغرب العربى ان يحصلوا على تلك الاسرار الصناعية العجيبة ومن هنا افتى الواهمون بان معرفة تلك الاسرار هى السبب الحقيقى فى امتياز الفرنسيين عن غيرهم من الفرنجة فى صناعة العطور ولا شان لمسيرة علوم الكيمياء فى ذلك التقدم المبنى على احترام البحث العلمى قبل سرقة افكار الاخرين والتوقف عن حدودها دون بذل للجهد فى التجريب والدراسة والبحث عن الحقيقة ....

وخلال رحلة علمية لبلاد الفرنجة آليت على نفسى ان ازور مصنعا من مصانع الاطياب والعطور فى بلدة (جراس) وهنالك طاف بنا الدليل يشرح بكل هدوء تفاصيل التفاصيل فى ارجاء المصنع حتى انتهى بنا المطاف الى ساحة زرعوها بنبات (اللافندر) الذى يستخرجون زيته فى مصنعهم دون ما حاجة الى استيراد .. وتزودت بشئ من زهور ذلك النبات البنفسجية اللون الزرقاء الزكية ..

وعرفت ان ذلك النبات العطرى الجميل من النباتات العطرية التى تتميز بها بيئة البحر الابيض المتوسط وان منه اصنافا شتى .. ثم وجدت معاجمنا وقواميسنا مما طبع ونشرفى مختلف اقطارنا تترجم (اللافندر) Lavender على انها نبات (الخزامى) الذى جاء ذكره فى كثير من اشعارنا وكتب طب الاعشاب القديمة .. وعندها تذكرت

بدويا صديقا عليما بالدروب والمسالك واعشاب الصحراء ونباتها حيث كنا معا فى احدى الرحلات نجنى بعض ازهار (الخزامى) من منطقة نما كلأها وازدهر فى ربيع بعد شتاء مطير واسترجعت الشبه بين " اللافندر" و " الخزامى " فما وجدت الا شبه اللون فقط وان ماتقول به كتب علم النبات هو ان . الخزامى شئ واللافندر شئ اخر ولا تجمعهما عائلة نباتية واحدة...

فاستغربت اصرار كل مؤلفى معاجمنا وقواميسنا المتداولة ومصنفيها على ان النباتين شئ واحد لمجرد الشبه الظاهرى فى لون الازهار دون اعتبار او اهتمام بان علماء النبات الذين يصنفون ما ذرأ الله فى البر والبحر من نبات يطلقون على كل منها اسما علميا يميزه عن غيره .. وراجعت ذهنى لاجد اننا من هواة تسمية الاشياء بغير مسمياتها دون ان نبالى او نشعر بحرج او خجل او مراجعة للنفس بحثا عن الحق كأن نسمى " القطران " على سبيل المثال رغم سواده باسم البياض ونطلق على من لدغته افعى فاهلكته اسم " السليم " !! ونسمى كل جبار عنيد ظلوم باسم " الزعيم الاوحد "

ولعل من احدث ما جادت به قرائحنا وعبقريتنا اللغوية وحذقنا فى تسمية الاشياء بغير اسمائها التى علمها الله تعالى لادم عليه السلام هو ان يطلق على مرحلة ....

اعطاء الدنية ....

اسم السلام ......

الفهـــــرس

مسلسل	اسم المقالة	الصفحات
١	قصة علم الجيولوجيا	٣
٢	الشهب والنيازك والرجوم	١٧
٣	الأحجار الكريمة	٣٢
٤	علاقة الجيولوجيا - النفط (البترول)	٣١
٥	الخليج بين اللؤلؤ والنفط	٣٨
٦	أقدم خريطة للبحار السبعة	٤٤
٧	الرمال الموسيقية	٥١
٨	وعن الماء .. نقول	٥٥
٩	العود والبخور	٥٨
١٠	العطور والطيب	٦٣
١١	من تاريخ القهوة	٦٧
١٢	طـابع البريـد	٧٦
١٣	الإسلام ودراسة الآثار	٨٣
١٤	اسم قطر من أين جاء ؟؟	٨٧
١٥	الزيـــــارة	٩٢
١٦	اسم سيناء .. من أين جاء	٩٩
١٧	العريش	١١٢

مسلسل	اسم المقالة	الصفحات
١٨	سيناء .. ودرب الحاج	١١٤
١٩	سيناء .. وأصل الأبجديات	١١٨
٢٠	في مسألة طابا – طابا	١٢٤
٢١	سطور عن تاريخ المتاحف	١٣٢
٢٢	إدارة .. مخصصة .. للنخيل	١٥٠
٢٣	الدحـــــل	١٥٣
٢٤	بيضة الأفحوص.. ولغة .. العنبلوص ..	١٥٦
٢٥	حول ثقافتنا الجيولوجية	١٦٠
٢٦	حاجتنا لمتحف علوم الأرض	١٦٣
٢٧	المتاحف الجيولوجية	١٦٦
٢٨	الاستشفاء في الكهوف	١٦٩
٢٩	العقال العربي	١٧١
٣٠	صناعة المداد السلطاني	١٧٤
٣١	الخزامي واللافندر	١٧٦

٠٠١,٢ درويش مصطفى الفار

مطالعات ثقافية / بقلم درويش مصطفى الفار .ـ

الدوحـة : المؤلف ، ٢٠٠٤.

١٧٩ ص ؛ ٢٤ سم .

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٤٣٧ / ٢٠٠٤

الرقـم الدولـي (ردمك) : ٥ -٢٦- ٦٩-٩٩٩٢١

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

٤٣٧ / ٢٠٠٤م

الرقم الدولي (ردمك) : ٥ ـ ٢٦ ـ ٦٩ ـ ٩٩٩٢١

مطابع الدوحة الحديثة المحدودة

ص.ب : ١٤٥ ـ الدوحة ـ قطر ـ تليفون : ٤٨٠٣٤٠٤